

أغاثا كريستي

www.tilal.com



Chassey

إيزيم الحذاء



الزجّال
للترجمة والنشر



Agatha Christie



One, Two,
Buckle My Shoe

إبزيم الحذاء

عُثِرَ على طبيب الأسنان ميتاً وقد أُلقي المسدس على الأرض بجوار يده، وبعد ذلك عُثِرَ على أحد مرضاه ميتاً بتأثير جرعة ضخمة من المخدر الذي يستعمله الطبيب.

إنه سياق واضح لجريمة قتل ثم انتحار. ولكن لماذا يُقدم الطبيب على قتل مريضه وسط نهار مزدحم بالمواعيد؟!

إبزيم حذاء يحمل المفتاح للحلّ، فهل سينجح بوارو في تجميع الخيوط وحل هذا اللغز؟



هيركيول بوارو



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتَبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِعَ منها ألفي مليون نسخة!



رقم هذه الرواية حسب ترتيب
صدور الروايات بالإنكليزية

WWW.LIILAS.COM

الناشر وصاحب الحق الحصري:
بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم

CHASSEY



الرجيال
للترجمة والنشر
RJAL Publishers

US \$ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

الفصل الأول

لم يكن السيد مورلي في مزاج هادئ عند الإفطار. تذر من المقائق وتساءل عن السبب الذي جعل القهوة بلون الطين السائل وقال إن الخبز والكعك المقدم على الطاولة بعضه أسوأ من بعض.

كان السيد مورلي رجلاً ضئيل الجسم عريض الفكين بارز الذقن. أما أخته التي كانت ترعى له البيت فكانت ذات جسم ضخم كأنها رياضية تحمل الأثقال. نظرت إلى أخيها نظرة تأمل وسألته إن كان ماء الحمام قد برد من جديد.

أجابها السيد مورلي بامتعاض قائلاً إن الماء لم يبرد، ثم ألقى نظرة على الجريدة وقال إن الحكومة تبدو وكأنها تعبر حالة انعدام الكفاءة وصولاً إلى حالة البلاهة الإيجابية!

ردت الأنسة مورلي عليه بصوت خفيض عميق قائلة إن ذلك مخزٍ! وكونها امرأة؛ فقد كانت تجد دائماً أن كل حكومة تتولى السلطة هي حكومة مفيدة، ولذا أصرت على أخيها ليشرح لها لماذا يرى سياسة الحكومة الحالية غير حاسمة وغبية وحمقاء وانتحارية!

- الفتيات يقعن في الحب يا هنري... لا يمكن منع ذلك.

ردّ عليها السيد مورلي بحدّة: لا ينبغي لها أن تدع الأمر يؤثر على عملها وكفاءتها كسكرتيرة لي. كما أنني -اليوم بالذات- مشغول إلى أبعد حد؛ لديّ كثير من المرضى المهمين. أمر بيعث على الضجر!

- لا بد أنه يثير الحنق يا هنري. على فكرة، كيف يعمل الولد الجديد؟

قال هنري مورلي عابساً: إنه أسوأ من عمل عندي! لا يستطيع كتابة اسم واحد بشكل صحيح، كما أنه فظ في معاملته مع المرضى. إذا لم يتحسن فسوف أطرده وأحضر آخر مكانه. لا أدري ما فائدة التعليم عندنا هذه الأيام. يبدو أنه يخرج مجموعة من الحمقى الذين لا يستطيعون فهم شيء مما يقوله المرء، ناهيك عن تذكره.

نظر إلى ساعته وقال: لا بد أن أذهب. وقتي هذا الصباح مليء بالمواعيد وتلك المرأة سينسيري سيل أسنانها تؤلمها. اقترحْ عليها أن ترى رَئي لي لكنها لم تقبل.

قالت جورجينا من قبيل الإخلاص لأخيها: بالطبع لن تقبل.

- إن ريلي شخص قدير... قدير فعلاً. يملك شهادات عليا ويتبع أحدث الأساليب في عمله.

- يدها ترتعشان... أظن أنه يشرب.

وعندما شرح السيد مورلي آراءه حول هذه النقاط تناول فنجاناً آخر من القهوة التي تدمر منها وأزاح عن كاهله سبب همومه وأحزانه. قال: هؤلاء الفتيات كلهن سواء! لا يوثق فيهن، أنانيات... لا يعتمد عليهن بأي شكل من الأشكال.

سألته الأنسة مورلي من باب الفضول: غلاديس؟

- لقد تلقيت منها الرسالة الآن. تقول إن عمتها أصيبت بسكتة، واضطرت للذهاب إلى سومرست.

قالت الأنسة مورلي: إنه أمر مزعج يا عزيزي، لكنه خارج عن إرادة الفتاة.

هز السيد مورلي رأسه باكتئاب وقال: كيف لي أن أعرف أن عمتها أصيبت حقاً بسكتة؟ كيف أعرف أن هذا الأمر ليس عملاً مدبراً بين الفتاة وذاك الشاب الخليع الذي تخرج معه؟ إن ذلك الشاب عديم الأخلاق لم أر مثله من قبل! ربما خططوا ليجرنا معاً هذا اليوم.

- لا يا عزيزي، لا أظن أن غلاديس تفعل ذلك. لقد كنت تجد فيها دوماً فتاة مستقيمة.

- نعم، نعم.

- لقد كنت تقول عنها إنها فتاة ذكية حريصة على عملها.

- نعم، نعم يا جورجينا، لكن ذلك كان قبل أن يظهر هذا الشاب الخليع. لقد تغيرت كثيراً في الفترة الأخيرة... تغيرت تماماً. باتت شاردة الذهن، وقلقة، وعصبية.

الإفطار، وفي قاعة الاستراحة كانت الأنسة سينسيري سبل جالسة تحدث مع السيدة بوليثو. كانتا تجلسان إلى طاولتين متجاورتين في قاعة الطعام وتكونت بينهما صداقة بعد يوم واحد من وصول الأنسة سينسيري سبل إلى الفندق قبل أسبوع.

قالت الأنسة سينسيري سبل: لقد توقفت الألم يا عزيزتي! لا يوجد أي ألم. ربما الأفضل أن اتصل...

قاطعتها السيدة بوليثو: لا تحامقي يا عزيزتي. اذهبي إلى طبيب الأسنان وتخلصي من الألم.

كانت السيدة بوليثو امرأة طويلة القامة مسيطرة ذات صوت خفيض. أما الأنسة سينسيري سبل فكانت امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً ذات شعر مصبوغ وملفوف إلى الأعلى دون ترتيب، وقد ارتدت ملابس لا شكل لها كملايس الفنانين، وكانت نظارتها تقع دوماً على أنفها، وكانت ثرثرة من الطراز الأول.

قالت بحزن: ولكنه حقاً لم يعد يؤلمني على الإطلاق.

- هراء. لقد أخبرتني بأنك لم تنامي منه الليلة الماضية.

- بلى، لم أتم فعلاً... ولكن ربما كان العصب قد مات الآن.

قالت السيدة بوليثو حازمة: هذا سبب أكثر وجاهة للذهاب إلى طبيب الأسنان. إننا نرغب جميعاً بتأجيل هذا الأمر، ولكنه جين الأفضل أن تحزمي أمرك وترتاحي منه!

ضحك أخوها وعاد إليه مزاجه الهادئ. قال: سأتي لتناول الشطائر في الواحدة والنصف كما هي العادة.

كان السيد أميريوتيس ينكش أسنانه بالعود ويتسم لنفسه في فندق سافوي... كل شيء كان يسير على ما يرام.

كان قد نجح في عمله كالمعتاد، وكان يفكر في تلك الكلمات اللطيفة القليلة التي قالها لتلك المرأة الغبية وكيف لقي مقابلها خير جزاء. أه! حسناً... افعل خيراً وألقه في البحر. كان دائماً طبيب القلب وكريماً، وربما استطاع في المستقبل أن يكون أكثر كرمًا. تراءت أمامه رؤى لأعمال خيرية: ديستري الصغير، وذلك الطيب المكافح في مطعمه الصغير... أية مفاجأة سارة بالنسبة لهما. نخز العود لسانه فجفل السيد أميريوتيس. ثلاث الرؤى الوردية للمستقبل وحلت محلها مخاوف المستقبل الغريب. تحسس لسانه بلطف. أخرج دفتر الملاحظات من جيبه وقرأ: "الساعة الثانية عشرة في ٥٨ شارع الملكة شارلوت".

حاول أن يستعيد مزاجه السابق المرح، ولكن دون جدوى. انكسرت آفاقه كلها لتتلخص في ست كلمات لا غير: "٥٨ شارع الملكة شارلوت... الساعة الثانية عشرة".

في فندق غليغوري كورت في جنوب كينسغتن انتهى ميعاد

خرجوا من قاعة الاجتماعات ونزلوا الدرج. قال رودرشتاين:
هل أوصلك بسيارتي؟

ابتسم أليستير بلانت وهز رأسه: سيارتي تنتظرنِي.

ثم نظر إلى ساعته وقال: "لن أعود إلى المدينة". وسكت قليلاً
ثم قال: الواقع أن لديّ موعداً مع طبيب الأسنان.

لقد حُلّ الغم!

ترجل هيركيول بوارو من سيارة الأجرة ودفع للسائق أجرته
وقرع جرس المنزل رقم ٥٨ في شارع الملكة شارلوت.

بعد لحظات من الانتظار فتح له الباب خادمٌ يلبس زيّاً خاصاً.
كان الشمس يغطي وجهه وكان أحمر الشعر وتبدو عليه علامات
الجد.

قال هيركيول بوارو: هل السيد مورلي موجود؟

كان يأمل في قرارة نفسه بأن يكون السيد مورلي قد استُدعي إلى
خارج عيادته أو أن يكون متوَعكاً ولا يستطيع رؤية المرضى اليوم...
لكنها آمال ذهبت أدراج الرياح؛ فقد تراجع الخادم إلى الوراء إشارة
لهيركيول بوارو لكي يدخل. دخل بوارو وأغلق وراءه الباب بهدوءٍ
مَن أسلم زمامه لِقَدْرٍ محتوم.

قال الخادم: الاسم من فضلك؟

تحرك شيء على شفاة الأُسسة سينسيري سيل. أتراها كانت
تهمهم منمرودة: "صحيح، ولكنه ليس ضررك أنت؟"

ولكن كل ما قالته كان: أظن أنك على حق... كما أن السيد
مورلي رجل حذر ولا يؤدي أحداً على الإطلاق.

انتهى اجتماع مجلس الإدارة ومزّ بهدوء. كان التقرير جيداً،
وما كان ينبغي أن تثار أية ملاحظة تنافي ذلك. ومع ذلك شعر السيد
رودرشتاين الحساس بأن في سلوك الرئيس شيئاً ما... مسحة بسيطة
جداً من الاختلاف. كان في ملاحظاته -أحياناً- شيء من القِصْر،
شيء من المرارة... مما لم تكن مجريات الاجتماع تقتضيه.

ربما كان همّاً داخلياً؟ لكن رودرشتاين لم يستطع الربط بين
الهموم الداخلية وبين أليستير بلانت؛ فهو لم يكن رجلاً عاطفياً. كان
طبيعياً جداً... إنكليزياً جداً من حيث الجوهر.

كانت لديه -بالطبع- مشكلة الكبد. كان كبد السيد رودرشتاين
يسبب له بعض المشكلات من وقت لآخر، لكنه لم يكن يعلم أبداً
أن أليستير يشكو من كبد. كانت صحة أليستير سليمة كدماغه وخبرته
المالية. لم تكن صحته من ذلك الطراز المتدفق المزعج أحياناً، بل
مجرد صحة هادئة معافاة. ومع ذلك، كان في الأمر شيء ما. ففي
مرة أو مرتين تحسس الرئيس وجهه بيديه، وكان يجلس ويده تسند
ذقنه. لم يكن ذلك من عادته وطبعه، كما بدا أكثر من مرة شارد
الذهن... نعم، شارد الذهن.

قام الرجل العسكري وتبع الخادم، أما بوارو فكان يفكر في احتمالات وجود اسم كهذا الاسم حقيقةً عندما فُتح الباب ليدخل منه شاب في الثلاثين من عمره تقريباً.

وبينما وقف الشاب بجانب الطاولة يتصفح بقلق أغلفة المجلات نظر بوارو إليه بطرف عينه. بدا شاباً كريهاً وخطراً وربما يكون مجرمًا قاتلاً، أو هكذا اعتقد بوارو! على أية حال بدا قاتلاً أكثر من أي قاتل آخر اعتقله بوارو أثناء حياته المهنية.

فتح الخادم الباب وقال: السيد بيرو.

نهض بوارو مباشرة وقد خمن أنه المقصود. قاده الغلام إلى مؤخرة الصالة ثم إلى مصعد صغير صعد به إلى الطابق الثاني، وهناك سار فيه في ممر طويل وفتح باباً يؤدي إلى حجرة انتظار صغيرة وضرب باباً آخر وفتحته دون أن ينتظر إجابة ثم تراجع لكي يدخل منه بوارو.

دخل بوارو وهو يسمع صوت ماء جار وتقدم ليرى السيد مورلي وراء الباب يغسل يديه على مغسلة هناك.

* * *

في حياة أعظم الرجال لحظات مخزية معينة. ولقد قيل إنه لا يوجد بطل في عين خادمه، ويمكن أن يضاف إلى هذا القول أن قلة من الرجال فقط يكونون أبطالاً - حتى أمام أنفسهم - عند زيارتهم لأطباء الأسنان.

أعطاه بوارو الاسم، ففتح الصبي باباً من الناحية اليمنى من الصالة ليدخل بوارو قاعة الانتظار.

كانت الغرفة مؤثثة بأثاث يدل على ذوق رفيع وهادئ رآه بوارو - رغم ذلك - كئيباً لسبب ما. كانت هناك طاولة نظيفة وضعت عليها أوراق ومجلات بطريقة مرتبة، وفي جانب الغرفة منضدة عليها شمعدانان وطبق مزخرف، وعلى رف المدفأة ساعة برونزية ومزهرتان برونزيتان. كانت النوافذ مغطاة بستائر من المخمل الأزرق، أما الكراسي فكانت منجدة بقماش أحمر عليه رسومات طيور وأزهار.

جلس على أحد الكراسي رجل ذو هيئة عسكرية وشارب كث وبشرة صفراء. نظر إلى بوارو كمن ينظر إلى حشرة ضارة. بدا وكأنه يتمنى لو أنه كان يحمل معه بدلاً من مسدسه العسكري عبوة من مبيد الحشرات. أما بوارو فقد قال في نفسه وهو يرمقه بنظرات ازدراء: "الحقيقة أن من الإنكليز رجالاً على درجة من السخف والشباعية بحيث يثنى المرء لو أنهم ماتوا عند ولادتهم تخلصاً من هذا النكد".

وبعد أن حمله الرجل العسكري في بوارو طويلاً أخذ صحيفة التائمز عن الطاولة وأدار كرسيه حتى يتفادى النظر إلى بوارو وجلس يقرأ فيها.

أخذ بوارو مجلة بنتش الهزلية وتصفحها صفحة صفحة لكنه لم يجد فيها ما يستحق الضحك. دخل الخادم وقال: الكولونيل آرو بامبي؟

الحروف رغم افتتاح الفم، ولكن الطبيب فهم منة عموماً أنه ليس في أضراسه مشكلة معينة. كانت تلك -في الحقيقة- زيارة الصيانة نصف السنوية التي يجريها بوارو لأسنانه يدافع من تعلقه بالنظام والترتيب. وبالطبع يمكن أن لا يعمل الطبيب أي شيء... وربما تجاهل السيد مورلي ذلك الضرس الثاني من الخلف الذي تأتي منه تلك النخزات. قد يفوته ذلك، رغم أن هذا كان مستبعداً لأن السيد مورلي كان طبيب أستان بارعاً جداً في عمله.

انتقل السيد مورلي من ضرس إلى آخر ببطء يضرب على كل ضرس بالمجس ويتحسس ويطلق بعض التعليقات أثناء ذلك.

- هذه الحشوة تأكلت قليلاً... ومع ذلك لا تهم. اللثة جيدة لحسن الحظ.

سكت عندما وصل إلى ضرس اشتبته فيه. جثته ثانية حتى تأكد من عدم وجود شيء، ثم انتقل إلى الأسنان السفلية. واحد... اثنان، على الثالث؟ لا...

فكر بوارو في نفسه مرتبكاً: "لقد رأى الكلب الأرنب!". مضى الطبيب يقول: مشكلة صغيرة هنا. ألا يؤلمك هذا الضرس؟ أنا مدهوش.

ثم أكمل المجس عمله. وأخيراً تراجع السيد مورلي إلى الوراء وبدأت عليه علامات الرضا.

- لا يوجد شيء خطير... مجرد حشوتين متآكلتين قليلاً وبعض

كان هيركيول بوارو يدرك هذه الحقيقة إدراكاً فظيماً. كان رجلاً اعتاد على الثقة بنفسه. كان هو.. هيركيول بوارو.. المتفوق على الرجال الآخرين في كثير من الأمور. لكنه في هذه اللحظة عجز عن الشعور بالتفوق في أي شيء؛ فقد هبطت معنوياته إلى الصفر وبات مجرد رجل عادي جيان يخاف من كرسي طبيب الأسنان.

كان السيد مورلي قد انتهى من غسل يديه وبدأ يتحدث بأسلوبه الطبي المشجع: الجو اليوم ليس دافئاً كما يجب أن يكون عليه في هذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟

ثم أدار الحديث بحنكة وصولاً للنقطة الحرجة... الكرسي! وبدأ يحرك مسند الرأس إلى أعلى وإلى أسفل. أخذ هيركيول بوارو نفساً عميقاً ثم ارتقى الكرسي وأرغى رأسه وسلّمه لأنامل السيد مورلي.

قال السيد مورلي بابتهاج فظيع: هكذا. أهذا مريح تماماً؟ متأكد؟

ردّ عليه بوارو بنبرة كئيبة قائلاً إن ذلك مريح تماماً، فقرب السيد مورلي منه صينية الأدوات وأخذ مرآته الصغيرة وأمسك بإحدى الأدوات واستعد للقيام بعمله.

تشبث بوارو بذراعي الكرسي وأغلق عينيه وفتح فمه.

سأله السيد مورلي: هل توجد مشكلة معينة؟

أجاب بوارو عن ذلك السؤال وهو يفتح فمه محاولاً إخراج

كرسيه، ثم تابع حديثه: سأخبرك شيئاً كنت ألاحظه دائماً يا سيد بوارو. الناس الكبار... الشخصيات المهمة، يأتون دائماً في الموعد المحدد ولا يجعلونك تنتظرهم أبداً. الوزراء على سبيل المثال... إنهم دقيقون جداً في مواعيدهم، وكبار رجال المدينة مثلهم أيضاً. والآن هذا الصباح سيأتيني رجل مهم جداً... أليستير بلانت!

نطق السيد مورلي بالاسم بفرحة المنتصر، وغمغم بوارو بحسرة من كان يمتنع من النطق ما حُشر في فمه من لغائف القطن، إضافة إلى تلك الأنوية الزجاجية التي تفرقر تحت لسانه.

أليستير بلانت... تلك هي الأسماء التي تخيف في هذه الأيام! لم تعد ألقاب الدوق أو اللورد أو حتى رؤساء الوزارات هي ما يهيم، كلا، بل مجرد اسم أليستير بلانت دون أية إضافات، رجل لا يكاد يكون معروفاً للعامة، لا يكاد اسمه يظهر إلا في مناسبات قليلة وفي زوايا صغيرة بعيدة عن الأنظار في الصحف. إنه ليس بالرجل الاستعراضي الشهير. مجرد رجل إنكليزي هادئ لا شيء يميزه كان يرأس أكبر مؤسسة مصرفية في إنكلترا. رجل واسع الثروة كان يعيش حياة هادئة مغمورة دون أن يظهر على المسرح العام أو يلقي الخطابات، ومع ذلك فهو رجل ذو نفوذ عظيم.

حافظ صوت السيد مورلي على نبرة توقيف وهو يقف فوق بوارو يضع الحشوة: دائماً يأتي في مواعده بالضبط، وغالباً ما كان يطلب من سائقه العودة بالسيارة ثم يعود إلى مكتبه سيراً على الأقدام. إنه رجل لطيف هادئ ومتواضع، مولع بلعب الغولف ومغرم بحديثه،

أثار من تسوس في ذلك الضرس العلوي. أظن أن باستطاعتنا إصلاح ذلك كله هذا الصباح.

- أدار أحد المفاتيح فخرج صوت رنين وطنين. أمسك السيد مورلي بالحفارة وثبت فيها إبرة باهتمام من يحب ما يفعله، ثم قال باختصار: "أرشدني". وبدأ عمله الفظيع.

لم يكن من الضروري لبوارو أن ينبه الطبيب أو يرفع يده أو يتن أو حتى يصرخ لأن السيد مورلي كان يوقف المثقاب في اللحظة المناسبة ويطلب منه أن ينظف فمه ويضع قطعة من الشاش على الضرس ثم يختار إبرة جديدة ويواصل عمله. كانت محنة الحفارة تتمثل في الرعب أكثر مما تتمثل في الألم.

وحالما انتهى السيد مورلي من الحفر وبدأ بإعداد الحشوة بدأ حديثه ثانية: عليّ أن أقوم بهذا العمل بنفسي هذا الصباح. لقد جرى استدعاء الأنتسة نيفيل. هل تذكر الأنتسة نيفيل؟

أوماً بوارو بالإيجاب وهو غير صادق.

- استدعيْتُ إلى قريبتها بسبب قربة لها، أمور كهذه لا تحدث إلا في مثل هذا اليوم المزدحم... إنني متأخر في عملي هذا الصباح؛ فالمرضى الذي قبلك جاء متأخراً. إنه أمر يثير أعصاب المرء ويفسد عليه صباحه كله. ثم عليّ أن أعالج مريضة طارئة لأنها تتألم. إنني أترك دائماً ربع ساعة في الصباح لمثل هذه الحالات الطارئة، ومع ذلك فهي تزيد حالة الارتباك عندي.

تأمل السيد مورلي مدفع المورتر الصغير في يده وهو ينزل عن

انتهت المضمضة فأمعن السيد مورلي النظر في فم مريضه.

- حسناً، أظن أن الأمور تبدو جيدة الآن. أغلق فمك... بهدوء.
هل أنت مرتاح تماماً؟ ألا تشعر بالحشوة على الإطلاق؟ افتح ثانية
من فضلك، نعم... الحال يبدو جيداً.

نزل بوارو عن كرسيه وقد أصبح رجلاً حراً.

وداعاً يا سيد بوارو، أرجو أن لا تكون قد كشفت أي مجرم
في بيتي؟

قال بوارو مبتسماً: قيل أن أصعد إلى هذه الغرفة كان كل واحد
يبدو لي مجرمًا، أما الآن فربما اختلف الحال!

- آه، نعم... فرق كبير بين قبل وبعد. ومع ذلك فإننا -معشر
أطباء الأسنان- لم نعد بتلك الفظاعة التي كنا عليها من قبل! هل
أضرب الجرس ليطلبوا لك المصعد؟

- لا، لا، سأنزول مشياً.

- كما تشاء. المصعد بجانب الدرج.

سمع بوارو صوت صنبور المياه بعدما خرج وأغلق الباب
وراه. ثم نزل درجتي السلم، وعندما وصل إلى المنعطف الأخير
من الدرج رأى الكولونيل الإنكلو-هندي وهو خارج. ورأى بوارو
أنه لم يكن رجلاً سيئ المنظر، بل ربما كان صياداً ماهراً قتل الكثير
من النمور. إنه مغلم نموذجي من معالم الإمبراطورية.

ذهب إلى قاعة الانتظار ليأخذ قبعته وعصاه اللتين تركهما هناك.

لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنك أنه ذلك الرجل الذي يستطيع شراء
نصف أوروبا بماله! إنه مثلي ومثلك تماماً!

ظهر الاستياء على بوارو لهذا الجمع العفوي بينه وبين الطبيب.
صحيح أن السيد مورلي كان طبيب أسنان جيداً، ولكن يوجد أطباء
أسنان آخرون جيدون غيره في لندن. أما هيركيول بوارو فلا يوجد
منه إلا واحد فقط!

قال السيد مورلي: "تمضمض من فضلك". ثم أكمل الطبيب
حديثه بعد أن شرع في معالجة الضرس الثاني: إن حالته تشكل
إجابة على رجال كهتلر وموسوليني ومن سار على دربهم. نحن
لا نحدث ضجة أو زوينة عندنا... انظر إلى مدى الديمقراطية التي
تسمح بظهور الإبداع الفردي. إن رجلاً فرنسياً مثلك معتاد بالطبع
على مثل ذلك.

- آه... أنا لست... فرهسياً... أنا بلييكي.

قال السيد مورلي بحزم: اهدأ، اهدأ. لن تستطيع الكلام وفمك
مفتوح! يجب تجفيف حفرة السن تماماً.

نفخ هواء ساخناً في فجوة السن دون رحمة وأكمل يقول: لم
أكن أعرف أنك بلييكي... هذا مثير جداً. أنا لا أتذكر أسماء ولكن
من الملفت للنظر أنني لا أنسى وجهاً أبداً. على سبيل المثال، أحد
المرضى عندي بالأمس... كنت قد رأيته من قبل، وعندما ذكر لي
اسمه لم أتذكره أبداً، لكنني قلت في نفسي على الفور: "أين قابلتك
من قبل؟". إلى الآن لم أتذكر أين رأيته، لكنني سأذكر... إنني واثق
من هذا. تمضمض مرة أخرى من فضلك.

جاءت سيارة أجرة ووقفت أمام المنزل وظهرت منها قدمٌ نظرت إليها بوارو باهتمام شديد: كاحل دقيق وجورب من نوعية جيدة، ولكن الحذاء لم يعجبه؛ كان جلدياً جديداً ذا إبزيم معدني كبير لامع. وهز رأسه أسفاً. غير أنيق... ذوق سوقي جداً!

خرجت السيدة من سيارة الأجرة، لكن قدمها الأخرى علقته بالباب وهي تخرج فانتزع الإبزيم منها ووقع على الرصيف محدثاً رنيناً، فقفز بوارو بشهامة ورفع عن الأرض وأعاده لصاحبه وهو ينحني.

للأسف! إنها أقرب للخمسين منها للأربعين. تضع نظارة، ولها شعرٌ أصفر رمادي غير مصفوف، وثيابها غير مناسبة من تلك الأقمشة الخضراء التي تقيض النفس. وشكرته فسقطت نظارتها على الأرض ثم أسقطت حقيبتها أيضاً.

رفعهما بوارو وقد فارقت شهامته إلا بقية من أدب وأعطاهما لها، وانصرفت صاعدة درجات المنزل رقم ٥٨ في شارع الملك شارلوت.

قطع بوارو التعليقات المستاءة لسائق السيارة إزاء هوان الإكرامية التي حصل عليها: أنت فارغ؟

قال سائق السيارة عابساً: نعم، فارغ.

قال بوارو: وأنا كذلك... فارغ القلب من الهم!

رأى بوارو نظرات الارتباب على وجه سائق سيارة الأجرة فسارع إلى القول: لا يا صديقي، لست مثلاً. كل ما في الأمر أنني

كان الشاب الفلق المتململ ما زال موجوداً مما أدهش بوارو قليلاً، وكان في القاعة مريض آخر؛ رجل يقرأ مجلة.

تفحص بوارو الشاب بمزاجه الجديد اللطيف الذي خرج به من عند الطبيب: ما زال يبدو في نظره شديد القسوة... وكأنه يريد ارتكاب جريمة قتل، لكنه ليس قاتلاً حقيقياً... أو هكذا أحس بوارو. لا شك أن هذا الشاب سرعان ما سيتزلج الدرج وقد انتهت محنته، سعيداً ومبتسماً لا يتمنى المرض لأحد.

دخل الخادم وقال بحزم ووضوح: السيد بلانت.

وضع الرجل الجالس المجلة على الطاولة ونهض. كان رجلاً متوسط الطول متوسط العمر لا بالسمين ولا بالنحيل، حسن الهيئة هادئاً. وخرج على إثر الخادم.

إنه واحد من أغنى الرجال في إنكلترا وأكثرهم نفوذاً، ومع ذلك توجب عليه الذهاب إلى طبيب الأسنان كأي شخص آخر، ولا شك أنه شعر بنفس الخشية التي يشعر بها كل الناس إزاء طبيب الأسنان.

أخذ هيركيول بوارو قبعته وعصاه (وهذه الأفكار تجول في باله) ثم ذهب إلى الباب الآخر. ألقى نظرة إلى الورا فاحس بأن ذلك الشاب يعاني من ألم فظيع في أسنانه دون شك. وفي الصالة توقف بوارو أمام المرأة ليعدل شاربه الذي أفسدته حركات السيد مورلي. كان قد أكمل تواجبه وشعر بالرضا عندما نزل المصعد مرة أخرى وخرج منه الخادم يصفر بصوت صاخب، وعندما رأى بوارو سكت فوراً وجاء ليفتح له الباب الخارجي.

كنت عند طبيب الأسنان، ولن يلزمني الذهاب إليه مرة أخرى إلا بعد ستة أشهر، وهي فكرة جميلة تسعد المرء.

* * *

الفصل الثاني

كانت الساعة الثالثة إلا ربعاَ عندما رنَّ جرس الهاتف.

كان يوارو جالساً على كرسي هزاز بهضم -سعيداً- وجبة غداء فاخرة. لم يتحرك عندما رنَّ الهاتف بل انتظر جورج الوفي حتى يأتي ويرد على المكالمة. عندما سمع جورج يقول: "لحظة واحدة من فضلك يا سيدي" قال: من هذا؟

- إنه رئيس المفتشين جاب يا سيدي.

- آها؟

رفع يوارو السماعة وقربها إلى أذنه قائلاً: أهلاً يا صديقي. كيف تسير الأمور؟

- أهذا أنت يا يوارو؟

- بالطبع.

- سمعت أنك ذهبت إلى طبيب الأسنان هذا الصباح. هل هذا صحيح؟

- شارع الملكة شارلوت.

- سَاتيك على الفور.

* * *

فتح شرطيّ باب المنزل رقم ٥٨، وقال باحترام: السيد بوارو؟

- نعم، أنا.

- رئيس المفتشين في الطابق العلوي. الطابق الثاني، هل تعرفه؟

- كنت هناك هذا الصباح.

كان في الغرفة ثلاثة رجال. عندما دخل بوارو رفع جاب بصره وقال: إنني سعيد لرؤيتك يا بوارو. كَتَا على وشك رفع الجثة. هل تريد رؤيته أولاً؟

كان رجلٌ يحمل آلة تصوير جائباً على ركبتيه ويلتقط صوراً للجثة، وعندما تقدم بوارو نهض الرجل وابتعد. كانت الجثة ممددة قرب المدفأة.

بدا السيد مورلي في موته كما كان يبدو في حياته، ولكن كانت أسفل صدغه الأيمن مباشرة فتحة صغيرة مسودة، وقد أُلقي مسدس صغير على الأرض بجانب يده اليمنى الممدودة.

هز بوارو رأسه بهدوء.

همس بوارو: سكونلانديارد تعرف كل شيء!

- عند رجل يدعى مورلي في المنزل رقم ٥٨ بشارع الملكة شارلوت؟

تغيرت نبرة صوت بوارو: نعم. لماذا؟

- هل كانت زيارة حقيقية؟ أفصّد: ألم تذهب لتخيفه أو لأي شيء من هذا القبيل؟

- أهدأ بالتأكد. لقد حشا لي ثلاثة أضراس إن كان ذلك يهملك.

- كيف رأيته؟ هل كان ينصرف كالمعتاد؟

- أعتقد ذلك، نعم. لماذا؟

كان صوت جاب فقطً. قال: لأنه بعد قليل من مغادرتك... أطلق النار على نفسه!

- ماذا؟!!

قال جاب بحدة: هل هذا يدهشك؟

- بصراحة، نعم.

- لستُ راضياً عن هذا شخصياً... أوّد الحديث معك. لا أظنك

ترغب في المجيء؟

- أين أنت؟

لا يمكن للمرء أن يصدق أن رجلاً يمكن أن يقتل نفسه في خصم ساعات العمل. لماذا لا ينتظر حتى المساء؟ هذا هو الأمر الطبيعي.

واقفه يوارو، ثم قال: متى وقعت المأساة؟

- لا نعرف بالضبط. يبدو أن أحداً لم يسمع صوت الطلقة، لكني لا أظن أنهم كانوا سيسمعونها؛ إذ يفصل هذه الغرفة عن المرمر بابان حوافهما مبطنة لكمم الضوضاء والصراخ الذي يصدر عن المرضى الجالسين على كرسي العلاج.

- محتمل جداً. المرضى يصعدون أحياناً الكثير من الإزعاج.

- تماماً. كما توجد حركة مرور مزدحمة خارج العيادة في الشارع، ولذلك من غير المحتمل سماع شيء من تلك الجهة.

- متى عُثِر على الجثة؟

- في حدود الواحدة والنصف. عثر عليها الخادم ألفريد بيغز، وهو ليس بالنصي الذكي أبداً. يبدو أن مريضة السيد مورلي التي كان موعدها في الساعة الثانية عشرة والنصف أحدثت ضجة كبيرة بسبب انتظارها، وفي الساعة الواحدة وعشر دقائق جاء الخادم وضرب الباب. لم يرد أحد فلم يجرؤ الخادم على الدخول. كان قد ناله من السيد مورلي بعض التوبيخ من قبل وكان خائفاً من ارتكاب أي خطأ. نزل مرة أخرى وخرجت المريضة غاضبة في الساعة الواحدة والربع. أنا لا ألوهمها؛ فقد ظلت تنتظر ثلاثة أرباع الساعة وكانت تريد تناول الغداء.

- من تكون هذه المريضة؟

قال جاب: حسناً، يمكنكم رفعه الآن.

أخذوا جثة الميت معهم، وتخلّف جاب ويوارو في الغرفة.

قال جاب: قمنا بجمع الإجراءات الروتينية؛ بصمات الأصابع، وما إلى ذلك.

جلس يوارو وقال: حدثني.

زَمَّ جاب شفّيته وقال: ربما كان قد انتحر... أطلق النار على نفسه فعلاً. لا توجد على المسدس إلا بصمات أصابعه، لكنني لست مقتنعاً تماماً.

- وما هي اعتراضاتك؟

- بدايةً لا يبدو وجود أي سبب يدعو للانتحار. كان في صحة جيدة، وصاحب دخل جيد، ولم يُعرف عنه أنه كان يعاني من أي مشكلات أو أي قلق. لم يكن متورطاً في علاقة مع امرأة، على الأقل...

ثم صحّح جاب نفسه حذراً: على الأقل حسب علمنا لم يكن متقلب المزاج أو مكتئباً أو على غير طبيعته. هذا هو -جزئياً- سبب اهتمامي بسماع تفصيلات زيارتك. فأنت رأيت هذا الصباح، ولا أعرف إن كنت قد لاحظت عليه شيئاً.

هز يوارو رأسه نافيةً: لا شيء على الإطلاق.. كان طبيعياً للغاية.

- إذن فهذا يجعل الحادث غريباً، أليس كذلك؟ على أية حال

أكمل جاب حديثه: لكنني اتصلت بفندق سافوي. كان السيد أمبيريو تيس دقيقاً في كلامه، وقد قال إنه نظر إلى ساعته عندما أغلق الباب الخارجي للعبادة وكانت الساعة وقتها تشير إلى الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- ألم يستطع أن يخبرك بأي شيء مهم؟

- لم يفعل؛ كل ما قاله هو أن الطيب كان يبدو طبيعياً تماماً وهادئاً.

- جيد. إذن هذا واضح تماماً: بين الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة والواحدة والنصف حدث شيء ما، ويُفترض أن ذلك حدث قريباً من الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- تماماً؛ لأنه...

- لأن من شأنه - لو كان الأمر غير ذلك - أن يضغط على الجرس طلباً للمريض التالي.

- بالضبط، إن التقرير الطبي يتفق مع هذه الحقيقة. لقد فحص الطيب الشرعي الجثة في الساعة الثانية والثلاث. لم يلزم الطيب نفسه بموعد محدد لوقوع الجريمة. إنهم لا يفعلون ذلك الآن أبداً... يقولون بوجود الكثير من الحالات الخاصة والشاذة. لكن مورلي لا يمكن أن يكون قد قُتل بعد الساعة الواحدة كما يقول الطيب الشرعي. ربما قبل ذلك بوقت كبير... لكنه لم يحدد الوقت بالضبط.

ابتسم جاب وقال: وفق كلام الغلام فإن اسمها الأنسة شيرتي، ولكن اسمها في دفتر المواعيد هو كيريبي.

- ما هو النظام الذي كان متبعاً لإدخال المرضى على الطيب؟

- عندما يكون السيد مورلي مستعداً لمريضه التالي يضغط على زر الجرس الموجود هناك فيأتي الخادم ومعه المريض.

- ومتى ضغط مورلي على الزر آخر مرة؟

- في الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق، فجاء الخادم ومعه المريض الذي كان ينتظر، وهو السيد أمبيريو تيس من فندق سافوي حسبما هو مكتوب في دفتر المواعيد.

ارتسمت على شفتي بوارو ابتسامة خفيفة وقال متمتماً: ترى ماذا كان من شأن الخادم أن يفعل بهذا الاسم!

- لا بد أنه سيقبله رأساً على عقب. سنسأله الآن إن كنت راغباً بالضحك.

قال بوارو: ومتى غادر السيد أمبيريو تيس هذا؟

- الغلام لم يرافقه إلى الخارج ولذلك فهو لا يعلم. كثير من المرضى ينزلون الدرج دون قرع الجرس طلباً للمصعد ويخرجون دون علم الخادم.

أوماً بوارو موافقاً.

إنه من النوع الغبي الذي يتدخل في كل شيء ويفسده ثم يكذب بطريقة تلقائية.

نظر بوارو إلى الغرفة حوله متأملاً. نظر إلى المغسلة وراء الباب، وإلى خزانة الملفات الطويلة على الجانب الآخر من الباب. نظر إلى كرسي العلاج والأجهزة التي تحيط فيه قرب النافذة، ثم إلى موقد النار، وأخيراً إلى حيث كان الجسد ممدداً. كان قرب المدفأة باب آخر.

كان جاب يتابع نظراته. قال: "إنه مكتب صغير"، ثم فتح الباب.

كان كما قال؛ غرفة صغيرة فيها مكتب وطاولة عليها مصباح يعمل بالنفط وطقم شاي وبعض الكراسي، ولم يكن هناك باب آخر.

أوضح جاب قائلاً: هنا تعمل سكرتيرته، الأنسة نيفيل. يبدو أنها قد خرجت اليوم.

نظر كل منهما للآخر، وقال بوارو: أذكر أنه أخبرني. هذه أيضاً... قد تكون نقطة ضد فكرة الانتحار، أليس كذلك؟

- تقصد أنها أبعدت عن الطريق؟

سكت جاب قليلاً، ثم قال: إذا لم يكن انتحاراً فقد قُتل. ولكن لماذا؟ إن قتله مستبعد تماماً كانتحاره؛ إذ يبدو أنه كان رجلاً مسالماً هادئاً. منْذا يريد قتله؟

قال بوارو متأملاً: إذن كان طيبنا القليل إنساناً مبتهجاً مهذباً ومعتدراً في عمله في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وبعد ذلك؟ ياس... ويؤس... وانتحار؟

قال جاب: هذا مشير... لا بد أن تعترف بأنه أمر مشير.

- ليست «مشير» هي الكلمة المناسبة.

- أعرف أنها ليست كذلك، لكنه شيء لا بد من قوله. إنه غريب، ربما تحب استخدام هذه الكلمة أكثر.

- هل كان المسدس مسدسه.

- لا، لم يكن لديه مسدس. لم يحمل مسدساً أبداً، وكما تقول أخته لم يكن في البيت أي مسدس. معظم الناس يحتفظون بمسدسات في بيوتهم، ربما اشترى واحداً إن كان قد قرر الانتحار، وإذا كان الأمر كذلك فسوف نعرفه عما قريب.

سأله بوارو: هل يوجد شيء آخر يقلقك؟

مسح جاب أنفه وقال: لدينا الطريقة التي كان ممدداً بها. لا أقول إن القليل لا يمكن أن يقع على الأرض، ولكن وضعه على الأرض لم يكن -على نحو ما- وضعاً صحيحاً! كما أن على السجاد أثراً ما، وكان شيئاً شُحِب عليه.

- إذن فهذا يوحي بشيء دون شك.

- نعم، إلا إذا كان ذلك الولد المعنوه. أظن أنه ربما حاول تحريك مورلي عندما وجده. إنه ينكر ذلك بالطبع، ولكنه كان خائفاً.

- إنني لأتساءل...

الفتفت جاب إليه فجأة وقال: ماذا تخشى الآن؟

- لا شيء... ملاحظة عابرة فقط.

أعاد على مسامع جاب تلك الكلمات البسيطة العرضية التي قالها السيد مورلي عن تمييزه للوجوه وذكره لأحد المرضى مثلاً على ذلك.

بدأ جاب مرتاباً وقال: أظن أن هذا ممكن، لكنه مستهجن قليلاً. قد يكون شخصاً أراد إيقاظ هويته سراً. هل لاحظت أي واحد من المرضى الآخرين اليوم؟

قال بوارو: رأيت في قاعة الانتظار شاباً بدأ مثل قاتل بالضبط!

قال جاب مرعوباً: ما هذا؟!

ابتسم بوارو وقال: يا صديقي، كان ذلك عندما وصلت إلى هذا المكان، وكنت عصبي المزاج وأتخيل أشياء. كان كل شيء يبدو لي شريراً؛ قاعة الانتظار، والمرضى، وحتى السجاد على الدرج. والواقع أنني أعتقد بأن ذلك الشاب كان يعاني من ألم شديد في أسنانه. كان ذلك كل ما في الأمر.

قال جاب: ربما كان ذلك صحيحاً، لكننا - مع ذلك - سندقق في مجرمك هذا. سوف ندقق في كل شخص سواء أكان الأمر انتحاراً أم غير ذلك. أظن أن أول عمل لنا هو مقابلة الأنسة مورلي مرة أخرى.

- من الذي بوسعه أن يقتله؟

- الإجابة عن ذلك تكاد تكون: أي شخص! أخته يمكن أن تكون قد نزلت من شقتها في الأعلى وقتلته.. واحد من الخدم يمكن أن يأتي ويقتله.. شريكه في العيادة، ريلي، يمكن أن يكون قد قتله.. الولد الفريد أيضاً ربما هو الذي قتله.. أحد المرضى يمكن أن يقتله.

سكت قليلاً ثم قال: وأمبيربوتيس يمكن أن يكون هو القاتل، فهو الأسهل من بين الجميع.

أوماً بوارو وقال: ولكن - في هذه الحالة - علينا أن نعرف السبب؟

- بالضبط. لقد جئت ثانية إلى المشكلة الأصلية. لماذا؟ أمبيربوتيس يقيم في فندق سافوي. لماذا يأتي يوناني ويقتل طبيباً مسالماً؟

هز بوارو كتفيه مستهجناً وقال: يبدو أن الموت قد اختار الرجل الخطأ. اليوناني الغامض، والمصرفي الثري، ورجل التحري المشهور... أمر طبيعي أن يُقتل واحد من هؤلاء! لأن الأجنبي الغامضين ربما كانوا متورطين في أعمال تجسس، ورجال البنوك الأغنياء لهم علاقات ويمكن أن يستفيد آخرون من موتهم، ورجال التحري المشهورين ربما شكلوا خطراً على المجرمين.

ردّ عليه جاب مكتئباً: بينما المسكين مورلي لم يكن خطراً على أحد.

- ولِمَ كان ذلك؟

- كان أمامه يوم مليء بالمواعيد والمرضى لكن سكرتيرته التي تساعدته قد استدعت إلى بيت أهلها.

- أتعتين الآنسة نيفيل؟

- نعم.

- ماذا كانت تعمل له في العادة؟

- كانت تقوم بجميع مراسلاته بالطبع، وتحفظ دفتر المواعيد وتنظم ملفات المرضى، كما كانت تقوم بتعقيم الأدوات وتعدّ الحشوات وتعطيها له أثناء عمله.

- هل تعمل معه منذ زمن طويل؟

- ثلاث سنوات، إنها فتاة موثوقة وكنا نحبا كثيراً أنا وأخي.

قال يوارو: أخوك أخبرني بأنها ذهبت بسبب مرض قريبة لها.

- نعم، استلمت برقية تقول إن عمته أصيبت بسكتة، وذهبت إلى سومرست في قطار مبكر.

- وهل هذا ما ضايق أخاك كثيراً؟

- نعم... نعم.

كانت الآنسة مورلي مترددة في إجابتها قليلاً، ثم أكملت بسرعة: يجب... يجب ألا تظن أن أخي كان عديم الشعور، إنما ظن فقط... ظن...

لم أتكلم معها كثيراً، كانت صدمة لها بالطبع لكنها ليست من النوع الذي يتهار. سنذهب ونراها الآن.

بدت جورجينا مورلي متجهمة مكتئبة وهي تستمع للرجلين وتجيب عن استفساراتهما. قالت بجزم وتأکید: إنه أمر غير قابل للتصديق أبداً بالنسبة لي. أخي ما كان لينتحر بأي حال!

سألها يوارو: هل تفكرين بأي احتمال آخر يا آنسة مورلي؟

قالت: "تقصّد الجريمة؟". ترددت قليلاً ثم قالت ببطء: الحقيقة أن الاحتمال البديل يبدو مستحيلاً بدرجة قريبة مما يبدو به احتمال الانحيار.

- ولكن ليس مستحيلاً بنفس القدر كما يبدو؟

- لا؛ لأن... الحقيقة أنا أتحدث في الحالة الأولى عن أمر أعلمه تمام العلم؛ أعني حالة أخي العقلية. أنا أعلم أنه لم يعان من أي مشكلة عقلية، وأنا أعلم أنه ما كان يملك أي سبب، أي سبب على الإطلاق ليفرط بحياته.

- هل رأيته هذا الصباح قبل ذهابه إلى العمل؟

- نعم، على الإفطار.

- وهل كان عادياً تماماً؟ ألم يكن متزعجاً بأي شكل؟

- بلى، كان متزعجاً، ولكن ليس بالطريقة التي تعنيها. كان متضايقاً فقط.

ردت عليه بعنف: هراء... أن تقول بأن فرانك قتل هنري! لقد
نصح هنري الفتاة بأن لا ترتبط بهذا الشاب بالتأكيد، لكنها لم تأخذ
بتصيحته؛ إنها تحب فرانك حباً أعمى.

- هل تذكرين أحداً آخر كان يحقد على أخيك؟

هزت الأنتسة مورلي رأسها نافية.

- هل كان على وفاق مع شريكه السيد ريلي؟

ردت الأنتسة مورلي بحدة: كانت أفضل علاقة يمكن للمرء أن
يأمل بإقامتها مع أيرلندي!

- ماذا تصفين بهذا يا أنتسة مورلي؟

- الأيرلنديون أصحاب طبع حاد ويستمتعون بأي شجار كان،
وقد كان السيد ريلي يحب الجدل في المسائل السياسية.

- أهذا كل شيء؟

- هذا كل شيء. السيد ريلي رجل غير مُقنع في الكثير من
الأمور، لكنه ماهر جداً في عمله... أو هكذا قال أخي.

ألخ عليها جاب: كيف يكون غير مقنع؟

ترددت الأنتسة مورلي ثم قالت بحدة: إنه يشرب كثيراً... ولكن
أرجو أن لا يخرج هذا الكلام من بيننا.

- هل وقعت أي مشكلة بينه وبين أخيك بسبب هذه
المسألة؟

- نعم أنتسة مورلي؟

- ظن أنها ربما نهيت من الدوام عمداً. آه! أوجوك لا تُسب
فهمي. أنا متأكدة من أن غلاديس لا تفعل مثل هذا الشيء أبداً.
أخبرت هنري بذلك، لكن حقيقة الأمر أنها ارتبطت بشاب غير
مناسب. وقد نضايق هنري من هذا كثيراً، وخطر له أن هذا الشاب
ربما أقتعها بأن تأخذ يوم راحة.

- هل كان ذلك محتملاً؟

- لا، أنا واثقة أنه ليس كذلك؛ غلاديس فتاة مستقيمة تماماً.

- لكنه أمر يمكن لشاب مثله أن يقترحه عليها؟

تأفقت الأنتسة مورلي وقالت: ممكن تماماً فيما أحسب.

- ماذا يعمل هذا الشاب؟ ما اسمه بالمناسبة؟

- فرانك كارتر. أظن أنه يعمل (أو كان يعمل) كاتباً في شركة
تأمين. وقد فقد وظيفته قبل بضعة أسابيع، ويبدو أنه لم يستطع العثور
على وظيفة أخرى. وقد قال هنري -وأظنه كان مصيباً- إن الشاب
فاسد تماماً، وفي الواقع أقرضته غلاديس بعضاً من مدخراتها وانزعج
هنري من ذلك كثيراً.

سأل جاب بحدة: هل حاول أخوك إقناعها بالابتعاد عنه؟

- نعم، فعل. أعرف هذا.

- إذن ربما حمل فرانك كارتر هذا ضغينة لأخيك.

كانت غلاديس نيقيل فتاة طويلة القامة بيضاء إلى حد الشحوب،
في الثامنة والعشرين من عمرها تقريباً، ورغم أنها كانت متضايقة جداً
إلا أنها أظهرت على الفور قدرة وذكاء.

أخذها جاب بعيداً عن الأنسة مورلي متظاهراً بأنه يريد رؤية
أوراق السيد مورلي وذهب إلى المكتب الصغير المجاور لغرفة العيادة.
كررت أكثر من مرة: لا أصدق هذا! لا يمكنني التصديق بأن السيد
مورلي يمكن أن يقوم بهذا العمل!

شدت كثيراً على أنه لم يكن يبدو متعباً أو قلقاً من أي شيء،
فقال جاب: تم استدعاؤك اليوم يا أنسة نيقيل...

قاطعت قائلة: نعم، وكان الأمر كله مقلباً سخيفاً قدرأ! فظيغ
أن يعتمد الناس إلى القيام بمثل هذه الأمور.

- ماذا تقصدين يا أنسة نيقيل؟

- لم يكن في عمتي أي شيء. إنها في أحسن حال، ولم
تفهم سبب زيارتي لها عندما رأنتي. كنت مسرورة - بالطبع - عندما
رأيتها على تلك الحال، لكنني فقدت صوابي.. إرسال برقية كهذه
وإزعاجي.

- هل تحملين تلك البرقية يا أنسة؟

- أظن أنني رميتها في المحطة. كانت تقول: "عمتك أصيبت
بسكتة الليلة الماضية، يرجى حضورك على الفور".

- هل أنت متأكدة تماماً...

- لفتح له هنري مرة أو مرتين. في طب الأسنان يحتاج الطبيب
إلى يد ثابتة، كما أن رائحة الكحول لا توحى للمريض بالثقة.

أوما جاب برأسه ثم قال: هل لك أن تحدثينا عن الوضع المالي
لأخيك؟

- كان هنري يحصل على دخل عالٍ كما كان يدخر مبلغاً معيناً،
وقد كان لنا - نحن الاثنين - دخل صغير خاص تركه لنا والدنا.

قال جاب وهو يسعل قليلاً: هل تعرفين إن كان أخوك قد ترك
وصية أم لا؟

- نعم، لقد ترك وصية، ويمكنني إخبارك بمحتوياتها. ترك مئة
جنيه لغلاديس نيقيل والباقي تركه لي.

- نعم، هذا مفهوم. والآن...

ضرب أحدهم الباب بقوة وأطل ألفريد برأسه متمعناً في
الرجلين الزائرين وهو يقول: إنها الأنسة نيقيل. لقد عادت، وهي
بحالة فظيعة، وتريد أن تعرف إن كان بوسعها أن تدخل؟

أوما جاب برأسه وقالت الأنسة مورلي: قل لها أن تأتي هنا
يا ألفريد.

قال ألفريد: "حسناً"، ثم ذهب.

قالت الأنسة مورلي وهي تنهده: هذا الولد محنة كبيرة!

سألها بوارو: كان هنا عندما وصلت رجل عسكري طويل،
من يكون؟

- أظن أنه أحد مرضى السيد ريلي، هل أحضر لك قائمة
بأسماء المرضى الذين زاروه؟

- شكراً لك يا آنسة نيفيل.

غابت بضع دقائق ثم عادت وهي تحمل دفترًا شبيهًا بدفتر
السيد مورلي قرأت منه بصوت مرتفع: الساعة العاشرة: بيتي
هيث، فتاة صغيرة في التاسعة مع عمرها. الحادية عشرة: الكولونيل
أبروكرومبي.

تعثم بوارو: أبروكرومبي... إذن هذا هو!

- الحادية عشرة والنصف: السيد هوارد رايكز. الثانية عشرة:
السيد بارنز. هؤلاء هم جميع المرضى الذين جاؤوا هذا الصباح، إذ
ليس للسيد ريلي -بالطبع- مواعيد كثيرة كما هي الحال عند السيد
مورلي.

- هل يمكنك أن تخبرنا أي شيء عن أي مريض من مرضى
السيد ريلي؟

- الكولونيل أبروكرومبي مريض يتلقى العلاج منذ وقت طويل،
وجميع أطفال السيدة هيث باتون عند السيد ريلي. لا أعرف شيئاً عن
السيد رايكز أو السيد بارنز، مع أنني أتخيل أنني سمعت باسمهما!
فأنا أتولى الرد على كل المكالمات الهاتفية.

سعل جاب قليلاً قبل أن يكمل: بأن صدقك، السيد كارتر،
ليس هو الذي أرسل البرقية؟

- فرانك؟ لماذا؟ آه، فهمت... تقصد... عملاً مدبراً بيتنا؟
لا يا حضرة المفتش، إننا لا نقوم بمثل هذا العمل.

بدا سخطها طبيعياً ووجد مشقة في تهدئتها، لكن سؤالاً منه
عن المرضى المسجلين لهذا اليوم بالذات أعادها إلى طبيعتها من
جديد.

- كلهم هنا في الدفتر. أفنك رأيت، وأنا أذكر معظمهم. الساعة
العاشرة: السيدة سومز، وكانت الزيارة بخصوص طقم أسنانها
الجديد. العاشرة والنصف: الليدي غرانت، وهي سيدة عجوز
تعيش في لاوندز سكوير. الحادية عشرة: السيد هيركيول بوارو،
يأتي بصفة منتظمة... آه، هذا هو بالطبع. أنا أسفة يا سيد بوارو،
لكنني متزوجة جداً. الحادية عشرة والنصف: السيد أليستير بلانت،
الرجل المصرفي الذي تعرفونه. موعد قصير لأن السيد مورلي قد
أعد له الحشوة في المرة الأخيرة. ثم الأنسة سينيري سيل. اتصلت
اتصالاً خاصاً وقالت إن ضررها يؤلمها ولذلك أعطها السيد مورلي
موعداً، إنها ثرثرة لا تتوقف عن الكلام أبداً، كما أنها من النوع
الذي يسبب المتاعب. ثم الساعة الثانية عشرة السيد أميريوتيس. كان
مريضاً يأتي لأول مرة، وقد أخذ الموعد وهو في فندق سافوي...
إن السيد مورلي يعالج كثيراً من الأجانب والأمريكان. ثم في الساعة
الثانية عشرة والنصف الأنسة كيربي التي جاءت من وردنغ.

- ولكن لماذا اتصلوا بك؟

- آه، هذا بسيط. أليستير بلانت... حالما سمع المفتش المحلي بأنه كان موجوداً صباح اليوم هنا ذهب إلى سكوتلانديارد. إن السيد بلانت رجل نهتم به في هذا البلد.

- هل تقصد أن أناساً يريدون إزاحته عن الطريق؟

- بالتأكيد. الشيوعيون أولاً... وأفراد منظمة القمصان السود عندما أيضاً. إن بلانت ومجموعته هم الذين يقفون خلف الحكومة الحالية ويدعمونها، ولو خُشي أدنى احتمال بوجود أي محاولة أو عمل يستهدف حياته هذا الصباح فإنهم سيطلبون إجراء تحقيق شامل.

أوماً بوارو برأسه: "هذا ما ختمته، وهذا هو الشعور الذي انتابني...". لُوح بيديه بطريقة معبرة وأكمل يقول: شعرت بأنه ربما كان في الأمر... تداخل من نوع معين، وأن الضحية الحقيقية كانت، أو أريد لها أن تكون، أليستير بلانت. أم أن هذه مجرد بداية... بداية حملة من نوع معين؟ إنني أشتم... أشتم رائحة أموال كبيرة في هذه القضية!

قال جاب: إنك تبالع في افتراضاتك.

- إنني أقول بأن المسكين مورلي كان مجرد ضحية في هذه اللعبة. ربما كان يعرف شيئاً، ربما أخبر بلانت شيئاً، أو أنهم خافوا أن يخبر بلانت بشيء ما...

سكت بوارو عندما دخلت غلاديس نيفيل الغرفة، قالت: السيد

قال جاب: يمكننا أن نسأل السيد ريلي بأنفسنا؛ أريد رؤيته في أسرع وقت ممكن.

خرجت الأنسة نيفيل، فقال جاب ليوارو: جميع مرضى السيد مورلي من الزبائن القدامى ما عدا أمبيريويس، وسأذهب لأتحدث معه حديثاً مثيراً بعد قليل. إنه آخر شخص رأى السيد مورلي على قيد الحياة، ويجب أن نتأكد من أنه -عندما رآه آخر مرة- كان السيد مورلي حياً فعلاً.

قال بوارو بيظه وهو يهز رأسه: ما زال عليك إثبات الدفاع.

قال جاب: نعم. هذه هي المشكلة التي ستواجهنا، ولكن قد نحصل على معلومات عن أمبيريويس من سكوتلانديارد، ثم أضاف بحدة: إنك غارق في التفكير يا بوارو!

- كنت أتساءل عن شيء ما.

- ما هو؟

قال بوارو بإتسامة خفيفة: لماذا رئيس المفتشين جاب؟

- ماذا؟

- قلت: "لماذا رئيس المفتشين جاب؟" ضابط كبير في مثل

مكانتك... هل يُستدعى عادة من أجل قضية انتحار؟

- الواقع أنني كنت في مكان قريب في ذلك الوقت؛ كنت في لافينهام في شارع ويغومور، وقعت هناك أعمال احتيال بارعة منظمة، وقد اتصلوا بي وأنا هناك حتى آتني هنا.

- هل جاء إلى المنزل أي غريباً؟

- لا يا سيدي.

- ولا حتى من بين المرضى؟

- أنا أعرف كل المرضى، ولم يأت أحد دون موعد إن كان هذا ما تعنيه. كلهم كانت أسماؤهم مسجلة في دفتر المواعيد.

أوماً جاب ثم سأله بوارو: هل كان يوسع أحد أن يدخل من الخارج؟

- لا، لا يمكن، يجب أن يكون معه مفتاح.

- لكن مغادرة المنزل كانت سهلة تماماً.

- نعم، فقط أدر مقبض الباب واخرج ثم ادفع الباب وراءك. كما قلت لكما فإن معظم المرضى كانوا يفعلون ذلك. إنهم كثيراً ما ينزلون الدرج بينما أكون في المصعد مع المريض التالي، هل فهمتني؟

- فهمت. أخبرنا الآن: من الذين جاؤوا اليوم بدءاً بأولهم؟ صفهم لنا إن كنت لا تتذكر أسماءهم.

- فكر ألفريد دقيقة ثم قال: سيدة مع فتاة صغيرة جاءتنا إلى السيد ريلي، وامرأة تدعى السيدة سوب (أو اسم قريب من هذا) جاءت إلى السيد مورلي.

قال بوارو: حسناً، أكمل.

ريلي مشغول بعملية خلع ضرس، وهو سيفرغ بعد عشر دقائق تقريباً إن كان ذلك يناسبكما؟

قال جاب بأنه موعد مناسب، وقال بأنه يريد - في غضون ذلك - الحديث مرة أخرى مع الخادم ألفريد.

تفاسمت ألفريد مشاعر العصبية والمتعة والخوف المرعب من توجيه اللوم له عن أي شيء حديث! إذ لم يمض على عمله عند السيد مورلي إلا أسبوعان فقط اتسمت كل أعماله خلالهما بالخطأ بلا استثناء، وقد أضعف اللوم المتواصل ثقته بنفسه.

قال ألفريد رداً على أحد الأسئلة: ربما كان نزقاً بعض الشيء أكثر من السعدان، لا شيء أكثر. ما كنت أظن أبداً أنه سيفتل نفسه.

تدخل بوارو قائلاً: يجب أن نخبرنا بكل ما يمكنك أن تتذكره عن هذا الصباح. إنك شاهد مهم جداً، وإن ما تتذكره قد يشكل خدمة هائلة لنا.

تورد وجه ألفريد باللون القرمزي وانفتح صدره. كان قد قدم لجاب من قبل سرداً مختصراً لأحداث الصباح، وقد اعتمزم الآن أن يتوسع في الشرح؛ فقد تملكه شعور مريح بأهمية نفسه. قال: سأخبرك دون شك... أسألني ما بدا لك.

- أولاً: هل حدث أي شيء خارج المؤلف هذا الصباح؟

فكر ألفريد دقيقة ثم قال حزيناً: لا، كل شيء كان كالمعتاد.

بلانت... في الساعة الحادية عشرة والنصف. ثم نزلت ورافقتك إلى الخارج وأدخلت سيده، الأنسة سوم بيرري سيل (أو اسماً قريباً من هذا). ثم ذهبتُ إلى المطبخ لتناول فنجان من الشاي، وعندما كنت هناك قرع الجرس، جرس السيد ريلي، ولذلك صعدت... وكما قلت: كان الأمريكي قد فر، ذهبت وأخبرت السيد ريلي بأمره فراح يشتم ويسب كعادته.

قال بوارو: استمر.

- دعني أتذكر ما حدث بعد ذلك. آه، نعم، رن جرس السيد مورلي لطلب الأنسة سيل، وخرج ذلك الأنيق بينما كنت أخذت تلك الأنسة في المصعد. ثم نزلت ثانية وجاء رجلان؛ أحدهما ضئيل الجسم ذو صوت مضحك كالصربير (لا أذكر اسمه) كان قادماً للسيد ريلي، ورجل بدين أجنبي جاء للسيد مورلي.

لم تبق الأنسة سيل طويلاً، ليس أكثر من ربع ساعة، ورافقتها إلى الباب الخارجي ثم أخذت الرجل الأجنبي إلى الطيب. وكنت قد أخذت ذلك الرجل الآخر إلى عيادة السيد ريلي حالماً وصل.

قال جاب: ألم تر السيد أمبيربوتيس، ذلك الرجل الأجنبي، وهو يغادر؟

- لا أظن ذلك يا سيدي. لا بد أنه خرج بنفسه، كما أنني لم أر هذين الرجلين يخرجان.

- أين كنت ابتداء من الساعة الثانية عشرة؟

- ثم سيده كبيرة أخرى... كانت مبهزجة قليلاً وجاءت في سيارة ديمبلر، وحالما خرجت دخل رجل عسكري طويل، وبعده مباشرة جئت أنت.

وأشار إلى بوارو برأسه.

- صحيح.

- ثم جاء الأمريكي.

قال جاب بحدة: أمريكي؟!!

- نعم يا سيدي، شاب كان أمريكياً دون شك... يمكنك معرفة ذلك من كلامه. جاء مبكراً، قبل مواعده الذي كان مقرراً في الساعة الحادية عشرة والنصف. والآنكى من ذلك أنه لم يلتزم بالموعد.

سأل جاب بحدة: كيف؟

- دخلت عليه عندما ضغط السيد ريلي على الجرس في الساعة الحادية عشرة والنصف. والواقع أن الجرس كان متأخراً، ربما كان في الثانية عشرة إلا ثلثاً... ولم يكن الشاب موجوداً! لا بد أنه جين عن حوض التجربة وخرج.

ثم قال بلهجة العارف: إنهم يفعلون ذلك أحياناً.

قال بوارو: إذن لا بد أنه خرج بعدي مباشرة؟

- صحيح يا سيدي. أنت خرجت بعدما أخذت الرجل الأنيق الذي جاء بسيارة الرولتز إلى الطيب. كانت سيارة رائعة، السيد

- ألم تفكر أن تذهب إلى السيد مورلي قبل ذلك لترى إن كان مستعداً أم لا؟

هز ألفريد رأسه بقوة وقال: لا أفعلها يا سيدي! ما كنت لأحلم بالقيام بمثل هذا التصرف؛ فبالنسبة لي كان الرجل الأخير ما زال موجوداً عنده. كان عليّ انتظار الجرس، ولو كنت عرفت أن السيد مورلي قد انتحر لكنت بالطبع...

هز ألفريد رأسه أسفاً. وسأله بوارو: هل كان من عادة الطبيب أن يقرع الجرس قبل نزول المريض أم بعد ذلك؟

- حسب الظروف. في العادة ينزل المريض الدرج ثم يقرع الطبيب الجرس. إذا قرع الزبون جرس المصعد فإن الجرس الآخر ينطلق أثناء وجودي مع المريض الخارج في المصعد، لكن ذلك لم يكن ثابتاً. أحياناً ينتظر السيد مورلي بضع دقائق قبل أن يقرع الجرس للمريض التالي، أما إذا كان في عجلة من أمره فإنه يقرعه حال خروج المريض من الغرفة.

- فهمت.

سكت بوارو قليلاً ثم أكمل: هل فوجئت بانتحار السيد مورلي يا ألفريد؟

- لقد صعقت. لم يكن من سبب يدعو للانتحار حسب علمي... آه!

اتسعت عينا ألفريد ثم أضاف: أ... أم تراه قُتل؟

- كنت أجلس دائماً في المصعد أنتظر إلى أن يقرع أحد جرس الباب الخارجي أو يقرع أحد الطيبين جرسه.

قال بوارو: ربما كنت تقرأ؟

احمض وجه ألفريد وقال: ليس في هذا ضرر يا سيدي... ليس عندي عمل آخر أقوم به.

- صحيح، ماذا كنت تقرأ؟

- قصة اسمها «موت في الثانية عشرة إلا ربعا». إنها قصة بوليسية أمريكية، قصة ممتازة؛ كلها عن القتل والمحترفين.

ابنسم بوارو ابتسامة خفيفة وقال: هل كنت تسمع صوت الباب الخارجي عندما يغلق وأنت جالس مكانك؟

- تقصد أي شخص يخرج؟ لا أظن ذلك يا سيدي، ما أقصده أنني لا ألاحظ ذلك؛ فالمصعد في مؤخرة الصالة وهو يقع خلف زاوية. أما الأجراس فاسمعا لأن جرس الباب يقرع خلف المصعد تماماً، وكذلك جرسا الطيبين... لا يمكن أن يقرع أي من تلك الأجراس دون أن أنتبه له.

أوما بوارو، ثم تولى جواب الأسئلة: ماذا حدث بعد ذلك؟

قطب ألفريد جبينه في جهد فائق للتذكر، ثم قال: بقيت فقط السيدة الأخيرة، الأنسة شيرتي. انتظرت سماع جرس السيد مورلي ولكنني لم أسمع شيئاً، وفي الساعة الواحدة أصبحت السيدة التي تنتظر نزقة عصبية.

سأله بوارو: وهل انتظر؟

لاحظ نظرة ذعر في عيني ألفريد وقال: بالطبع لم أفكر في هذا
أبدأً ذهب إلى قاعة الانتظار، لكنه لم يكن هناك فيما بعد. لا بد أنه
مل الانتظار وفكر في العودة مرة أخرى.

عندما خرج ألفريد من الغرفة قال جاب بحدّة: أتظن أنه كان من
الحكمة أن نوحى لهذا الصبي بأن الأمر ينطوي على عملية قتل؟

رفع بوارو كفتيه بلامبالاة وقال: أظن ذلك، نعم. إنه سيتذكر
أي شيء ذا مغزى يمكن أن يكون سمعه أو رآه عندما نعطيه مثل هذا
الحافز، وسيكون متيقظاً تماماً لأي شيء يجري هنا.

- ولكننا - مع ذلك - لا نريد لهذا الأمر أن يصبح قيد التداول
بهذه السرعة.

- لن يصبح كذلك يا صديقي. ألفريد يقرأ قصصاً بوليسية...
إنه متحمس بالجريمة، وأي شيء يقوله بهذا الخصوص سوف يُعزّا إلى
خياله الخصب.

- ربما كنت على حق يا بوارو. نريد أن نسمع الآن ما يمكن
لريلي أن يقوله.

كانت عبادة السيد ريلي ومكتبه في الطابق الأول، وكانا

تدخل بوارو قبل أن يردّ عليه جاب: افترض أنه قُتل، فهل
ستكون دهشتك أقل؟

- لا أدري يا سيدي. لا أفهم من عساه يرغب في قتل السيد
مورلي، فقد كان رجلاً عادياً جداً يا سيدي. هل قتل حقاً؟

قال بوارو بهدوء: يجب أن نضع كل الاحتمالات في الحسبان.
ولذلك قلت لك إنك ستكون شاهداً مهماً جداً وأنت يجب أن تحاول
وتتذكر كل شيء حدث صباح هذا اليوم.

شدّد على كلماته وقطب ألفريد جبينه في محاولة جادة
للتذكر.

- لا أستطيع أن أتذكر أي شيء آخر يا سيدي... لا أستطيع
فعلًا.

كانت نيرة ألفريد حزينة. قال بوارو: جيد يا ألفريد، هل أنت
واثق من عدم حضور أحد إلى المنزل هذا الصباح غير المرضى؟

- لم يأت غريب يا سيدي، إنما جاء صديق الأنسة نيفيل، وقد
انزعج إذ لم يجدها هنا.

سأل جاب بحدّة: متى كان ذلك؟

- بعد الثانية عشرة، وعندما أخبرته أن الأنسة نيفيل خرجت
اليوم بدا منزعجاً جداً وقال إنه سينتظر حتى يرى السيد مورلي. قلت
له إن السيد مورلي مشغول حتى ساعة الغداء لكنه قال إن ذلك لا يهم
وقال إنه سينتظر.

طفلة لطيفة وأنا أعالج جميع أفراد أسرتها، الكولونيل أبركومي
مريض قديم عندي أيضاً.

سأله جاب: ماذا عن السيد هاوارد رايكز؟

ابنهم ريلبي ابنة عريضة وقال: ذلك الشاب الذي تركني
وخرج؟ إنه لم يأت إليّ من قبل ولا أعرف عنه شيئاً، وقد اتصل
بالهاتف وطلب موعداً خاصاً هذا الصباح.

- من أين اتصل بك؟

- من فندق هولبورن بالاس، أظن أنه أمريكي.

- هذا ما قاله ألفريد.

قال السيد ريلبي: ألفريد يعرف؛ فهو من هواة الأفلام.

- ومريضك الآخر؟

- بارنز؟ رجل ضئيل الجسم غريب في دفته وانضباطه، موظف
مدني متقاعد، يسكن في طريق إيلنغ.

سكت جاب قليلاً ثم قال: ماذا يمكنك أن تخبرنا عن الأنسة
نيفيل؟

رفع السيد ريلبي حاجبيه وقال: السكرتيرة الشقراء الجميلة؟ لم
تكن له أية علاقة معها! علاقتها مع مورلي علاقة شريفة، أنا واثق
من هذا.

واسعين كعبادة الدكتور مورلي ومكتبه في الطابق الثاني لكن الضوء
فيهما خافت أكثر ولم يكونا مجهزين تجهيزاً وافراً.

كان شريك السيد مورلي شاباً طويل القامة أسمر ذا غرة تتدلى
على جبينه، وكان ذا صوت مريح وعينين حادتي الذكاء.

قال جاب بعد أن قدم نفسه: نأمل - يا سيد ريلبي - أن تستطيع
إلقاء بعض الضوء على هذه المسألة.

رد عليه قائلاً: إذن فأنت مخطئ لأنني لا أستطيع. كل ما أستطيع
قوله هو أن هنري مورلي كان آخر شخص يمكن أن ينتحر، ربما
أفعلها أنا لكنه لا يفعلها.

سأله بوارو: لماذا يمكن أن تفعلها أنت؟

- لأنني أعيش في بحر من الهموم، منها -مثلاً- المتاعب
المالية! لم أستطع حتى الآن التوفيق بين مصاريفي ودخلي، لكن
مورلي كان رجلاً حذراً؛ فلن تجده مديناً ولا متاعب مالية يعاني
منها.. أنا متأكد من ذلك.

قال جاب: علاقات عاطفية؟

- أتقصّد مورلي؟ لم يكن يستمتع بالحياة أبداً. كان واقعاً تحت
السيطرة التامة لأخته، مسكين!

واصل جاب سؤال ريلبي عن تفصيلات تتعلق بالمرضى الذين
رآهم هذا الصباح.

- أظنهم جميعاً موثوقون وفوق الشبهات؛ الصغيرة بيتي هيث

وضع جاب سماعة الهائف والتفت إلى بوارو بوجه عابس قائلاً: السيد أميريوتيس يشعر بالتعب ولا يريد رؤية أحد عصر هذا اليوم، ولكنه سوف يراني، كما أنه لن يهرب مني! وضعت رجلاً في فندق سافوي وهو على استعداد لمطارده إن حاول الهروب.

قال بوارو متأملاً: أعتقد أن أميريوتيس قتل مورلي؟

- لا أعرف. لكنه كان آخر شخص رآه حياً، وهو مريض جديد. وحسب روايته فإنه ترك مورلي على قيد الحياة وبصحة جيدة في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة. قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون. إن كان مورلي بخير وقتها فعلينا إعادة تنظيم الأحداث التي وقعت بعد ذلك. كانت خمس دقائق قد بقيت قبل حلول مواعده التالي، فهل دخل شخص أثناء الدقائق الخمس هذه؟ لنقل أنه كارتر مثلاً؟ أو ريلي؟ ماذا حدث؟ ثق بأن مورلي كان مقتولاً في الساعة الثانية عشرة والنصف أو الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة على أبعد تقدير، وإلا لضرب الجرس أو اعتذر للآنسة كيري لعدم استطاعته رؤيتها. لا، إنما أنه كان مقتولاً أو أن شخصاً أخبره شيئاً قلب مزاجه رأساً على عقب فانحصر.

سكت، ثم قال: سوف أتحدث مع كل مريض رآه هذا الصباح. يوجد احتمال بأن يكون قد قال شيئاً لواحد منهم يمكن أن يضعنا على الطريق الصحيح.

نظر إلى ساعته وقال: السيد أليستير بلانت قال إن بإمكانه تخصيص بضع دقائق من وقته لي في الساعة الرابعة والربع. سنذهب إليه أولاً؛ فينته في منطقة تشيلسي أماركمنت، ثم بإمكاننا المرور

قال جاب وقد احمر وجهه قليلاً: أنا لم أقل إنها كانت علاقة غير شريفة.

قال ريلي: غلظتي، أرجو المعذرة بسبب تسرعني. ظننت أنها قد تكون محاولة منك للربط وفق مبدأ «ابحث عن المرأة».

- هل تعرف عن خطيبتها الشاب أي شيء؟ علمت أنه اسمه كارتر، فوانك كارتر.

قال ريلي: لم يكن مورلي يتق فيه كثيراً، وقد حاول حمل نيفيل على التخلي عنه.

- ربما أزعج ذلك كارتر؟

رد عليه ريلي منتهجاً: "ربما أزعجه كثيراً". وسكت قليلاً ثم أضاف: أرجو المعذرة، هل تحقق في حادث انتحار أم جريمة قتل؟

قال جاب: إذا كانت جريمة قتل، فهل لديك ما يمكن قوله؟

- ليس أنا! كنت أفضل أن يكون القاتل جورجينا أخته، إنها امرأة قوية وتضبط أعصابها. ولكن جورجينا تتمتع -مع الأسف- باستقامة خلقية تامة. كنت أستطيع بالطبع التسلل بسهولة إلى الطابق الثاني ولكنني أيضاً غير مستوعب لاحتمال انتحاره.

ثم أضاف بصوت مختلف: الواقع أنني أشعر بالأسف الشديد على ما حدث. يجب أن لا تحكم علي من خلال سلوكي، فهذه مجرد عصبية وارتباك، لقد أحبيت مورلي كثيراً وسوف أفتقده.

فيليب دي سانسفيراتو. وبعد ثلاث سنوات حصلت على الطلاق وعلى حقها في رعاية طفلها من زوجها ذاك بعدما قضت سنتين من البؤس مع ذلك الشقي رغم أصله الرفيع، إذ كان غريب الأطوار شاذ السلوك، وبعد بضعة سنوات من ذلك توفي طفلها. وبعد أن عانت الأمرين، التفت ريبكا أرنهولت بذكائها الأكيد إلى عالم المال والاستثمار الذي كان يجري في دماغها، واشتركت مع والدها في عالم المصارف.

وبعد وفاته واصلت عملها لتكون شخصية مسيطرة وقوية في عالم المال بما تملكه من ثروات ضخمة. وجاءت إلى لندن، وذهب مستثمر صغير من سوق المال في لندن إلى فندق كلارينج لرؤيتها من أجل بعض الوثائق، وبعد ستة أشهر صعد العالم بخير زواج ريبكا سانسفيراتو بذلك الرجل الذي لم يكن سوى أليستير بلانت، وهو رجل بصغرها بعشرين عاماً تقريباً.

انتشرت -بالطبع- الملاحظات الساخرة المعتادة والتكلمت، وعلّق أصدقاء ريبكا بأنها كانت مغفلة لا يرجى شفاؤها في اختيارها للرجل! تزوجت سانسفيراتو أولاً... ثم هذا الشاب الصغير. وقيل إنه لم يتزوجها -بطبيعة الحال- إلا لثمنها وإنها ستقع في مصيبة ثانية! ولكن زواجهم نجح، وهذا ما أدهش الجميع. فالثناس الذين توقعوا أن يتفق أليستير بلانت أموالها على غيرها من النساء كانوا مخطئين؛ فقد ظل مخلصاً ومحباً لها دون ضجيج.

وحتى بعد وفاتها (بعد ذلك بعشر سنين) وبعد أن ورث ثروتها الواسعة التي كان يفترض بعدها أن ينطلق حراً، حتى بعد ذلك كله

على تلك المرأة، سينسبيري سيل، ونحن في طريقنا إلى أمبيريويس. أفضل معرفة كل ما يمكن معرفته قبل معالجة أمر صديقنا اليوناني. بعد ذلك أريد الحديث قليلاً مع ذلك الأمريكي الذي بدا -كما نقول- «مثل قاتل».

هز يوارو رأسه وقال: لم يكن كذلك، بل كان يتألم من أسنانه.

- ومع ذلك سنرى السيد رايكز هذا، فأقل ما يقال عن تصرفه أنه كان غريباً. كما سنحقق في بركة الأسمه نيفيل وموضوع عمتها وصديقها الشاب. الواقع أننا سنحقق في كل شيء ومع كل شخص!

* * *

لم يكن أليستير بلانت شخصية كثيرة الظهور أمام العامة. ربما لأنه كان رجلاً هادئاً جداً وبحب العزلة، وربما لأنه عمل لسنوات طويلة في الظل وليس في واجهة الأحداث.

جاءت ريبكا سانسفيراتو (واسم عائلتها أرنهولت) إلى لندن خائبة الأمل وهي امرأة في الخامسة والأربعين من عمرها، وهي تنحدر من أسرة كانت -من كلا طرفيها- رمزاً للمال والثروة. كانت أمها وريثة عائلة رودزشتاين الأوربية، أما أبوها فكان رئيس بنك أرنهولت الأمريكي. وقد أصبحت ريبكا أرنهولت -نتيجة وفاة شقيقها وابن عمها في حادث سقوط طائرة- الوريثة الوحيدة لهذه الثروة الضخمة، وتزوجت أرتستقراطياً أوروبياً مشهوراً هو الأمير

فارتت الدهشة أليستير بلانت. قال: "بالطبع، عرفت أنني رأيتك في مكان ما". ثم التفت إلى جاب وقال: ماذا يمكنك عمله لك؟ إنني آسف جداً لما سمعته عن مورلي المسكين.

- هل فوجئت يا سيد بلانت؟

- فوجئت كثيراً. لا أعرف عنه إلا القليل بالطبع، ولكنني ظننت أنه كان رجلاً أبعد ما يكون عن الانتحار.

- هل كان يبدو في صحة جيدة ومعنوياته عالية هذا الصباح؟

- أظن ذلك... نعم.

سكت أليستير بلانت وقال وهو يتسم ابتسامة صيانية: أريد أن أصارحك. إنني جبان جداً بخصوص الذهاب إلى طبيب الأسنان، كما أنني أكره تلك الحفارة الكريهة التي يضعها الطبيب في فمي؛ لذلك لم الأحظ حقاً الكثير من الأمور. لم الأحظ أي شيء عليه إلا بعد أن انتهى من عمله ونهضت لأذهب، لكن السيد مورلي كان يبدو طبيعياً للغاية وقتها؛ كان مبتهجاً ومشغولاً.

- هل تردد عليه كثيراً؟

- أظنها كانت ثالث أو رابع زيارة. لم أكن أعاني كثيراً من أسناني حتى السنة الماضية. أظنها بدأت تتساقط.

سأله هيركيول بوراو: من الذي نصحك بالذهاب إلى السيد مورلي بداية؟

حاول بلانت أن يتذكر. قال: دعني أتذكر... شعرت بألم في

لم يتزوج ثانية، وعاش حياة الهدوء والبساطة ذاتها. كانت عقيرته في أمور المال والاستثمار لا نقل عن عقيرة زوجته. كانت أفكاره ومعاملاته سليمة، واستقامته فوق الشبهات، وقد سيطر على مصالح عائلتي أرهنولت وروذرشتاين بقدراته الشخصية الفائقة.

لم يكن يختلط مع المجتمع إلا قليلاً. وكان يملك بيتاً في كنت وأخر في نورفولك حيث كان يقضي عطل نهاية الأسبوع، لا بحفلات صاخبة، بل مع أصدقاء قلائل محافظين وهادئين. كان مغرمًا بلعب الغولف ويتقن اللعبة، وكان يهتم بالعمل في حديقة منزله.

هذا هو الرجل الذي كان رئيس المفتشين جاب وهيركيول بوراو ذاهبين إليه في سيارة أجرة قديمة.

كان «المنزل القوطي» - كما يُدعى بيته - معلماً مشهوراً في تلك المنطقة. كان المنزل من الداخل فاخراً وموثقاً أثناً غالباً رغم بساطته، ولم يكن عصرياً جداً ولكنه كان مريحاً إلى أبعد الحدود. ولم يترك أليستير بلانت ضيفيه ينتظران طويلاً، بل جاء لتحتيتهما على الفور.

- رئيس المفتشين جاب؟

تقدم جاب وقدم هيركيول بوراو. نظر بلانت إليه باهتمام وقال: أعرف اسمك بالطبع يا سيد بوراو. بالتأكيد، في مكان ما... قبل فترة وجيزة...

سكت وهو يقطب جبينه.

قال بوراو: صباح اليوم يا سيدي في قاعة الانتظار في عيادة السيد مورلي المسكين.

والحيوية باديين على وجهها ليعوضا نقص الجمال عندها. كانت سمراء ذات بشرة سفعتها الشمس كثيراً.

قالت تخاطب بوارو: أعرف من أنت... أنت رجل التحري هيركيول بوارو!

كان صوتها دافئاً وخفيضاً وبه أثر لكنة أمريكية.

قال بوارو: في خدمتك يا آنسة.

نظرت إلى رفيقه، فقال بوارو: رئيس المفتشين، جاب.

اتسعت عيناها بتعبير كاد يبدو ذعراً وقالت بلهفة: ماذا كتما تفعلان هنا؟ هل... هل حدث شيء للعم أليستير؟

قال بوارو بسرعة: ولماذا تظنين ذلك يا آنسة؟

- لم يحدث شيء؟ جيد.

أعاد جاب عليها سؤال بوارو: لماذا تعتقدين أن شيئاً قد حدث للسيد بلانت يا آنسة...؟

قالت الفتاة بصورة تلقائية: "أوليفيرا... جين أوليفيرا". ثم ضحكت ضحكة خفيفة لم تكن ذات معنى وقالت: وجود شرطة على عتبة البيت يوحي بوجود متفجرات في العلية، أليس كذلك؟

نظرت إلى بوارو مباشرة: هل استدعاك بخصوص شيء؟

قال جاب: نحن الذين زناه يا آنسة أوليفيرا لنرى إن كان يستطيع أن يلقي الضوء على قضية انتحار وقعت هذا الصباح

أضراسي، وقال لي شخص بأن مورلي في شارع الملكة شارلوت هو الطبيب الذي يمكنني الذهاب إليه. لا، لا أتذكر من هو ذلك الشخص، إنني آسف.

قال بوارو: إذا تذكرت اسمه فأرجو أن تبلغنا به.

نظر أليستير بلانت إليه بفضول وقال: سأفعل... بالتأكيد. لماذا؟ هل هذا يهم؟

قال بوارو: لدي فكرة معينة وهي أن هذا الأمر ربما كان مهم كثيراً.

كانا ينزلان عثبات درج البيت عندما توقفت سيارة أمامه. كانت سيارة سباق من تلك السيارات التي يضطر المرء للخروج منها بصعوبة وعلى دفعات. بدت الشابة التي تخرج على دفعات من السيارة فتاة نحيلة جداً، واستطاعت -أخيراً- الخروج من السيارة عندما استدار الرجلان ليمضيا في الشارع.

وقفت الفتاة على الرصيف تنظر إليهما، ثم صاحت فجأة وبقوة: هاي!

لم يدرك الرجلان أنها كانت تخاطبهما فلم يلتفتا إليها فعادت الفتاة تنادي: هاي... هاي، أنتما!

توقفا واستدارا ناحيتها متسائلين فيما اتجهت الفتاة نحوهما. كانت مجرد بدين ورجلين؟ طويلة القامة بلغة النحافة، وكان الذكاء

قال جاب: أنا لا أريد يا سيدتي. أقدم لك السيد هيركيول

بوارو.

- حقاً؟ إذن ربما... هل أنتما متأكدان أنكما لا تريدان شرب الشاي؟ لا. إذن فلنذهب إلى قاعة الاستقبال رغم أنها تكون مليئة في العادة... آه، يوجد مكان شاعر هناك، عند الزاوية... الناس يغادرون ذلك المقعد. هل نذهب إلى هناك؟

ذهبت إلى حيث توجد أريكة وكريسيان في مختلّي بعيد، ولحقها جاب وبوارو. رفع جاب وشاحاً ومندبلاً كانت الأنسة سينسيري سيل قد أسقطتهما على الأرض وهي في طريقها وأعادهما إليها. قالت: آه، شكراً لك... إنني مهملة. أرجوك أيها المفتش، بل رئيس المفتشين، أليس كذلك؟ تفضل اسألني ما بدا لك. أمر محزن كل هذا الذي حدث. مسكين... أتراه كان يعاني من شيء في عقله؟ إننا نعيش في زمن مليء بالهموم!

- هل رأيته قلقاً يا آنسة؟

- حسناً...

فكرت الأنسة سينسيري سيل قليلاً ثم قالت كارهة: لا أستطيع الجزم حقاً إن كان كذلك. ولكن ربما ما كنت لألاحظ... في مثل تلك الظروف. فأنا جبانة؛ أخشى أطباء الأسنان.

ضحكت الأنسة سيل قليلاً وتحسست شعرها المنفوش.

- هل يمكنك إخبارنا من كان غيرك في قاعة الانتظار عندما كنت هناك؟

قالت بحدة: انتحار؟ من؟ أين؟

- السيد مورلي، طبيب الأسنان في هذا المبنى.

- آه! آه!

حدّث الفتاة أمامها وهي عابسة، ثم قالت فجأة: "آه، ما أسخف ذلك!" ثم استدارت وتركتها بسرعة دون كلمة واحدة وصعدت درجات البيت القوطي وفتحت الباب بمفتاح كان معها ثم دخلت.

قال جاب وهو ينظر إليها: إن هذا لقول غريب.

قال بوارو بهدوء: مثير.

نظر جاب إلى ساعته وأشار إلى سيارة أجرة قريبة قائلاً: لدينا متسع من الوقت لزيارة الأنسة سينسيري سيل في طريقنا إلى فندق سافوي.

كانت الأنسة سينسيري سيل في البهو ذي الضوء الخافت في فندق غلينغوري كورت تشرب الشاي. دهشت من قدم ضابط شرطة بملابس مدنية ولكن دهشتها كانت دهشة سرور كما لاحظ الضابط، ولاحظ بوارو -أسفاً- بأنها لم تثبت بعد إيزيم حذاتها.

قالت الأنسة سينسيري سيل وهي تنظر حولها: حقاً أيها الضابط، أين يمكننا أن نختلي للحديث بمفردنا؟ الأمر صعب... إنه موعد تناول الشاي، لكنك ربما تود شرب فنجان من الشاي، أنت وصديقك.

- أنا أنوم الأم. يجب على الأمهات مراقبة أطفالهن... الأطفال الصغار لا يقصدون إحداث الأذى ولكن يجب أن يكونوا تحت المراقبة.

قال جاب: إذن فذلك الشاب هو المريض الوحيد الذي رأيته في العيادة.

- نزل رجلٌ الدرج وخرج بينما كنت صاعدة إلى عيادة السيد مورلي. آه! وأتذكر أن رجلاً شكله غريب جداً ويبدو أجنبياً خرج من العيادة عندما وصلت.

سعل جاب، وقال بوارو بشيء من الكرامة: ذلك هو أنا يا سيدي.

حدقت إليه وقالت: يا أنهي! نعم، هذا صحيح! أرجو المَعذرة... إن نظري قصير، والمكان هنا معتم جداً، أليس كذلك؟

ثم بدأت تخوض في حديث غير مترابط، قالت: وأنا التي أمدح نفسي لأن لدي ذاكرة ممتازة للوجوه، لكن الضوء هنا خافت. أليس كذلك؟ أرجو أن تعذرني بسبب غلظتي القليظة هذه!

قام الرجلان بتهدئة السيدة، ثم سألهما جاب: هل أنت واثقة تماماً من أن السيد مورلي ثم يقل شيئاً... بأنه على سبيل المثال يتوقع مقابلة غير سارة هذا الصباح؟ شيء كهذا؟

- لا، أنا واثقة من أنه لم يقل شيئاً كهذا.

- دعني أتذكر... كان هناك شاب واحد فقط عندما دخلت. أظن أنه كان يتألم لأنه كان يتحدث مع نفسه ويبدو مخيفاً وهو يقلب صفحات إحدى المجلات دون تركيز، ثم قفز من مجلسه فجأة وخرج. لا بد أنه كان يعاني من ألم حاد في أسنانه.

- ألا تعرفين إن كان قد غادر مبنى العيادة عندما خرج من القاعة أم لم يغادر؟

- لا أعرف أي شيء عنه. أظن أنه شعر بعدم قدرته على الانتظار أكثر ويأمله لا بد أن يرى الطبيب. ولكن لا يمكن أن يكون قد ذهب إلى السيد مورلي لأن الخادم جاء وأخذني إلى السيد مورلي بعد ذلك بضع دقائق فقط.

- هل مرت بقاعة الانتظار مرة أخرى وأنت في طريقك للخروج؟

- لا؛ لأنني كنت قد لبست قبعتي وسويت شعري في غرفة السيد مورلي.

أكملت الأنسة سينسيري سيل حديثها وقد تحمست أكثر: بعض الناس يخلعون قبعاتهم في قاعة الانتظار لكني لا أفعل ذلك أبداً. إحدى صديقاتي فعلت ذلك فحدثت معها واقعة محزنة جداً. كانت قبعة جديدة ووضعتها على أحد الكراسي بحذر وعندما نزلت من عند الطبيب وجدت أن أحد الأطفال جلس عليها وبعجها. لقد خربت... خربت تماماً!

قال بوارو بأدب: إنها مأساة.

وعدت فحملت اسمي قبل الزواج، وأعطتني صديقة لي بعض المال فافتتحت به مدرسة لتعليم فن الإلقاء. وقد ساعدت في تأسيس جمعية ناجحة جداً لمسرح الهواة، لا بد أن أريك بعض منشورات التعريف بمسرحياتنا.

كان جاب يدرك خطورة مثل هذا الأمر؛ ولذلك فقد آثر الهروب! وكانت آخر كلمات لاحتفه بها: وإذا ما ظهر اسمي في الصحف، أعني شاهدة في التحقيق، فأرجو أن تتأكدوا من أنه مكتوب بشكل صحيح... «مايل سينبيري سيل». وإذا ما أرادوا فيمكنهم ذكر أنني قد شاركت في مسرحية «كما تحبها» على مسرح أوكسفورد.

قال رئيس المفتشين جاب: «بالطبع، بالطبع»، ثم فر هارباً.

في سيارة الأجرة تنهد جاب ومسح جبينه وهو يقول: إذا لزم الأمر فإنه يتوجب علينا التحقق من هذه المرأة، إلا إذا كان هذا كله أكاذيب... لكني لا أظن ذلك.

هز بوارو رأسه نائفاً وقال: الكذابون لا يتكلمون هذا الكلام المفصل أو كلاماً ليس له صلة بالموضوع.

أكمل جاب يقول: كنت أخشى أن ترفض حضور التحقيق. معظم العوانس اللاتي في عمر متوسط يفعلن ذلك، لكن كونها ممثلة يبرر سبب لهفتها وحماستها، فهي فرصة لتسليط الأضواء عليها!

قال بوارو: هل تريدها حقاً في التحقيق؟

- ألم يذكر مريضاً اسمه أمبيريويس؟

- الحق أنه لم يقل شيئاً... أعني باستثناء الأشياء التي يقولها عادة أطباء الأستان.

فكر بوارو في الكلمات التي يقولها الأطباء: تلمضمض... افتح فمك أكثر من فضلك... والأن أغلقه بلفظ.

ثم شرع جاب في خطوته التالية قائلاً إنه ربما توجب على الأنسة سينبيري سيل أن تدلي بشهادتها في التحقيق. صرخت الأنسة سينبيري سيل صرخة رعب لأول وهلة ثم فهمت المغزى، وسألها جاب مجموعة من الأسئلة جعلتها تسرد له تاريخ حياتها. بدأ أنها جاءت من الهند إلى إنكلترا قبل ستة أشهر، وقد عاشت في فنادق عديدة وبيوت مفروشة، وأخيراً جاءت إلى فندق غلينغوري كورت الذي أحبه كثيراً بسبب جوه الحميم. وفي الهند كانت معظم إقامتها في مدينة كلكتا حيث قامت بتدريس فن الإلقاء.

قالت: «اللغة الصافية والنطق الصحيح مهمان جداً أيها المفتش». ثم أضافت شامخة وبإشمامة متكلفة: عندما كنت فتاة صغيرة عملت في المسرح، آه! مجرد أدوار صغيرة في فرقة تمثيل ثانوية، لكنني كنت أملك طموحات كبيرة. كنت أطمح للفرقة المحترفة، ثم ذهبت في جولة عالمية... مسرحيات شكسبير وبرنارد شو.

ثم تنهدت وقالت: مشكلتنا -نحن النساء- هي قلوبنا... إننا نحت رحمة قلوبنا. تزوجت زواجاً سريعاً متهوراً، ولكن، للأسف... انفصلنا على الفور تقريباً! لقد خدعت خدعة مؤسفة،

- ربما لا. حسب الظروف.

سكت قليلاً ثم قال: إنني مقتنع أكثر من قبل - يا يوارو - بأنها ليست حادثة انتحار.

- وما هو الدافع؟

- هذا ما لا نعرفه الآن. افترض أن مورلي أغوى ذات مرة ابنة أمبيريو تيس؟

كان يوارو صامتاً. حاول أن يتخيل السيد مورلي وهو يقوم بدور غاوي لفتاة يونانية فائقة العيبتين، لكنه فشل فشلاً مؤسفاً.

ذكر جاب بأن السيد ريلي قال إن شريكه لم يعيش مباحج الحياة. قال بشيء من الغموض: "أه، أنت لا تعرف ما قد يحدث في رحلة!"، ثم أضاف راضياً: مستعرف أكثر أين نقف عندما نتحدث مع هذا الشخص.

دفعاً أجرة السيارة ودخلا فندق سافوي. وسأل جاب عن السيد أمبيريو تيس. نظر الكاتب إليهما نظرات غريبة ثم قال: السيد أمبيريو تيس؟ اعتذر يا سيدي؟ لا أظنك تستطيع رؤيته.

قال جاب عابساً: "بل أستطيع أيها الشاب". ثم دفع صاحبه جانباً وتقدم ميرزاً هويته للشباب.

قال الكاتب: أنت لا تفهمني يا سيدي... لقد مات السيد أمبيريو تيس قبل نصف ساعة!

الفصل الثالث

بعد أربع وعشرين ساعة اتصل جاب بيوارو. كان يتحدث بنبرة مريرة: اتضح كل شيء... كل شيء!

- ماذا تقصد يا صديقي؟

- مورلي انتحر دون شك، لقد عرفنا الدافع.

- وما هو؟

- استلمت لثوي تقرير الطبيب الشرعي بخصوص وفاة أمبيريو تيس. لن أدخلك في متاهة العبارات الفنية المتخصصة، ولكنه - بلغة مختصرة - مات نتيجة جرعة زائدة من الأدرينالين والتوفوكين، وفهمت أنها أثرت على قلبه وانهار. عندما قال الرجل عصر أمس إنه يشعر بالتعب كان صادقاً. الأدرينالين والبروكين هما ما يحقن أطباء الأسنان في لثة المرضى... مخدر موضعي. لقد أخطأ مورلي وأعطاه جرعة مضاعفة، وبعد مغادرة أمبيريو تيس للعيادة أدرك ما فعله وتم يستطع مواجهة العواقب فقتل نفسه.

سأته يوارو: بواسطة مسدس لم يكن معروفاً عنه اقتناؤه؟

يطلق على مرضاه جرعات سُموم قاتلة لمجرد أنه كان وقتها شارد
الذهن قليلاً.

- كان ذلك تصرفاً غريباً منه... أعترف لك بذلك.

- هذه الأشياء تحدث. تحدث مع الأطباء، وتحدث مع
الصيدلة. يقولون حذرين وحريصين سنوات عديدة، ثم... في لحظة
واحدة من عدم الانتباه يحدث الضرر ويتعرض المساكين للمساءلة
والعقاب. لقد كان مورلي رجلاً حساساً. في حالة الطبيب البشري
يوجد -عادة- صيدلي يشاطره المسؤولية واللوم أو يتحملها عنه
كلية، أما في هذه القضية فقد كان مورلي مسؤولاً وحده.

قال بوارو معترضاً: ألم يكن من شأنه أن يترك وراءه رسالة يبرر
فيها ما فعله؟ يقول -مثلاً- إنه لم يستطع مواجهة العواقب؟ شيئاً من
هذا؟ كلمة واحدة فقط لشقيقته؟

- لا شيء من ذلك. أظنه أدرك ما حدث فجأة، وفقد أعصابه
فأقدم على الانتحار بأسرع طريقة.

لم يجب بوارو، فقال جاب: أعرفك جيداً أيها العجوز. بمجرد
أن ندس أنفك في قضية قتل فإنك تريد أن تكون قضية قتل فعلاً!
أعترف بأنني المسؤول عن توريطك في هذه القضية هذه المرة.
حسناً، لقد أخطأت... أعترف بهذا صراحة.

قال بوارو: ما زلت أرى احتمال وجود تفسير آخر.

- بل كثير من التفسيرات. لقد فكرت فيها، لكنها كلها غير

- ربما كان يحتفظ بالمسدس. الأقارب لا يعرفون كل شيء...
فُتاجنا دوماً الأشياء التي لا يعرفونها!

- هذا صحيح، نعم.

- هذا ما حدث. إنه تفسير منطقي جداً للأمر كله.

- ولكن هذا التفسير لا يقتنعني تماماً يا صديقي. صحيح أن
المعروف عن المرضى أنهم يتأثرون سلباً أحياناً من هذا التخدير
الموضعي، وصحيح أن الحساسية تجاه الأدرينالين معروفة جيداً،
وأنها إذا ما اجتمعت مع البروكين فإن بعض الآثار الشمية تعقب تناول
الجرعات الصغيرة، ولكن الطبيب أو طبيب الأسنان الذي يعطي
مرضاه دواء لا يبلغ به الهم عادة درجة يقتل معها نفسه.

- نعم، لكنك تتحدث عن حالات يكون استخدام المخدر
فيها عادياً. في هذه الحالة لا يقع أي لوم على الطبيب المعني؛ لأن
الحساسية الموجودة في جسم المريض هي السبب في الوفاة، ولكن
-في هذه الحالة- من الواضح جداً وجود جرعة زائدة. إنهم لم يعرفوا
الكمية بالضبط حتى الآن؛ فمثل هذه التحاليل الكمية تستغرق أكثر
من شهر، ولكن من الواضح أنها أكبر من الجرعة العادية، وهذا
يعني أن مورلي قد أخطأ دون شك.

- حتى في هذه الحالة يبقى الأمر مجرد خطأ، ولا يعتبر مسألة
جناية.

- لا، لكنها ستمسيء إلى سمعته المهنية. الواقع أنها ستدمر
حياته العملية، فليس من شأن أحد أن يذهب إلى طبيب يحتمل أن

جريمة قتل لذيدة كل مرة! وداعاً، كل ما أستطيع قوله على سبيل
الاعتذار هو العبارة القديمة: "أنا أسف لإزعاجك".



جلس هيركيول بوارو وراء مكتبه الحديث الأنيق. كان يحب
الأثاث الحديث ويفضله على الموديلات القديمة؛ فقد كانت
زواياه المربعة أفضل - بالنسبة له - من منحنيات وأقواس الموديلات
القديمة.

كانت أمامه قطعة صغيرة مربعة من الورق عليها رؤوس أقلام
صغيرة وبعض الملاحظات، وكانت مقابل بعض منها علامات
استفهام.

كانت الملاحظة الأولى تقول: أميربوتيس؟ تجسس، موجود
في إنكلترا لهذا الغرض؟ كان في الهند العام الماضي أثناء فترة أعمال
الشغب والقتال، يمكن أن يكون عميلاً شيوعياً.

وكان في الصفحة فراغ جاء بعده العنوان التالي: فرانك كارتر؟
كان مورلي يراه شخصياً غير مُرضٍ، وقد طرد من وظيفته مؤخراً،
لماذا؟

بعد ذلك جاء اسم أمامه علامة استفهام فقط: هوارد رايكز؟
وبعد جاء عبارة بين قوسين: "ما أسخف ذلك!".

صار هيركيول بوارو يقلب تفكيره. كان عصفوراً خارج النافذة

واقعية. دعنا نفترض أن أميربوتيس قتل مورلي وعاد إلى بيته حيث
شعر بالندم فانتحر باستخدام دواء سرقه من عيادة مورلي. إن كنت
تظن هذا محتملاً فإنتي أراه أبعد ما يكون عن ذلك. لدينا الصحيفة
الجنائية لأمبربوتيس في سكونلانديارد. إنها صحيفة مثيرة تماماً...
بدأ حياته عاملاً صغيراً في أحد الفنادق في اليونان، ثم أقحم نفسه في
السياسة. قام بأعمال تجسس في ألمانيا وفرنسا، وجمع مبالغ لا بأس
بها من هذا العمل. لكنه لم يكن ليشرى بسرعة بهذه الطريقة ولذلك
يعتقد أنه قام ببعض عمليات الابتزاز. إن رجلنا - السيد أميربوتيس
هذا - لم يكن رجلاً نظيفاً. ذهب إلى الهند العام الماضي ويبدو
أنه قام بابتزاز أحد الأمراء المحليين هناك المشككة في هذا الأمر
هي أنه لم يكن ممكناً أبداً إثبات شيء عليه... إنه شخص مراوغ.
ويوجد احتمال آخر: ربما كان يبتز مورلي على شيء معين، وعندما
وجد مورلي فرصته الذهبية وضع له جرعة زائدة من الأدرينالين
والنوفوكين على أمل أن لا تعتبر القضية لاحقاً إلا حادثاً عرضياً؛
حساسية من الأدرينالين أو شيئاً من هذا القبيل، ثم بعد أن رحل
الرجل من عنده انتابت مورلي نوبة من ندم قتل نفسه. هذا محتمل
بالطبع لكنني لا أتصور مورلي مجرماً مع سبق الإصرار. لا، إنني
وائق تماماً أن الأمر ما قلته في البداية: خطأ حقيقي وقع فيه في يوم
كثرت فيه مواعيد عمله. علينا أن نترك الأمر عند هذا الحد يا بوارو.
لقد تحدثت مع المدعي العام، وقد اتفق تماماً بذلك.

قال بوارو: فهمت، فهمت...

- أعرف ما تشعر به أيها المعجوز، لكنك لا تستطيع العثور على

رد عليه بورو معتذراً: أرجو المعذرة لزيارتي لك بهذه الطريقة غير الرسمية.

- إنها أفضل طريقة، والوقت أيضاً يبعث على الإعجاب..
السابعة إلا رباعاً؛ وقت معقول جداً في هذا الوقت من العام لصيد أي واحد في بيته.

ثم أشار بيده وقال: تفضل اجلس يا سيد بورو. لا شك عندي بأننا سنتحدث طويلاً، أظن أنه بخصوص ما حدث في العيادة ٥٨ بشارع الملكة شارلوت؟

قال بورو: ظنك في محله، ولكن لماذا افترضت هذا الأمر؟

- يا سيدي العزيز، لقد تقاعدت من العمل في وزارة الداخلية منذ فترة طويلة، لكنني لم أفقد معلوماتي بعد. إن كان أمرٌ يستدعي السرية والتعقيم فمن الأفضل عدم استخدام الشرطة؛ لأن هذا يلفت الانتباه للأمر كله!

قال بورو: أريد أن أسألك سؤالاً آخر، لماذا تفترض ذلك أمراً يستدعي السرية والتعقيم؟

- أليس كذلك؟ إذا لم يكن الأمر كذلك فإنني أرى أنه يجب أن يكون.

مال إلى الأمام ونقر ذراع الكرسي بنظارته ثم أضاف: في عمل المخبرات لا يهتم أحد بصيد الأسماك الصغيرة، بل يريدون الحيتان الكبرى في القمة... ولكن حتى تصل إلى تلك الحيتان عليك أن تحرص على عدم إثارة السمك الصغير.

يحمل عوداً ليبني به عشه، وبدا بورو -وهو جالس- مثل عصفور برأسه البيضاء الذي أماله جانباً.

ثم كتب ملاحظة أخرى تحتها: السيد بارنز؟

توقف قليلاً، ثم كتب: مكتب مورلي؟ علامة على السجاد، احتمالات.

فكر في تلك الملاحظة التي أضافها لبعض الوقت، ثم نهض من مجلسه ونادى خادمه ليحضر له قبعته وعصاه وخرج.

بعد ثلاثة أرباع الساعة خرج هيركيول بورو من محطة قطار الأنفاق في إيلنج برودواي، وبعدها بخمس دقائق وصل إلى وجهته: المنزل رقم ٨٨ في شارع كاسل غاردنز. كان بيتاً صغيراً شبه متعزل، وأعجب هيركيول بورو بدقة وجمال الحديقة التي أمامه، وتمتم مع نفسه: "حديقة متناسقة تماماً".

أدخل بورو إلى غرفة طعام صغيرة، وهناك سرعان ما جاء السيد بارنز.

كان السيد بارنز رجلاً ضئيل الحجم أصلع الرأس تقريباً، ونظر إلى زاتره من فوق نظارته بينما كان يحمل في يده اليسرى بطاقة بورو التي أعطاها إلى الخادمة عندما فتحت له الباب. قال بتيرة فيها شيء من الرسمية: حسناً، حسناً، سيد بورو؟ حصل لي الشرف بلقائك.

السنة أم عدة ملايين لا فرق. إنه من هذا النوع، وهو يعتقد بعدم وجود سبب يمنع البلد كله من أن يحذو حذوه في هذا المجال. لا داعي لعمل التجارب المكلفة، لا نقفات مجانية على خطط إصلاحية، هذا هو السبب.

سكت قليلاً ثم أضاف: هذا هو السبب الذي يجعل أناساً معينين يقررون ضرورة رحيل بلانت.

- آه -

أوما السيد بارنز برأسه وقال: نعم، أعرف ما أنكلم عنه. بعضهم أناس لطفاء قد تغرّك مظاهرهم، متعمون بالمثل العليا عن عالم أفضل. أما البعض الآخر فهم غير لطفاء، بل إنهم قدرون في الواقع؛ جردان صغيرة ماهرة ينطقون بكنة أجنبية. وتوجد مجموعة أخرى ذات نفوذ كبير. لكنهم جميعاً يحملون نفس الفكرة: ينبغي أن يرحل بلانت.

دفع كرسيه إلى الوراء قليلاً ثم سحبه إلى الأمام مرة أخرى: الفكرة هي إزالة النظام القديم، بما في ذلك المحافظون ورجال الأعمال الواقعيون الشكاكون. ربما كان هؤلاء الناس على حق... لا أعرف. ولكني أعرف شيئاً واحداً: يجب عليك أن توجد بديلاً للنظام القديم؛ شيء عملي مفيد وليس مجرد شيء يبدو مقبولاً في ظاهره. لا حاجة لأن نخوض في هذه المسألة. إننا نتعامل مع حقائق ملموسة ونسب مع نظريات مجردة. إذا ما أزلت الأعمدة فإن المبنى سينهار، وبلانت هو أحد أعمدة الحال الراهن.

مال بجسمه إلى الأمام وقال: إنهم يلاحقون بلانت دون شك.

- يبدو لي يا سيد بارنز أنك تعلم أكثر مما أعلم.

- لا أعرف شيئاً على الإطلاق، إنما أجمع اثنين على اثنين فقط.

- ومن يكون أحد الاثنين؟

قال السيد بارنز على الفور: اميريوتيس، لقد نسبت أنني جلست قبالة في قاعة الانتظار للحظات قليلة. إنه لا يعرفني، وقد كنت دائماً إنساناً قليل الأهمية، وهذا ليس شيئاً أحياناً... ولكن كنت أعرفه تماماً، ويمكنني أن أضمن الهدف من وجوده هنا.

- وما هو؟

- لمعت عينا السيد بارنز أكثر من قبل وقال: إننا في هذا البلد شعب متعبد جداً. نحن محافظون حتى النخاع، نشكو كثيراً ولكننا لا نريد - حقيقةً - تغيير حكومتنا الديمقراطية وتجرب صيغ أخرى جديدة. إن هذا ما يحطم فؤاد المحرض الأجنبي ذي الأغراض الشريرة الذي يعمل طوال الوقت دون تعب أو كلل! كل المشكلة - حسب رأيهم - هي أننا بلد يعيش حالة جيدة من التوازن الاقتصادي. وحتى تضايق إنكلترا... تضايقها حقيقةً.. ما عليك إلا أن تعبت بمواردها المالية. هذا ما يريدون الوصول إليه! ولا يمكنك تخريب مواردها المالية مع وجود رجال مثل أليستير بلانت في موقع المسؤولية.

سكت السيد بارنز قليلاً ثم أكمل: بلانت رجل مستقيم في حياته الخاصة، وهو يعيش ضمن دخله سواء كان دخله فلسين في

لأنهم يخضعون لحماية كبيرة. حوادث السيارة عمل فيه مخاطرة ولا ينجح دائماً، ولكن المرء لا حول له ولا قوة إذا ما جلس على كرسي العلاج عند طبيب الأسنان.

خلع نظارته ومسح العدستين ثم لبسها مرة أخرى وقال: هذه هي نظرتي! ما كان مورلي ليرضى بهذا العمل. ولكنه كان يعرف الكثير، ولذلك كان عليهم التخلص منه.

سأله بوارو: تقول عليهم؟

- أقصد المنظمة التي تقف وراء هذا الأمر كله، ولكن شخصاً واحداً بالطبع هو الذي قام بهذه العملية.

- ومن هو؟

- أستطيع أن أحمئن. لكنه مجرد تخمين، وقد أكون مخطئاً.

قال بوارو بهدوء: ريلي؟

- بالطبع، إنه الشخص الأكيد. ربما لم يطلبوا من مورلي - كما أظن - أن يقوم بالعمل بنفسه. لم يكن عليه إلا أن يحوّل بلانت إلى شريكه في اللحظة الأخيرة... مرض مفاجئ أو شيء كهذا. كان من شأن ريلي أن يقوم بالعمل الفعلي، ثم سيعتبر الأمر حادثاً مؤسفاً. وفاة رجل مصري مشهور... طبيب أسنان شاب بائس في المحكمة في هذه الحالة من البؤس والاهتياج يفقد شهرته. بعد ذلك يتخلى عن عيادة الأسنان ويستقر في مكان ما ليحصل على دخل كبير يصل إلى عدة آلاف من الجنيهات كل عام.

نظر السيد بارنز إلى بوارو وقال: "لا تظن أنني أتخيل... هذه

هذا ما أعرفه، وأعتقد أنهم كانوا على وشك القضاء عليه صباح الأمس. قد أكون مخطئاً، لكنه جُرب من قبل... أقصد الأسلوب.

سكت قليلاً ثم ذكر بعض الأسماء أخرى بهدوء وحذر؛ أحد رجال الصناعة ذوي النظرة الثاقبة والتقدمية، وقد مات من مرض غامض عرف في وقت متأخر، وسياسي شاب واعد أسر قلوب العامة بصرعته سيارة ومات.

قال السيد بارنز: إنه عمل سهل جداً. في الحالة الأولى أخفق طبيب التخدير في طريقة حقن المخدر في جسد المريض، وهو أمر يحدث. وفي الحالة الثانية أمّ قلفة على طفلها المريض كانت تقود السيارة بسرعة لتوصله إلى المستشفى، وبعد الكثير من الكلام العاطفي المتبدل قررت هيئة المحلفين أن الحادث لم يكن مقصوداً وأعفت المرأة من العقوبة! كل شيء بدا طبيعياً جداً، وسرعان ما تم نسيانه. ولكنني سأخبرك أين هم هؤلاء الأشخاص الآن: طبيب التخدير أقام له مختبراً راقياً للأبحاث أنفق عليه مائلاً كثيراً، أما الأم فهي تضع جميع أولادها في مدارس راقية جداً وتأخذهم لركوب الخيل في العطلات وتملك بيتاً جميلاً في الريف له حديقة واسعة وإسبيلات خيول.

أوما ببطة ثم أضاف: يوجد في كل مهنة وطريق في الحياة من هو ضعيف أمام الإغراء. المشكلة في قضيتنا هو أن مورلي لم يكن من هذا النوع!

قال بوارو: أنتظن أن الأمر كان كذلك؟

- نعم. ليس سهلاً الوصول إلى واحد من هؤلاء الرجال الكبار

سكت بوارو لحظة ثم قال: لقد فكرت في ربلي من البداية.

قال السيد بارنز: هل يكون القتال رجلاً غريباً؟

- ليس كذلك، لقد كانت على السجاد علامة وكأن الجنة سحبت عليه. ولو كان مورلي قد قتل بواسطة أحد المرضى فإنه قتل في غرفة العيادة، وبالتالي لا توجد حاجة لتفيل الجنة. هذا هو السبب الذي جعلني أشك من البداية في أنه قتل في مكتبه المجاور وليس في غرفة العيادة، وهذا يعني أن القتال ليس واحداً من المرضى ولكنه شخص من أهل بيته.

قال السيد بارنز بإعجاب: رائع.

نهض هيركيول بوارو ومدّ يده مصافحاً وقال: شكراً لك، لقد ساعدتني كثيراً.

في طريق عودة بوارو إلى البيت زار فندق غلينغوري كورت، ونتيجة لتلك الزيارة اتصل بجواب في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

- صباح الخير يا صديقي. التحقيق اليوم، أليس كذلك؟

- نعم، هل ستحضر؟

- لا أظن ذلك.

- لا أظن أنه يستحق حضورك.

الأشياء تحدث". ثم أكمل وهو يضرب على كتاب على الطاولة قريباً منه: قرأت كثيراً من قصص التجسس هذه. بعضها خيالية، لكن الغريب أنها لم تعد خيالية أكثر مما يحدث حقيقة. إنني أعجل من رؤية أشياء أعرفها وقد طبعت في كتاب... لأن أحداً لن يصدقها لحظة واحدة!

قال بوارو: في نظرتك، ما علاقة أميريوتيس بالأمر؟

- لست متأكدًا تمامًا. أظن أنهم أرادوا له أن يتحمل مسؤولية ما حدث. لقد قام بلعبة مزدوجة أكثر من مرة، وأظن التهمة لُفقت ضده. ولكن هذا مجرد رأي فقط.

قال هيركيول بوارو بهدوء: لو سلمنا بصحة أفكارك، فماذا سيحدث بعد ذلك؟

- سيحاولون قتله ثانية. آه، نعم... سيحاولون مرة أخرى. الوقت قصير. بلانت له أناس يراعونه، وعليهم أن يضاعفوا من حذرهم. لن يكون الفاعل رجلاً يخبئ وراء شجرة ويحمل مسدساً... ليس بهذا الأسلوب الفج. أخيره أن يحذر من الناس المحترمين: الأقارب، والخدم القدامى، ومساعد الصيدلي الذي يحضر له الدواء. إن مقتل أليستير بلانت يستحق ملايين عديدة من الأموال، وستدهش لمعرفة ما يمكن للناس أن يفعلوه مقابل... مقابل عدة آلاف من الجنيهات تُدفع كل عام!

- إلى هذا الحد؟

- ربما أكثر...

بأية جريمة قتل. والآن تقول بأنها هربت منّا! لا أستطيع فهم هذا.
ربما تكون ضاقت ذرعاً بذلك الفندق... أنا شخصياً لم يعجبني.

قال بوارو: حقاها ما تزول هناك... لم تأخذ معها شيئاً.

صاح جاب: متى ذهبت؟

- في الساعة السابعة إلّا ربّما تقريباً.

- وماذا عن العاملين في الفندق؟

- إنهم متضابقون جداً. مديرة الفندق تبدو بالغة الحيرة
والقلق.

- لماذا لم يبلغوا الشرطة؟

- لسبب بسيط يا صديقي. لنفترض أن السيدة أرادت قضاء
ليلة خارج الفندق (رغم أن هذا مستبعد بالنسبة لها) فإنها ستتضابق
عند عودتها عندما تعلم أن الفندق استدعى الشرطة. السيدة
هاريسون مديرة الفندق اتصلت بعدة مستشفيات للتأكد من عدم
تعرضها لحادث معين، وعندما زرته في الفندق كانت تفكر في
إبلاغ الشرطة. ولكن يبدو أن ظهوري كان استجابة لدعائها؟ حملت
نفسى المسؤولية عن كل شيء وأوضحت لها بأنني سأطلب مساعدة
ضابط شرطة سري.

- أظن أن ضابط الشرطة السري الذي تقصده هو أنا؟

- ظنك صحيح.

- هل سئدتعى الأنسة سينسيري سيل كشاهدة؟

- مايلل الرائعة؟ لا أتحمّل أمثال هؤلاء النساء! لا، لن
أستدعيها. لا حاجة لها.

- ألم تسمع منها شيئاً؟

- لا شيء، لماذا؟

قال بوارو: مجرد تساؤل لا أكثر. ربما كان يهملك أن تعلم
بأن الأنسة سينسيري سيل خرجت من الفندق قبل العشاء الليلة قبل
الماضية ولم تعد حتى الآن.

- ماذا؟ هل هربت؟

- هذا تفسير محتمل.

- ولكن لماذا تهرب؟ ليس عليها أي شيء كما تعلم؛ كانت
صديقة تماما وفوق الشبهات. أرسلتُ برقية إلى كلكتا بخصوصها.
كان ذلك قبل أن أعلم سبب وفاة أمبيروتيس، وإلّا لما أهتمي أمرها،
وقد وصلني الرد الليلة الماضية: كل شيء على ما يرام. كانت معروفة
هناك لسنوات وكل ما قائلته عن نفسها صحيح، إلّا أنها لم تذكر
بعض الأمور المتعلقة بزواجها. تزوجت بطالب هندي ثم وجدت
أنه مرتبط بغيرها، لذلك تركته وأعدت اسمها كما كان قبل الزواج
وانخرطت في الأعمال الخيرية، وكانت تدرّس فن الإنقاء وتساعد
في مسرحيات للهواة. إنها -في الواقع- من أطلق عليهن وصف
«النساء الفظيحات»، ولكنها فوق الشبهات بالتأكيد ولا علاقة لها

- حسناً، سأقابلك في فندق غينغوري كورت بعد جلسة التحقيق.

* * *

قال جاب شاكياً وهما ينتظران حضور المدبرة: لماذا تختفي هذه المرأة؟

- إذن فأنت ترى بأنه عمل غريب؟

لم يكن لديهما وقت للمزيد؛ فقد وصلت السيدة هاريسون صاحبة الفندق. كانت السيدة هاريسون مهذرة وعلى وشك البكاء. كانت قلقة جداً على الأنسة سينسيري سيل، قالت: "ماذا يمكن أن يكون قد حدث لها؟". وبسرعة فكرت في كل الاحتمالات والمصائب. ربما فقدت ذاكرتها أو أصيبت بمرض فجائي أو حدث لها نزيف أو صرعها باص صغير أو تعرضت لسرقة واعتداء..

سكنت أخيراً لتأخذ نفساً ثم قالت هامسة: إنها امرأة لطيفة، ويبدو أنها كانت سعيدة ومرتاحة هنا.

بعد ذلك أخذتهما -بناء على طلب جاب- إلى غرفة النوم البسيطة التي تشغلها السيدة المفقودة. كل شيء كان مرتباً ومنظماً؛ الثياب معلقة في خزانة الحائط وستان النوم مطوي على السرير، وفي الزاوية حقيبتان متواضعتان للأنسة سينسيري سيل، وكان صف من الأحذية تحت طاولة الترسية. كانت الأحذية مختلفة الأشكال والأنواع للسهرة ولشواوير النهار، ولاحظ بوارو أن أحذية السهرة كانت أصغر قياساً من الأحذية التي تلبسها في النهار. ربما كان ذلك

بسبب وجود مسمار في رجلها أو بسبب الخيلاء وحدها، وتساءل إن كانت الأنسة سينسيري سيل قد وجدت وقتاً لتخيط الإبريم الذي سقط من حذائها قبل أن تخرج. كان يأمل ذلك؛ فقد كان يتزعج دائماً من عدم المبالاة في اللباس.

انشغل جاب بمعاينة بعض الرسائل الموجودة في أحد أدراج طاولة الترسية، وفتح هيركيول بوارو بقوة أحد أدراج الخزانة فوجده مليئاً بالجوارب.

قال جاب: هل حصلت على أي شيء يا بوارو؟

رد بوارو بحزن وهو يحمل زوجاً من الجوارب: عشر بوصات من حرير ناعم ورخيص الثمن.

- اترك تخمين قيمة تركة المرأة! لدينا هنا رسالتان من الهند وبعض الوصولات من منظمات خيرية، ولا توجد فواتير.. إن هذه السيدة جديرة بالاحترام.

قال بوارو حزيناً: نكن ذوقها في اثياب متواضع.

نقل جاب عنواناً مكتوباً على رسالة قديمة تعود لشهرين قانلاً: هؤلاء قد يعرفون شيئاً عنها. عنوانهم في طريق هامبستيد، ويبدو أنهم على علاقة وثيقة بها.

لم يبقَ ما يمكن الحصول عليه في الفندق باستثناء الحقيقة السلبية القائلة إن الأنسة سينسيري سيل لم تبدُ متفعلة أو قلقة عندما خرجت، ويبدو أنها كانت تعتزم العودة لأنها ناديت السيدة بوليفر

بقي احتمال وقوع حادث، لكن ذلك الاحتمال استبعد هو الآخر، فلا يوجد أي مستشفى استقبل أية حالة طارئة قريبة من الوصف المعطى.

لقد تبخرت الأنسة سينبري سبل في الهواء.

* * *

في صباح اليوم التالي ذهب بوارو إلى فندق هولبورن بالاس وسأل عن السيد هوارد رايكز. في هذه المرة لن يكن بوارو مدهوشاً إذا ما قيل له إن السيد هوارد هايكز قد خرج هو الآخر في أسية ما ولم يعد.

ولكن السيد هوارد هايكز كان موجوداً في الفندق وقيل له بأنه يتناول الإفطار، وقد بدا أن ظهور هيركيول بوارو عند طاولة الإفطار قد أشعر السيد هوارد هايكز بالامتعاض. ورغم أنه لم يبدو على تلك الدرجة من الإجماع التي خيلت لبوارو في أول لقاء له به في العيادة، إلا أن عيوسه ما زال مرعباً.

حدق إلى ضيفه الذي جاء دون دعوة وقال بفظاظة: ما الأمر؟

- أسمح لي؟

سحب هيركيول بوارو كرسيّاً من طاولة أخرى، وقال السيد رايكز: لا تلق بالآ إليّ. اجلس وخذ راحتك!

استغل بوارو هذا الإذن وجلس وهو يتبسم.

في الصلاة وقالت لها: بعد العشاء سأعلمك لعبة الورق تلك التي حدثتك عنها.

إضافة إلى ذلك كان من العادات المتبعة في فندق غلينغوري كورت أن يقوم النزيل بإبلاغ الفندق إن كان يريد تناول الغداء أو العشاء في الخارج، لكن الأنسة سينبري سبل لم تفعل، لذلك يبدو واضحاً أنها كانت تعزم العودة لتناول العشاء الذي كان يقدم بين الساعة السابعة والنصف والثامنة والنصف. لكنها لم تعد، لقد خرجت إلى شارع كرومويل وانخفت.

ذهب جاب وبوارو إلى العنوان الذي كان مكتوباً على الرسالة في غرب هامبستيد. كان بيتاً جميلاً وكان السيد آدم وزوجته طيبين ولهما عائلة كبيرة، عاشا في الهند عدة سنوات وتحديثاً بحماسة شديدة عن الأنسة سينبري سبل، ولكن لم يكن بإمكانهما مساعدة الرجلين؛ فهما لم يلتقيا بها في الفترة الأخيرة ومنذ شهر تقريباً، وكانت في ذلك الوقت تقيم في فندق قرب راسل سكوير. أعطت السيدة آدمز عنوان الفندق لبوارو وعنوان بعض أصدقاء الأنسة سينبري سبل الذين كانوا يعيشون في سترينهام.

ولكن عاد الرجلان من ذلك الفندق أيضاً بخفي حنين؛ فقد أقامت الأنسة سينبري سبل في الفندق المذكور، لكن القوم هناك لا يتذكرونها كثيراً ولم يستطعوا تقديم مساعدة لهما، وقالوا عنها إنها سيدة لطيفة وهادئة وعاشت في الخارج. كما أن أصدقاءها في سترينهام لم يقدموا مساعدة تذكر؛ فهم لم يشاهدوا الأنسة سينبري سبل منذ شباط الماضي.

- أرجو المَعذرة.

أخرج بوارو بطاقته من جيبه وسلمها له. ومرة أخرى ظهر ذلك الانفعال الواضح على وجه السيد رايكز النحيل. ثم يكن خوفاً، كان تعبيراً أكثر عدوانية من الخوف، وبعد ذلك جاء الغضب الصريح.

قذف بالبطاقة إلى صاحبها وقال: إذن هذا أنت؟ لقد سمعت عنك.

قال بوارو بتواضع: معظم الناس سمعوا عني.

- إذن فأنت تحررٌ خاص؟ من النوع باهظ التكاليف الذي يستأجره الناس الذين لا يهتمون بدفع الأموال... عندما يستعدون لدفع مبالغ كبيرة من المال من أجل إنقاذ أنفسهم انبائسة!

قال هيركيول بوارو: إذا لم تشرب قهوتك فسوف تبرد.

كان يتكلم بلطف وحسب.

حديق رايكز إليه قائلاً: أية حشرة أنت؟

- على أي حال فالقهوة في هذا التبلد سيئة جداً.

واقفه السيد رايكز متحسماً: نعم، هي كذلك.

- فكنتك إن تركتها تبرد كثيراً فإنها تصبح مستحيلة الشرب تماماً.

مائل الشاب إلى الأمام وقال: ما الذي تريد الوصول إليه؟ ما هو غرضك من المجيء إني هنا؟

قال السيد رايكز بفظاظة: حسناً، ماذا تريد؟

- هل تتذكرني يا سيد رايكز؟

- لم أرك في حياتي أبداً.

- أنت مخطئ في هذا! لقد جلست معي في نفس الغرفة لمدة خمس دقائق على الأقل قبل أقل من ثلاثة أيام.

- لا أستطيع أن أتذكر كل من أقالبه في مكان أو حفلة معينة.

- ثم تكن حفلة. كان ذلك في قاعة الانظار عند طبيب الأسنان.

لمع في عيني الشاب بعض التأثير الخاطف الذي سرعان ما اختفى، تغيرت لهجته، ولم يعد شخصاً فاقداً للصر أو غير مبال. أصبح حذراً فجأة، ونظر إلى بوارو وقال: حسناً؟

فحصه بوارو جيداً قبل أن يرد عليه. أحس أن هذا الشاب خطير فعلاً: وجه نحيل شاحب وفك يوحى بالعدوانية وعينان تدلان على التطرف. كان يلبس ملابس غير مرتبة، بل تكاد تكون رثة، ويأكل بنهم غير مبالٍ وجده بوارو ذا مغزى.

لخص بوارو أوصافه في نفسه: "إنه ذئب له أفكاره الخاصة".

قال رايكز بحفاة: ماذا تقصد... بمجيئك بهذه الصورة؟

- أنت مستاء من زيارتي؟

- أنا لا أعرف أصلاً من تكون.

- إذن هل لي بسؤالك يا سيد رايكز عن سبب تواجذك هناك؟

ابتسم السيد رايكز فجأة وقال: غلبتك في هذه... كنت أنتظر لمعالجة أسناني أيضاً!

- وهل كنت تعاني من ألم الأسنان؟

- هذا صحيح.

- لكنك خرجت دون معالجة أسنانك بالرغم من ذلك؟

- وماذا في ذلك؟ هذا شأني.

سكت قليلاً ثم قال بنبرة سريعة فظة: ما فائدة كل هذا الحديث المبتذل؟ أنت كنت هناك لحماية صيدك الثمين. حسناً، إنه بخير، أليس كذلك؟ لم يحدث شيء لصاحبك الثمين السيد أليستر بلانت، ليس لديك شيء عليّ.

قال بوارو: إلى أين ذهبت عندما خرجت فجأة من قاعة الانتظار؟

- غادرت مبنى العبادة بالطبع.

- آه!

قالها بوارو وهو يرفع بصره إلى السقف، ثم أضاف: ولكن أحداً لم يرك تخرج يا سيد رايكز.

- وهل بهم هذا؟

رفع بوارو كتفيه بلا مبالاة وقال: أردت... رؤيتك.

- أحقاً؟

صاقت عيناه من الغضب وقال: إن كنت تجري وراء المال فأنت جئت إلى الرجل غير المناسب. إن أمثالي لا يستطيعون شراء ما يريدونه، من الأولى أن تعود إلى الرجل الذي يدفع لك راتبك.

قال بوارو وهو يتهدد: لم يدفع لي أحد شيئاً... بعد.

- لا أحسبك صادقاً؟

- إنها الحقيقة. إنني أضيع كثيراً من الوقت الثمين دون مكافأة، لنقل إن ذلك لمجرد إشباع فضولي.

- وأظن أنك كنت تشبع فضولك بالأمس عند طبيب الأسنان.

هز بوارو رأسه نائفاً وقال: يبدو أنك تغاضيت عن السبب الطبيعي للتواجد في قاعة انتظار عبادة الطبيب؛ وهو الانتظار لمعالجة الأسنان.

قال السيد رايكز بنبرة تنم عن تكذيب وازدراء: إذن هذا هو سبب وجودك هناك؟ كنت تنتظر من أجل علاج أسنانك.

- بالتأكيد.

- أرجو أن تعذرنني إذا قلت بأنني لا أصدقك.

تستطيع إنقاذه؟ يجب أن يرحل، هو وكل ما يمثله! لا بد من وجود أسس جديدة. يجب أن يذهب النظام المائي القديم الفاسد... هذه الشبكة الحقيرة من رجال البنوك في جميع أنحاء العالم التي تشبه بيت العنكبوت، يجب إزالتها من الوجود. أنا لا أحمل لبلانت أية أحماد شخصية، لكنه من النوع الذي أكرهه. ذلك النوع الوسطي المعتدل الرأضي بنفسه، إنه من النوع الذي لا يمكنك زحزحته من مكانه إلا إذا نسفته بالديناميت، إنه رجل يقول: "لا يمكنك تقويض أسس الحضارة". ألا تستطيع فعلاً؟ دعه ينظر ويَز! إنه عقبة في طريق التقدم ويجب إبعاده... لا يوجد مكان في العالم اليوم لرجال مثل بلانت، رجال رجعيين، رجال يريدون العيش كما كان يعيش آباؤهم... أو حتى كما كان يعيش أجدادهم! يوجد الكثير منهم هنا في إنكلترا، ولا بد لهم من أن يرحلوا. يجب أن يوجد عالم جديد، هل تفهمني؟ عالم جديد.

تنهد بوراو ثم نهض وقال: أرى يا سيد راينز أنك صاحب مُثُل.

- وماذا في ذلك؟

- أكثر مثالية من أن تأبه بمقتل طبيب أستاذ.

قال راينز باحتقار: بماذا تم وفاة طبيب بالنس؟

قال بوراو: إنها لا تمك، ولكنها تهمني. وهذا هو الفرق بيننا.

- ربما، نذكر أن شخصاً قد مات بعد ذلك بوقت قصير.

قال راينز دون مبالاة: آه، تقصد طبيب الأسنان.

كانت نبرة بوراو قاسية عندما قال: نعم، أقصد طبيب الأسنان.

نظر راينز إليه وقال: أتحاول إصااق التهمة بي؟ أهذه هي اللعبة؟ حسناً، لن تفلح فيها. لقد قرأت قبل قليل ما دار في جلسة التحقيق بالأمس: الطبيب المسكين قتل نفسه لأنه أخطأ في المخدر الموضوعي فمات أحد مرضاه.

مضى بوراو دون التفات لكلام صاحبه: هل يمكنك إثبات أنك غادرت البيت كما تقول؟ هل من شخص يمكنه القول جازماً أين كنت بين الثانية عشرة والواحدة؟

رد عليه الآخر غاضباً: إذن فأنت تحاول فعلاً إصااقها؟ أظن أن بلانت قد كلفك بذلك؟

تنهد بوراو وقال: أرجو المعذرة، لكن ذلك يبدو هاجساً استحوذ عليك.. هذا الإصرار على السيد أليستير بلانت، إنه لم يكلفني بشيء، ولم يسبق له أبداً أن كلفني بشيء. ليست سلامته هي التي تعني، بل يعني موت رجل كان يتقن المهنة التي اختارها.

هز راينز رأسه وقال: أعتذر؛ لا أصدقك. أنت رجل تحرر تعمل لحساب بلانت بلا شك.

اسود وجهه وهو يميل فوق الطاولة، ثم أكمل: لكنك لن

أرجو أن تعذري، ولكن الحقيقة هي أن التحقيق الذي جرى بالأمس ضايقني كثيراً.

قال بوارو بلطف: أنا واثق من هذا.

- لم تُطلب شهادتي، لكنني شعرت بأن أحداً لا بد أن يرافق الأنسة مورلي. كان السيد ريلي هناك بالطبع، لكنني أعني امرأة ترافقها، كما أن الأنسة مورلي لا تحب السيد ريلي. لذلك رأيت أن من واجبي الذهاب.

قال بوارو مشجعاً: كان ذلك لطفاً كبيراً منك.

- لا، إنما شعرت أن ذلك واجبي. لقد عملت مع السيد مورلي عدداً من السنوات، وكان الخبر صدمة كبيرة لي. وبالطبع زاد التحقيق الأمر سوءاً...
أظن ذلك فعلاً.

مالت الأنسة نيفيل إلى الأمام بجديّة وقالت: ولكن الأمر كله خطأ يا سيد بوارو. إنه خطأ فعلاً.

- ما هو الخطأ يا آنسة؟

- لا يمكن أن يحدث... ليس بالطريقة التي استنتجوها. أقصد إعطاء مريض جرعة زائدة من خلال حقنه باللثة.

- ألا تترين إمكانية ذلك؟

- إنني متأكدة من الأمر. صحيح أن المرضى يعانون من وقت

عاد بوارو إلى بيته فأبلغه جورج أن في انتظاره سيدة تريد رؤيته.

قال جورج: إنها... إنها عصبية المزاج قليلاً يا سيدي.

بما أن السيدة لم تقل اسمها راح بوارو يخمن، ولكن كان تخمينه خاطئاً لأن الشابة التي نهضت عن مقعدها متعملة عندما دخل بوارو عليها كانت سكرتيرة السيد مورلي، الأنسة غلاديس نيفيل.

- سيد بوارو، أنا آسفة على إزعاجك بهذه الطريقة. لا أعرف كيف تجرأت وجئت إلى هنا.. أرجو أن لا تعتبرها وقاحة مني. إنني لا أريد إضاعة وقتك؛ إذ أعرف ما يعني الوقت لرجل محترف مشغول مثلك، لكنني كنت حزينة جداً، وأرجو أن لا تعتبر الأمر إضاعة للوقت.

اقترح عليها بوارو -متأثراً بخبرته الطويلة مع الإنكليز- فنجاناً من الشاي، وكان رد فعل الأنسة نيفيل كما أمل بوارو تماماً. قالت: حسناً يا سيد بوارو، إن هذا لطفك كبير منك، ورغم أنه لم يمر وقت طويل على تناول الإفطار، إلا أن المرء لا يستطيع الاستغناء عن فنجان الشاي بين الحين والآخر، أليس كذلك؟

أجابها بوارو (الذي كان يستطيع دوماً الاستغناء عن الشاي) بأن كلامها صحيح، وفي غضون وقت قصير كان يجلس مقابل زائرته وبينهما صينية الشاي.

قالت الأنسة نيفيل وقد بعث فيها فنجان الشاي الثقة من جديد:

قال بوارو: لا أحد يريد أن يعرف.

حدثت إليه محتارة، قال بوارو: بودي أن أعرف المزيد عن تلك البرقية التي استلمتها والتي طلبت منك السفر في ذلك اليوم.

- لا أعرف - صدقاً - ما الذي أقوله عنها يا سيد بوارو. إنها تبدو غريبة جداً، لا بد أن مرسلها كان شخصاً يعرف كل شيء عني... وعن عمتي؛ أين تعيش، وغير ذلك.

- نعم، يبدو الأمر وكأن واحداً من أصدقائك المقربين هو الذي بعثها، أو قد يكون شخصاً يعيش في البيت ويعرف عنك كل شيء.

- ليس من شأن أحد من أصدقائي أن يفعل ذلك يا سيد بوارو.

- ألا تشكّين في أي شخص؟

ترددت الفتاة، ثم قالت ببطء: في البداية - عندما علمت أن السيد مورني قد انتحر - تساءلت إن كان هو الذي بعثها.

- تقصدين أنه كان يريد إبعادك من باب مراعاة مشاعرك؟

أومأت الفتاة بالإيجاب وقالت: ولكنها بدت فكرة غريبة حقاً حتى لو كان يفكر في الانتحار في ذلك الصباح، فإن فكرة إبعادي غريبة جداً. صديقي فرانك تعامل بشكل سخيف مع الأمر في البداية، اتهمني بأنني أريد الخروج مع شخص آخر... وكانني يمكن أن أفعلها.

لآخر من آثار جانبية للمخدر، ولكن هذا يعود إلى بنيتهم الجسدية غير السليمة، إذ لا يكون عمل قلوبهم عادياً منتظماً. لكنني متأكدة من أن الجرعة الزائدة شيء نادر جداً. إن الأطباء يعتادون على إعطاء الكمية المضادة المنتظمة من المخدر بحيث يصبح الأمر مسألة آلية تماماً... إنهم يعطون الجرعة الصحيحة بطريقة آلية.

أوما بوارو برأسه موافقاً وقال: هذا ما فكرت فيه شخصياً، نعم.

- إنها جرعة موحدة ذات حجم محدد ومستقر. ليس الأمر مثل الصيدلي الذي يحضّر كميات مختلفة من المستحضرات أو الجرعات الكثيرة المختلفة مما يسمح بحدوث خطأ دون الانتباه له، وليس الأمر كالعطيب العام الذي يكتب كثيراً من الوصفات الطبية المختلفة لمرضاه. إن طبيب الأسنان ليس كذلك على الإطلاق.

سألها بوارو: ألم تطلبي السماح لك بالإدلاء بهذه الأقوال في جلسة التحقيق؟

هزت غلاديس نفيلاً رأسها نافية، وصارت تعبت بأصابعها بازتياب ثم قالت أخيراً: كنت خائفة من... من جعل الأمور أسوأ. أعرف - بالطبع - أن السيد مورلي لا يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء، ولكن ملاحظاتي هذه قد تجعل الناس يعتقدون أنه فعلها عامداً.

أوما بوارو موافقاً، فقالت: هذا ما دعاني للحضور إليك يا سيد بوارو؛ لأن الأمر معك لن يكون رسمياً بأي شكل. لكنني أرى أنه لا بد من إبلاغ شخص ما بأن... بأن هذا كله غير مقنع.

- أوجد شخص آخر؟

- لا بالطبع. لكن فرانك أصبح مختلفاً في الآونة الأخيرة...
متقلب المزاج وشكاكاً. ربما لأنه فقد وظيفته ولم يستطع العثور
على وظيفة جديدة؛ إن البطالة سيئة جداً لأي رجل، لقد قلقت
على فرانك كثيراً.

- هل تضايق عندما علم بسفرك ذلك اليوم؟

- نعم. جاء ليخبرني بأنه حصل على وظيفة جديدة؛ وظيفة
رائعة بعشرة جنيهات بالأسبوع. ولم يستطع الانتظار... أراد أن
يعلمني بالأمر فوراً، وأظن أنه كان يريد أن يُعلم السيد مورلي أيضاً
بالأمر لأنه تضايق كثيراً من عدم تقدير السيد مورلي له وكان يشك
بأنه يحاول التأثير عليّ حتى أبتعد عنه.

- وهو ما كان صحيحاً، أليس كذلك؟

- نعم، كان صحيحاً إلى حد ما. لقد فقد فرانك كثيراً من
الوظائف التي كان يعمل فيها، وربما لم يكن من النوع الذي يسميه
الناس مستقراً، ولكن الأمور ستتغير الآن. أعتقد أن المرء يصنع كثيراً
بالتأثير، ألا ترى ذلك؟ إذا أحس الرجل بأن المرأة تتوقع منه الكثير
فإنه يحاول تحقيق ما تتوقعه منه.

تنهد بووارو لكنه لم يجادلها. لقد سمع مئات النساء يقلن مثل
هذا الكلام معتقداتٍ بالتأثير الشافي لحب المرأة على الرجل، لكنه
رأى -متشالماً- أن فرص نجاح مثل هذا التأثير لا تتعدى حالة من
كل ألف، واكتفى بالقول: بوذي لو أقابل صديقك هذا.

- أتمنى أن تقابله يا سيد بووارو، لكنه مشغول في الوقت الحالي
طوال أيام الأسبوع، حيث يذهب إلى الريف ويرتاح فقط في نهاية
الأسبوع.

- نعم، في عمله الجديد. على فكرة ماذا يعمل؟

- لا أعرف بالضبط يا سيد بووارو. أظن أنه عمل يشبه عمل
السكرتير في إحدى الدوائر الحكومية. أعرف أن عليّ إرسال الرسائل
إلى عنوان فرانك في لندن ومن هناك يرسلونها له.

- هذا غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟

- ظننت ذلك في البداية، لكن فرانك يقول إن ذلك يحدث
كثيراً هذه الأيام.

نظر بووارو إليها لبعض الوقت دون أن يتكلم، ثم قال متأثراً:
غداً عطلة نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟ أرجو أن تشرفاني -أنتما
الاثنتين- بتناول الغداء معي في مطعم لوغان كورنر. أحب مناقشة
هذا الحادث المؤسف معكما.

- أشكرك يا سيد بووارو. إنني... نعم، أنا واثقة من أننا نرغب
بتناول الغداء معك.



كان فرانك كارتر شاباً متوسط الطول، أشقر الشعر، وكان
منظره يوحى بالأناقة الرخيصة. كان يتحدث بطلاقة وسرعة، وعندما
كان يحس بالضيق وبالحرَج كانت عيناه تصيفان وتتقلبان من جانب

- لم يكن يفهم الموقف.

- كان يفهم تماماً. الرجل الآن ميت، وإلا لكنت وبخته أيما

توبيخ.

سأله بوارو بلطف: الواقع أنك جئت في صباح يوم مقتله لكي
تفعل ذلك، أليس كذلك؟

قال فرانك كارتر غاضباً: من قال هذا؟

- لقد ذهبت هناك، أليس كذلك؟

- وماذا في ذلك؟ أردت رؤية الأسة نيغيل.

- لكنهم قالوا لك إنها سافرت.

- نعم، وهذا ما أثار في نفسي الشكوك. لقد أخبرت ذلك

الأبله ذا الرأس الأحمر بأنني سأنتظر وأرى مورلي، فلقد تمادى
كثيراً في تحريض غلاديس عليّ، وكنت أعترم إختياره بأنني -بدلاً
من أن أكون عاطلاً عن العمل فقيراً- قد حصلت على وظيفة جيدة
وأنه حان الوقت لأن تسلمه غلاديس إنذاراً بترك العمل وتفكر في
التجهيز لمسألة الزواج.

- لكنك لم تخبره ذلك عملياً؟

- لا. سممت الانتظار في تلك الغرفة القائمة فخرجت.

- متى كان ذلك؟

- لا أتذكر.

لآخر بشيء من التملل. كان يميل إلى الشك مع أثر ضئيل من
العداية.

- لم أكن أعرف أننا سنسعد بتناول الغداء معك يا سيد بوارو؟
غلاديس لم تخبرني عن هذا شيئاً.

نظر إليها وهو يتكلم نظرات تدل على انزعاجه.

قال بوارو مبتسماً: لم يتم ترتيب ذلك إلا بالأمس، الأسة نيغيل
متضايقة جداً من ظروف وملابس وفاة السيد مورلي ولذلك رأيت
أن تفكر في الأمر سوياً...

قاطعه فرانك كارتر بفظاظة: وفاة مورلي؟ لقد سممت موضوع
وفاة مورلي. لماذا لا تتسبن أمره يا غلاديس؟ لا أرى أن فيه شيئاً
رائعاً.

- يجب ألا نقول كلاماً كهذا يا فرانك، لقد ترك لي في وصيته
منة جنبه. تلقيت رسالة ليلة الأمس بهذا الخصوص.

اعترف فرانك كارهاً: لا بأس بهذا، ولماذا لا يفعل؟ كنت
تعملين عنده عمل العبيد... ومن الذي كان يحصل على الرسوم
والأجور؟ إنه هو.

- بالطبع هو... كان يدفع لي راتباً جيداً.

- لا اعتبره راتباً جيداً. أنت شديدة التواضع يا غلاديس؛ لقد
سمحت له أن يستغلّك. إنني أعرف مورلي تماماً، تعرفين -كما
أعرف- بأنه حاول جهده حملك على التخلي عني.

- هذا صحيح، لا غبار عليه. وهو يظهر أنني أستطيع الحصول على وظيفة رغم كل المصاعب عندما أحزم أمري.

بدا عليه الزهو قليلاً، فقال بوارو: نعم، وهل العمل شاق؟

رد عليه فرانك كارتر باختصار: ليس شيئاً كثيراً.

- وهل هو عمل ممتع؟

- نعم، ممتع جداً. بهذه المناسبة، كنت مهتماً دوماً بمعرفة كيفية عمل رجال التحري الخصوصيين. لا أظن أنه يوجد الكثير من لمسة شيرلوك هولمز البوليسية في عملكم؛ فمعظمه يتعلق بقضايا الطلاق في هذه الأيام.

- إنني لا أشغل نفسي بقضايا الطلاق.

- حقاً؟ إذن لا أفهم كيف تعيش.

- إنني أدبر نفسي يا صديقي... أدبر نفسي.

تدخلت غلاديس نيفيل: لكنك وصلت إلى القمة يا سيد بوارو، أليس كذلك؟ كان السيد مورلي يقول هذا.

ابتسم بوارو لها وقال: أنت تبالغين في إطرائي.

سار بوارو إلى بيته في الشوارع المهجورة وهو يفكر، وعندما وصل اتصل بجاب وقال: أرجو المعذرة على إزعاجك يا صديقي،

- إذن متى وصلت إلى هناك؟

- لا أعرف، أظن أنه كان بعد الثانية عشرة بقليل.

- هل بقيت هناك لنصف ساعة أم أقل أم أكثر؟

- لا أعرف؛ فأنا لست من النوع الذي ينظر إلى الساعة طوال

الوقت.

- هل كان في قاعة الانتظار أي شخص عندما كنت هناك؟

- عندما دخلت كان فيها رجل بدين، لكنه لم يمكث طويلاً.

ويعد ذلك بقيت وحيداً.

- إذن لا بد أنك غادرت قبل الثانية عشرة والنصف؛ لأن سيدة

وصلت في ذلك الوقت.

- أظن ذلك، فقد أثار المكان أعصابي كما قلت لك.

نظر إليه بوارو متأملاً... كانت لهجته العنيفة تنم عن شيء من التملل والاضطراب ولم تكن أصيلة حقيقية تماماً، ومع ذلك يمكن أن يُعزى ذلك لمجرد العصبية.

قال بوارو ببساطة ومودة: أخبرتني الآنسة نيفيل أنك كنت

محظوظاً وحصلت على عمل جيد فعلاً.

- الراتب جيد.

- أخبرتني بأنه عشرة جنيهات في الأسبوع.

- شخص رغب في المداعبة في نفس اليوم الذي كان مقدراً فيه لمورلي أن يرتكب خطأ في حقنة لمريض؟

- قد تكون تلك علاقة ارتباط السبب بالنتيجة. فلأن الأنسة نيفيل كانت مجازة أصبح مورلي أكثر اشغالاً من المعتاد ولذلك أصبح أكثر عرضة لارتكاب الخطأ.

- ما زلتُ غير مقتنع.

- كمعادتك دوماً. ولكن ألا ترى إلى أين تقودك فكرتك؟ إن كان أحدٌ قد أراد إبعاد الأنسة نيفيل فإنه مورلي نفسه، مما يجعل قتله لأمبيروتيس متعمداً وليس مجرد حادث.

بني بوارو صامتاً، قال جاب: هل فهمت؟

قال بوارو: ربما قُتل أمبيروتيس بطريقة أخرى.

- إلا هذا! لم يأت أحد لرويته في فندق سافوي، تناول غداءه في غرفته، ويقول الأطباء إن المادة التي تسببت في موته جاءت بالتأكيد عن طريق الحقنة وليس القم؛ فهي لم تكن في المعدة. إذن فهي قضية واضحة.

- هذا ما يراد لنا أن نراه.

- المدعي العام مقتنع على أية حال.

- وهل هو مقتنع باختفاء السيدة؟

- قضية اختفاء سيل؟ لا، ما زلنا نحث في هذه القضية. لا بد

ولكن ألم تتحقق من مسألة تلك البرقية التي أرسلت إلى غلاديس نيفيل؟

- أما زلت تتحدث في هذه المسألة؟ نعم، لقد حققنا فيها في الواقع. نعم، أرسلت لها برقية من ريتشارد، في حين تعيش عنمتها في ريتشور في سومرست.

قال بوارو معجباً: هذا عمل ذكي... نعم، عمل ذكي. لو حدث وألقى مستلم البرقية نظرة على اسم المنطقة التي أرسلت منها لبدت له ريتشورون نتيجة التقارب الشديد بين الاسمين.

سكت قليلاً ثم قال: أتعرف بماذا أفكر يا جاب؟

- بماذا؟

- توجد علامات على وجود ذكاء بالغ في هذا الأمر كله.

- عندما يريد ما هيركيول بوارو جريمة قتل فإنها يجب أن تكون جريمة قتل!

- بماذا تفسر تلك البرقية؟

- مصادفة، شخص رتب مقلباً للفتاة.

- ولماذا؟

- يا إلهي! ما بالك يا بوارو؟ لماذا يقوم الناس بعمل أشياء كهذه؟ مزاحات ثقيلة، مغالب، روح دعابة في غير محلها.. هذا كل ما في الأمر.

- آه، أظن أن ذلك قد يأتي بتطورات.

قال جاب: "لا تقلق؛ سنجد لك فانتك المففودة!". ثم وضع السماعه.

بعد ذلك بقليل دخل جورج الغرفة بمشيته الخفيفة المعتادة ووضع على الطاولة الصغيرة إبريقاً فيه شراب الشكلاطة الساخنة وبعض قطع البسكويت المحلي.

- هل من شيء آخر يا سيدي؟

- إن ذهني في حيرة شديدة يا جورج.

- أحقاً يا سيدي؟ أنا آسف لسماع هذا.

صب هيركيول بوارو لنفسه بعض الشكلاطة وحرك فنجاناه وهو يتأمل، ووقف جورج محايداً ينتظر وقد عرف معنى هذه العلامات. كانت توجد لحظات يناقش فيها هيركيول بوارو قضاياها مع خادمه، وكان دائماً يقول إن ملاحظات جورج تساعد كثيراً.

- لا شك أنك علمت يا جورج بوفاة طبيب أسناني؟

- السيد مورلي يا سيدي؟ نعم، أمر مؤسف جداً. علمت أنه انتحر.

- هذا هو المفهوم العام، إذا لم يكن قد انتحر فقد قُتل.

- نعم يا سيدي.

- السؤال هو: إن كان قد قُتل، فمن الذي قُتل؟

أن المرأة موجودة في مكان ما، لا يمكن أن تخرج إلى الشارع وتختفي هكذا.

- يبدو أن هذا ما حدث.

- مؤقتاً. ولكنها -دون شك- في مكان ما، حية أو ميتة، ولا أعتقد أنها ميتة.

- ولم لا؟

- لأننا كنا سنعثر على جثتها.

- آه، هل تكتشف الجثث بهذه السرعة دائماً يا جاب؟

- أظن أنك تلمح إلى أنها هي الأخرى مقتولة وأنا سنجد جثتها في أحد المحاجر وقد قطعت إرباً مثل السيدة راكستون؟

- يوجد دائماً -يا صديقي- أشخاص مفقودون لم تعثروا على أثر لهم.

- نادراً جداً! كثير من النساء يختفين، لكننا في العادة نجدهن دون شك. تسعة أعشار هذه القضايا تكون غرامية، لكني لا أظن أن الأمر كذلك مع مايل هذه، أليس كذلك؟

قال بوارو بحذر: لا ندرى. ولكني لا أرى ذلك محتملاً، إذن فأنت واثق من أنك ستعثر عليها؟

- سنجدها بالتأكيد، إننا نقوم بتوزيع ونشر أوصافها في الصحف، كما أننا نحاول الإعلان عنها في الإذاعة.

الأسنان قتل الرجل سين الحظ الجالس على كرسي العلاج دون أن يدرك بأن ذلك الضحية بالذات كان يخطط لقتله. قد يكون الأمر كذلك بالطبع، ولكن يبدو لي بأن هذا مستبعد جداً، كما أننا لم ننته من قائمة الأسماء بعد. ربما كان في المنزل في تلك اللحظة شخصان، جميع المرضى الذين جاؤوا قبل السيد أمبيروتيس شوهدهوا وهم يغادرون المنزل باستثناء واحد... شاب أمريكي، خرج من قاعة الانتظار في الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً تقريباً، ولكن لم يره أحد - فعلياً - وهو يغادر المنزل، لذلك لا بد أن نعتبره احتمالاً قائماً. أما الاحتمال الآخر فهو السيد فرانك كارتر (وهو ليس من المرضى)، وقد جاء إلى البيت بعد الثانية عشرة بقليل وكان يعترم رؤية السيد مورلي، ولم يره أحد وهو يغادر المنزل أيضاً. هذه - يا جورج - هي الوقائع، فما رأيك؟

- متى وقعت حادثة القتل يا سيدي؟

- إذا كان أمبيروتيس هو الذي قتله فإن الحادث قد وقع في أي وقت بين الثانية عشرة وخمس دقائق والثانية عشرة والثلاث، وإذا كان القاتل شخصاً آخر فقد ارتكبهها بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وإلا لكان السيد أمبيروتيس قد رأى الجثة.

نظر إلى جورج مشجعاً: الآن يا عزيزي جورج، ماذا تقول في هذه المسألة؟

فكر جورج ملياً ثم قال: إن ما يستوقفني يا سيدي...

- نعم، ما هو يا جورج؟

- نعم يا سيدي.

- لا يوجد - يا جورج - إلا عدد محدود من الناس ممن كان يوسعهم قتله، وهذا يشمل الناس الذين كانوا في المنزل أو يمكن أن يكونوا فيه في ذلك الوقت.

- هذا صحيح يا سيدي.

- هؤلاء الناس هم: الطباخ وخدمة المنزل، وهما شخصان ودودان ويستبعد أن يفعلوا شيئاً كهذا. وتوجد أيضاً أخته، وهي مستبعدة أيضاً، ولكنها تراث ثروة أخيها من بعده، ونحن لا نستطيع تجاهل الجانب المالي كلياً. ولدينا أيضاً شريكه القدير الذي لا نعرف له دافعاً، وخدام أحق مدمن على مطالعة القصص البوليسية الرخيصة، وأخيراً اليوناني ذو التاريخ المريب بعض الشيء.

سعل جورج وقال: هؤلاء الأجانب يا سيدي...

- بالضبط، إنني أوافقك تماماً. الرجل اليوناني مشكوك فيه بالتأكيد. ولكن هذا الرجل - يا جورج - مات هو الآخر، ومن حيث الظاهر فإن السيد مورلي هو الذي قتله. ولا نستطيع الجزم إن كان ذلك عن قصد أم مجرد خطأ قاتل.

- ربما قتل كل منهما صاحبه يا سيدي. أقصد أن كل واحد منهما قد خطط لقتل الآخر رغم أنهما لم يعلما بنوايا بعضهما البعض.

قال بوارو مستحسناً الفكرة: فكرة ذكية جداً يا جورج. طيب

- نعم، أنا هو.

- أنا جين أوليفيرا، قريبة السيد أليستر بلانت.

- نعم يا آنسة أوليفيرا؟

- هلا جئت إلى «البيت القوطي» من فضلك؟ لدي شيء أشعر
أن عليك أن تعرفه.

- بالتأكيد، ما هو الوقت المناسب؟

- الساعة السادسة والنصف من فضلك.

- سأكون هناك.

تردد صوت الفتاة الأمر قليلاً وقالت: أرجو... أرجو أن لا أكون
قد قطعت عليه عملك؟

- أبدأ، كنت أتوقع اتصالك.

وضع السماعة بسرعة. ابتعد عن الهاتف وهو يتسهم، وتساءل
- في نفسه - عن الحجة التي وجدتها جين أوليفيرا لاستدعائه.

عندما وصل بوارو إلى البيت القوطي أدخل مباشرة إلى المكتبة
الكبيرة التي تطل على النهر. كان أليستير بلانت جالساً وراء طاولة
الكتابة يعث بسكين فتح الرسائل وهو شارد الذهن، وقد بدت عليه
مسحة الإنهالك الذي يصيب رجلاً أتعبته نساء بيته.

عندما دخل بوارو الغرفة كانت جين أوليفيرا واقفة قرب المدفأة

- أن عليك أن تبحث عن طيب أسنان آخر لتعالج أسنانك
عنده في المستقبل.

قال هيركيول بوارو: إنك تتفوق على نفسك يا جورج، ذلك
الجانب من المسألة لم يخطر ببالي حتى الآن!

خرج جورج من الغرفة وقد بدا مسروراً، وظل هيركيول بوارو
يرشف من الفنجان ويقلب الحقائق التي حددها قبل قليل. كان مقتنعاً
بأنها كانت كما حددها. إن الشخص الذي ارتكب ذلك العمل من
ضمن دائرة الأشخاص تلك، بغض النظر عن المحرضين الحقيقيين.
ثم قطب حاجبيه عندما أدرك أن القائمة لم تكن مكتملة؛ فقد نسي
اسماً واحداً.

يجب أن لا يترك اسماً واحداً... حتى أبعد الناس احتمالاً. كان
في البيت شخص آخر وقت ارتكاب الجريمة.

كتب على الورقة الموضوعية أمامه: «السيد بارتز».

أعلن جورج: سيدة تريد الحديث معك بالهاتف يا سيدي.

قبل أسبوع كان هيركيول بوارو قد أخطأ في تخمين هوية الزائرة
التي جاءت، أما هذه المرة فإن تخمينه كان صحيحاً. عرف صوتها
على الفور.

- السيد هيركيول بوارو؟

- كانت آخر مرة ذهب فيها العم أليستر إلى طبيب الأسنان. لا أقصد زيارته الأخيرة هذه قبل أيام وإنما قبل ثلاثة أشهر. لقد ذهب معه إلى ذلك المنزل في شارع الملكة شارلوت في سيارة البرونز، وكانت السيارة ستأخذني لزيارة صديقة لي في ريجنت بارك وتعود مرة أخرى لتأخذني من العيادة. توقفنا عند المنزل ٥٨ وخرج عمي من السيارة، وبينما هو كذلك خرجت امرأة من العيادة. كانت امرأة متوسطة العمر ذات شعر منفوش وملابس لا تدل على ذوق رفيع، توجّهت إلى عمي مباشرة وقالت: "آه، سيد بلانت... أنا والثقة أنك لا تتذكرني!". وفهمت من التعابير التي ظهرت على وجه عمي أنه لم يتذكرها على الإطلاق.

تنهد أليستير بلانت وقال: لم أتذكرها أبداً، الناس يقولون ذلك دائماً.

أكملت جين تقول: بدأ بالتظاهر... أعرفه جيداً؛ تظاهر بأنه يتذكرها، رغم أن تظاهره لم يكن ليخدع طفلاً صغيراً. قال بنبوة غير مقنعة: "آه، بالطبع... بالطبع"، وأكملت المرأة الفظيعة تقول: "كنت صديقة حميمة لزوجتك".

قال بلانت بصوت علاه الحزن: إنهن يقلن ذلك في العادة.

ثم ابتسم ابتسامة حزينة وقال: ويتبني الأمر دوماً بنفس الطريقة! طلب بالشرع لعملي أو لآخر، هذه المرة خرجت من الموقف بعد أن تبرعت لها بخمسة جنيهات لصالح مشروع زينا الخيري... مبلغ بسيط.

وأمامها امرأة متوسطة العمر ممثلة الجسم تتكلم باضطراب، وكانت تقول: "نعم يا جوليا، بالطبع، بالطبع". وكان أليستير بلانت يحاول تهدئتها عندما دخل بوارو فنهض لتحيته، وأضافت السيدة تقول: وإذا كنتم ستتكلمون كلاماً مخيفاً فسوف أعادر الغرفة.

ردت عليها جين أوليفيرا: سأكنم يا أمي.

خرجت السيدة أوليفيرا من الغرفة بسرعة دون التفضل على بوارو بأي نظرة اهتمام.

قال أليستير بلانت: جميل منك أن تأتي يا سيد بوارو. أظن أنك رأيت الأنسة أوليفيرا من قبل؟ هي التي أرسلت في طلبك.

قاطعت جين قائلة: الأمر بخصوص هذه المرأة المفقودة التي امتلات الصحف بالكتابة عنها، الأنسة سيل.

- سينبري سيل، أليس كذلك؟

التفت جين مرة أخرى إلى بوارو وقالت: إنه اسم يدل على النفاخر الكاذب، ولهذا أتذكره. هل أخبره أنا أم أنت يا عم أليستير؟

- إنها قصتك يا عزيزتي.

التفت جين إلى بوارو مرة أخرى وقالت: قد لا يكون الأمر مهماً على الإطلاق... لكنني اعتقدت أنك يجب أن تعرف.

- نعم، ما الأمر؟

- هل كانت تعرف زوجتك فعلاً؟

ابتسم بوارو في سره، وفي الطابق الأرضي توقفت جين فجأة وقالت: ادخل هنا لو سمحت.

دخلا غرفة صغيرة بعيدة عن الصالة، وهناك التفتت إليه وقالت: ماذا كنت تعني عندما قلت لي بالهاتف إنك كنت تتوقع مني اتصالاً؟

ابتسم بوارو ورفع يديه وهو يقول: ما قلته بالضبط يا آنسة. كنت أتوقع منك مكالمة، وجاءت المكالمة.

- تقصد أنك كنت تعرف بأني سأنصل بكل لأحدثك بخصوص هذه المرأة سينسيري سيل؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: كانت تلك مجرد ذريعة لا غير، وكنت تستطيعين العثور على حجة أخرى لو لزم الأمر.

قالت جين: ولماذا عساني أنصل بك؟

- ولماذا تبلغيني أنا بهذا النبا العثير عن الأنسة سينسيري سيل بدلاً من شرطة سكوتلانديارد؟ ذلك هو الطبيعي.

- حسناً أيها السيد العلامة... إلى أي مدى تعرف بالضبط؟

- أعرف أنك مهتمة بي منذ علمت بأني زرت فندق هولبورن بالاس قبل أيام.

شحب لونها إلى حدٍ أدهشه؛ لم يكن يصدق بأن بشرتها المسفوعة تلك ستتغير إلى هذا اللون المخضر.

- إن اهتمامها بمشروع زينا الخيري جعلني أعتقد ذلك. وإن كان ذلك صحيحاً فلا بد أنه حدث في الهند. كنا هناك قبل عشر سنوات، لكنها لا يمكن أن تكون صديقة مقربة لها بالطبع، وإلا لعرفتها. ربما التقت بها مرة في إحدى الحفلات.

قالت جين أوليفيرا: لا أظن أنها رأت زوجة عمي ريكا أبداً، بل أعتقد أن ذلك كان مجرد عذر لتكلم معه.

قال أليستير بلانت بتسامح: هذا محتمل جداً.

قالت جين: أقصد أنني أعتقد أن الطريقة التي حاولت بها ادعاء معرفتك كانت غريبة يا عمي.

رد عليها أليستير بلانت بنفس التسامح: على أية حال فإنها لم تحاول متابعة المسألة. لم هز رأسه وقال: لم أفكر فيها أبداً بعد ذلك، حتى إنني نسيت اسمها إلى أن رأته جين في إحدى الصحف.

قالت جين بأسلوب يفتقر قليلاً للإقناع: حسناً، لقد فكرت أن السيد بوارو يجب أن يعرف بهذه القصة!

قال بوارو بأدب: "أشكرك يا آنسة"، ثم أضاف: لا أريد أن أشغلك أكثر من ذلك يا سيد بلانت؛ فأنت رجل مشغول.

أسرعت جين تقول: سأنزول معك.

ثم يلتفت بوارو لملاحظتها هذه، بل مضى قائلاً: كنت تتوقعين... أو بالأحرى تخشين حدوث شيء في بيت السيد مورلي. لقد خشيت أن شيئاً ربما حدث لعلمك، ولكن إن كان كذلك، فلا بد أنك تعرفين شيئاً لم تكن تعرفه. لقد فكرت في الأشخاص الذين كانوا في منزل السيد مورلي ذلك اليوم، وعرفت على الفور الشخص الذي ربما كانت له صلة بك؛ وهو ذلك الشاب الأمريكي السيد هوارد رايكز.

- الأمر يبدو مثل مسلسل تلفزيوني، أليس كذلك؟ ما هو الحدث المشير التالي؟

- لقد ذهبتُ لرؤية السيد هوارد رايكز. إنه شاب خطير وجذاب.

ثم سكت بوارو سكته ذات مغزى.

قالت جين متأملة: "إنه هكذا، أليس كذلك؟". ثم ابتسمت وقالت: حسناً، لقد كسبت! كنت خائفة جداً بالفعل.

ثم مالته إلى الأمام وقالت: سأخبرك ببعض الأمور يا سيد بوارو. أنت لست من النوع الذي يمكن خداعه؛ فأخبارك أفضل من تحمل طفلك حولنا حتى تعرف الحقائق. إنني أحب ذلك الرجل، هوارد رايكز، بل إنني أحبه جداً، ولقد أحضرتني والذئبي إلى هذا المكان لكي تبعدني عنه. هذا سبب، والسبب الآخر أنها كانت تأمل بأن يتعلق العم أليستير بي، ومن ثم يترك لي ثروته بعد وفاته.

ثم أكممت تقول: أمي هي ابنة أخت زوجته، فقد كانت أمها

أكمل يقول يهدوء وثبات: لقد طلبت مني الحضور هنا اليوم لأنك تريدني انتزاع معلومات مني، أليس كذلك؟ بلى، إنك تريدني انتزاع معلومات بخصوص السيد هوارد رايكز.

قالت جين أوليفيرا: ومن يكون هذا على أية حال؟

لم يكن ذلك سؤالاً ناجحاً.

قال بوارو: لا حاجة لانتزاع المعلومات مني يا آنسة. سأخبرك بما أعرفه، أو بالأحرى بما أؤمنه. في ذلك اليوم الأول - عندما جئنا هنا أنا والمفتش جاب - فوجئتُ برويتنا وظننت أن شيئاً قد حدث لعلمك، لماذا؟

- إنه رجل يحتمل أن تحدث له أشياء. ذات يوم تلقى طرداً ملغوماً بالبريد، وهو يتلقى الكثير من رسائل التهديد.

أكمل بوارو قائلاً: لقد أخبرك رئيس المفتشين جاب بأن طبيب أسنان يدعى السيد مورلي قد قُتل. ربما تذكرين ردك عليه... لقد قلت: "ما أسخف ذلك!"

زمت جين شفيتها وقالت: حقاً؟ كان ذلك رداً سخيفاً مني، أليس كذلك؟

- كانت ملاحظة غريبة يا آنسة. هذا يكشف أنك كنت تعرفين السيد مورلي، أو بالأحرى تتوقعين حدوث شيء ما... ليس له، ولكن حدث شيء في بيته.

- أنت تحب أن تروي لنفسك قصصاً، أليس كذلك؟

قال يوارو بلطف: إنها رؤية جذابة.

نظرت جين إليه بازدراء وقالت: أنت الآخر تقول هذا!

- ربما لأنني كبير بالنسن. لكبار السن أحلامهم.. مجرد أحلام.

سكنت فسألها بنبرة واقعية: لماذا أخذ السيد هوارد رايزكر موعداً مع طبيب الأسنان في شارع الملكة شارلوت؟

- لأنني أنا التي أردت منه أن يقابل العم أليستير، ولم أر وسيلة أخرى لتحقيق ذلك. كان يشعر بالمرارة تجاه العم أليستير ويكرهه كثيراً، ولذلك ظننت أنه لو رآه ورأى كم هو رجل لطيف ومتواضع فإن مشاعره ستغير تجاهه. وما كنت لأستطيع تدبير لقاء بينهما هنا لأن أُمي كانت ستفسد كل شيء.

قال يوارو: ولكنك كنت خائفة بعد تدبير ذلك الأمر.

ردت عليه ذاهلة: نعم؛ لأن... لأن هوارد ينحرف. إنه... إنه...

قال هيركيول يوارو: إنه يريد اختصار الطريق، وتصفية...

صاحت جين أوليفيرا: لا تقلها.

أختاً لرييكا آرهنولت، وبالتالي فأنا أناديه عمي مجازاً. ولأنه ليس له أقارب مقربين، فقد فكرت أُمي لماذا لا تكون وريثته، كما أنها تأخذ من أمواله بحرية. كما ترى فإنني صريحة معك يا سيد يوارو. هكذا نحن، والواقع أن لدينا أموالاً كثيرة خاصة بنا (وهي أموال قذرة كما يسميها هوارد)، لكننا لسنا في مستوى العم أليستير.

سكنت، وضربت يديها على ذراع الكرسي بقوة وقالت: كيف أجعلك تفهم؟ إن كل شيء تربيت عليه واعتدته يكرهه هوارد ولا يريد، وأحياناً أشعر بشعوره. إنني أحب العم أليستير كثيراً لكنه يثير أعصابي أحياناً؛ فهو رجعي جداً وممل جداً... حذر جداً ومحافظ. أشعر أحياناً أنه وأمثاله يجب التخلص منهم لأنهم عقبة في تاريخ التقدم، ولأننا من غيرهم سنجعل الأمور تجري بشكل أفضل!

- أنت تبين أفكار السيد رايزكر؟

- جوابي هو نعم ولا. إن هوارد أكثر تطرفاً من بقية جماعته. بعض الأشخاص يتفقون مع هوارد إلى نقطة معينة، إنهم يرغبون في تجربة الأمور والدخول في حلول وسط إذا وافق العم أليستير وجماعته على ذلك، لكنهم لن يوافقوا أبداً! إنهم يجلسون وظهرهم مسنودة إلى الوراء يهزون رؤوسهم ويقولون: "لا يمكننا المجازفة أبداً بذلك". ويقولون: "لن يكون ذلك سليماً من الناحية الاقتصادية"، و"علينا أن نفكر في مسؤوليتنا"، و"انظروا إلى التاريخ". لكنني أعتقد أننا يجب أن لا ننظر إلى التاريخ؛ فقد مضى وانقضى... يجب أن ننظر دائماً إلى الأمام.

الفصل الرابع

مضى الوقت وانقضى على وفاة السيد مورني أكثر من شهر
وما زالت الأنسة سينسبري سبل مخفية، وقد ازداد جانب حنفاً
وغضباً من هذا الأمر.

- تباً! لا بد أن تكون المرأة في مكان ما يا يوارو.

- لا شك في ذلك يا صديقي.

- إما أنها ميتة أو على قيد الحياة. إن كانت ميتة فأين جثتها؟

لنقل على - سبيل المثال - أنها انتحرت...

- انتحار آخر؟

- دعنا نتجنب الخوض في ذلك الأمر. أنت ما زلت تقول بأن

مورني قد قُتل، أما أنا فأقول بأنه انتحار.

- ألم تتحقق من موضوع المسدس؟

- إنه من صنع أجنبي.

- هذا أمر له دلالة، أليس كذلك؟

- إنه ليس من اختصاصي. بلى، توجد عصابات من هذا النوع، ولكنها -عموماً- لا تتورط بمثل هذه الأعمال.

سكت الاثنان قليلاً بينما قتل بوارو شاربه، ثم قال جاب: لقد حصلنا على بعض المعلومات الإضافية عن تلك المرأة... عادت إلى الوطن من الهند على نفس الباخرة التي كان أمبيريو تيس فيها، لكنها كانت في الدرجة الثانية من السفينة بينما كان أمبيريو تيس في الأولى. لذلك لا اعتقد بوجود شيء في الأمر، رغم أن أحد العاملين في فندق سافوي يظن أنها تناولت الغداء معه في الفندق قبل أسبوع من وفاته تقريباً.

- إذن ربما كانا على صلة معاً؟

- ربما، ولكنني لا أظن ذلك محتملاً. لا أستطيع أن أتصور تورط سيدة نشيطة في الأعمال الخيرية في مثل هذه الأعمال الغريبة.

- هل كان أمبيريو تيس متورطاً في أية أعمال غريبة كما تسميها؟

- نعم، كان كذلك. كان على علاقة وثيقة مع بعض الناس في أوروبا الوسطى... أعمال تجسس.

- هل أنت متأكد من ذلك؟

- نعم. إنه لم يكن يقوم بالأعمال القادرة بنفسه، وما كنا نحن قادرين على أن نثبت عليه شيئاً. كان يقوم بأعمال التنظيم واستلام التقارير... هذا عمله.

- ليس بالطريقة التي تقصدها. مورلي سافر إلى الخارج في رحلات مختلفة هو وأخته... الجميع في بريطانيا يسافرون، وربما اشتراه من الخارج. إنهم يحبون أن يشعروا بأن حياتهم في خطر.

سكت قليلاً ثم قال: لا تحول تفكيري إلى موضوع آخر. كنت أقول إنه لو... لو أن تلك المرأة الحمقاء قد انتحرت أو أُلقت بنفسها في النهر -على سبيل المثال- فإن الجثة ستطفو في النهاية وتصل إلى الشاطئ. وإذا كانت قد قتلت فنفس الأمر سيحصل.

- لن تطفو جثتها إذا ما ربطت بثقل وأُلقيت في نهر التيمز.

- إنك تتحدث كنتك الروايات البوليسية التي تكتبها النساء.

- أعرف... أعرف. إنني أحجل عندما أقول هذه الأشياء!

- ولعل عصابة دولية من المحتالين قتلتها؟

تنهد بوارو وقال: قبل لي مؤخراً بأن مثل هذه العصابات موجودة حقاً.

- من قال لك ذلك؟

- السيد ريجينالد بارترز.

قال جاب بارتياح: ربما كان يعرف؛ فقد كان يتعامل مع قضايا الأجناب عندما كان في وزارة الداخلية.

- وأنت، ألا تتفق معه في الرأي؟

وهذا حل آخر يحبه أصحاب الروايات البوليسية! ولكن ثق بأن هذا كله هراء. لو كانت المرأة مينة لكانت جثتها قد دفنت في مكان ما بهدوء.

- ولكن أين؟

- بالضبط. لقد اختفت في لندن، ولا أحد في لندن لديه حديقة، حديقة بمعنى الكلمة. إن ما نبحث عنه هو مزرعة دجاج!

حديقة! نذكر بوراو فجأة تلك الحديقة الأنيقة الجميلة في إيلنج ومسالك الزهور التي فيها. كم سيكون الأمر مشيراً لو أن امرأة قتيلة دفنت هناك! ولكنه شعر بأن هذه فكرة سخيفة.

أكمل جاب يقول: وإن لم تكن مينة، فأين هي؟ لقد مضى أكثر من شهر الآن ونشرت أوصافها في الصحف ووزعت في جميع أنحاء إنكلترا!

- ألم برها أحد؟

- آه، الواقع أن الجميع رأوها! أنت لا تعرف كم عدد النساء متوسطات العمر النحيلات اللاتي يرئدين بدلات الصوف الخضراء! لقد شوهدت في حقول يوركشير وفي فنادق ليفربول وفي بيوت الضيافة في ديفون وعلى شاطئ رامسبيت! لقد أمضى رجائي كل أوقاتهم وهم يتحققون من صحة هذه التقارير صابرين مجتهدين، وكانوا يصلون إلى طريق مسدود في كل مرة.

هر بوراو رأسه أسفلاً، ومضى جاب يقول: ولكننا نبحث عن امرأة حقيقية! أقصد أنك تصادف شخصيات زائفة بين وقت وآخر؟

سكت جاب قليلاً ثم أكمل: لكن هذا لا يساعدنا في قضية سينسيري سيل؟ فما كان ممكناً أن نتورط في ذلك الأمر.

- نذكر أنها عاشت في الهند وحدثت هناك قلائل كثيرة العام الماضي.

- أميريوتيس والأنسة سينسيري سيل الرائعة... لا أتصورهما قريباً واحداً!

- هل علمت أن الأنسة سينسيري سيل كانت صديقة مقربة من الراحلة زوجة أليستير بلانت؟

- من قال هذا؟ لا أصدق. إنهما ليستا من طبقة واحدة.

- هي قالت ذلك.

- لمن قاله؟

- للسيد أليستير بلانت.

- آه! هذا ما تقصده؟ لا بد أنه اعتاد على هذه الحركات. هل تقصد أن أميريوتيس كان يستخدمها بهذه الطريقة؟ ما كان هذا ليضعه كان بلانت سيتخلص منها بتبرع بسيط. وما كان الأمر ليتجاوز ذلك. إنه ليس ساذجاً لهذه الدرجة.

كان ذلك صحيحاً تماماً ولم يكن أمام بوراو إلا موافقته، وبعد دقيقة أو اثنتين أكمل جاب في تلخيصه لوضع سينسيري سيل: ربما يكون عالم مجنون قد ألفى بجثتها في خزان من حمض الأسيد...

عندما خرج جاب جلس بوراو عابساً ينظر إلى الطاولة أمامه.
كان واضحاً أن لديه إحساساً بأنه ينتظر شيئاً. ما هو؟

تذكر كيف جلس من قبل وهو يدون عدة حقائق غير مترابطة
وسلسلة من الأسماء. وكان قد مر من أمام النافذة طائر يحمل عوداً
بمنقاره... كان هو الآخر يجمع الأعواد.

لقد جمع عدة أعواد، كلها موجودة ومرتببة في ذهنه ترتيباً
منظماً، لكنه لم يحاول ترتيب الأعواد على أرض الواقع بعد. كان
ذلك هو الخطوة التالية له... ترتيبها في خط مستقيم.

ما الذي كان يمنعه؟ كان يعرف الإجابة عن هذا السؤال؛ فقد
كان ينتظر شيئاً... شيئاً محتوماً مقدراً؛ الحلقة التالية في السلسلة.
عندما تأتي... يمكنه ساعتها الاستمرار.



بعد ذلك بأسبوع وفي وقت متأخر من الليل جاء الاستدعاء.
كان جاب يتحدث عبر الهاتف بسرعة: أهذا أنت يا بوراو؟ لقد
وجدناها. من الأفضل أن تأتي... مجتمعات الملك ليوبولد، حديقة
باترسي، رقم ٤٥.

بعد ربع ساعة أنزلت سيارة الأجرة بوراو خارج مجتمعات
الملك ليوبولد. كان مجمعاً كبيراً من الشقق السكنية المطلة على
حديقة باترسي، وكانت الشقة رقم ٤٥ في الطابق الثاني. فتح جاب
له الباب بنفسه، كان وجهه متجهماً، وقال: ادخل. الأمر لا يسر،
لكنني أظن أنك تريد أن تشاهد بنفسك.

واحدة -مثلاً- تأتي إليك وتدعي أنها الأنسة سينكس، رغم أنه
لا توجد واحدة حقيقية بهذا الاسم. لكن هذه المرأة حقيقية... لها
ماضي، ونعرف عنها كل شيء من طفولتها وحتى هذه اللحظة! لقد
عاشت حياة عادية معقولة تماماً، وفجأة تختفي كما تختفي القشة!
قال بوراو: لا بد من وجود سبب.

- إنها لم تقتل مورلي إن كنت تقصد هذا. لقد رآه أميربوتيس
حياً بعد مغادرتها، كما أننا تحققنا من حركاتها بعد خروجها من
العيادة صباح ذلك اليوم.

قال بوراو وقد نفذ صبره: أنا لم أقل إنها قتلت مورلي. لم تقتله
بالطبع، ومع ذلك...

قال جاب: إن كنت محقاً بخصوص مورلي، فإن من المرجح
أكثر أن يكون قد أخبرها شيئاً يعطي مفتاحاً يكشف قاتله دون أن
تدري هي بحقيقة ذلك. وفي تلك الحالة فربما تم التخلص منها عن
عمد.

- كل هذا يدل على وجود منظمة وعمل أكبر من مجرد وفاة
طبيب أسنان هادي سالم في شارع الملكة شارلوت.

- لا تصدق كل ما يقوله لك ريجينالد بارنز! إنه عجوز غريب
الأطوار، رأسه محشو بالجوايسيس والشيوخيين.

- إذا علمت شيئاً فبلغني.

قال بوارو: ميتة؟

توجد بعض الكولونيا في الغرفة المجاورة، من الأفضل أن تضع بعضاً منها.

- يمكنك أن تقول إنها شبعت موتاً!

كانت غرفة المعيشة مؤنثة أثاثاً يدل على ذوق رفيع وأنيق: بعض كراسي الكروم وبعض الكراسي الكبيرة الجذابة والمغطاة بقماش فاقع اللون.

أنصت بوارو إلى صوت مألوف صادر من خلف باب إلى يمينه. قال جاب: إنه اليواب في حجرة الغسيل وقد أصابه الغثبان! اضطرت لإحضاره لأرى إن كان يمكنه التعرف إليها.

وجد بوارو زوجة الكولونيا ووضعه شيئاً منها على أنفه، ثم قال: ذلك عمل مقزز! أخبرني يا صديقي كل شيء عما حدث.

سار في الممر وتبعه بوارو منزعاً من الرائحة. قال جاب: ليس جميلاً، ولكن ماذا تتوقع؟ إنها ميتة منذ أكثر من شهر.

قال جاب: هذه الشقة تعود لزوجة رجل يدعى ألبرت تشابمان والسيدة تشابمان - كما فهمت - امرأة فقراء جميلة وأنيقة في نحو الأربعين من عمرها، مستقيمة وتحب من وقت لآخر لعب الورق مع جيرانها، ولكنها - فيما عدا ذلك - منطوية على نفسها ولا تشرك أحداً بحياتها، وليس لها أطفال. أما زوجها، السيد تشابمان، فهو ناخر رحال.

كانت الغرفة التي دخلها غرفة صغيرة للأثاث غير المستعمل، وفي وسطها صندوق معدني كبير من النوع الذي يستخدم لتخزين الفراء، وكان الغطاء مفتوحاً.

تقدم بوارو ونظر إلى الداخل. رأى القدم أولاً، وبه الحذاء وعليه الإبزيم المزخرف. تذكر أن أول ما رآه من الأنسة سينسيري سبيل كان إبزيم حداتها.

جاءت سينسيري سبيل إلى هنا في الليلة التي قابلناها فيها، في نحو الساعة السابعة والربع، لذلك ربما جاءت من فندق غلينغوري كورت مباشرة. كانت قد جاءت إلى هنا مرة واحدة من قبل كما يقول اليواب. كل شيء واضح ولا يحتمل الشك... زيارة ودية لطيفة. أوصل اليواب الأنسة سينسيري سبيل إلى الشقة بالمصعد، وكانت آخر لحظة رآها فيها عندما كانت تنقف خارج باب الشقة وتضرب الجرس.

ثم صعد بنظرة إلى معظم الصوف الأخضر إلى أن وصل إلى الرأس. صاح بصوت مكتوم فقال جاب: أعرف، منظر مرعب جداً.

كان الوجه قد تهشم إلى حد لم يعد بالإمكان معه التعرف إليه، أضيف إلى ذلك عملية التعرف الطبيعية للجنة. ولم يكن غريباً أن يبدو الرجلان شاحبين يشعران بالغثبان.

قال بوارو معلقاً: ألم يتذكر هذه الحقيقة إلا الآن؟!

خرجنا فقال جاب: هذا هو عملنا! لا شك أنه صعب أحياناً.

ملاحظة كبيرة مطبوعة على باب شقتها، وكانت الملاحظة تقول: "لا تريد حليياً. أخير نيلي أنني استُديعت إلى مكان بعيد".

كانت نيلي هي الخادمة التي تخدمها وقت النهار فقط. رحلت السيدة تشابمان فجأة مرة واحدة أو مرتين قبل تلك المرة؛ لذلك لم تجد الخادمة هذا الأمر غريباً، لكن الغريب أنها لم تُنادِ البواب ليحمل لها أمتعتها أو يطلب لها سيارة أجرة.

على أية حال قرر بيروس دخول الشقة. حصلنا على أمر تفتيش وعلى مفتاح للشقة من مدير المجمع. لم نجد أي شيء يثير الاهتمام فيها سوى في الحمام الذي كانت فيه بعض الأدلة على أن أحداً قام بتنظيفه سريعاً، وكانت على مشمع الأرضية آثار الدماء... على الزوايا حيث غفل الفاعل أثناء تنظيف الأرضية عن غسلها. بعد ذلك أصبحت المسألة هي العثور على الجثة. لم يكن في استطاعة السيدة تشابمان مغادرة الشقة مع أمتعتها وإلا لعرف البواب بذلك؛ لذلك لا بد أن الجثة ما زالت في الشقة. وسرعان ما ضبطنا صندوق الفراء ذلك. كان محكم الإغلاق تماماً.. مكان مناسب جداً، وكانت مفاتيحه في درج طاولة الزينة. وفتحنا الصندوق... فوجدنا فيه السيدة المفقودة!

سأله بوارو: ماذا عن السيدة تشابمان؟

- سؤال وجيه. اسمها -على فكرة- هو سيلفيا، ولكن من هي؟ شيء واحد أكيد؛ إن سيلفيا أو أصدقاءها هم الذين قتلوا المرأة ووضعوها في الصندوق.

- يبدو أنه كان يعاني من مشكلات في معدته، حيث أمضى فترة في المستشفى بينما تولى رجل آخر العمل عنه مؤقتاً. لكنه لاحظ قبل أسبوع واحد فقط -بالمصادفة- إعلاناً في صحيفة قديمة وبه أوصاف المرأة المظلومة. قال لزوجته إنها تشبه تلك المرأة التي جاءت لزيارة السيدة تشابمان في الطابق الثاني؛ فهي أيضاً كانت تلبس ثوباً أخضر من الصوف وعلى حذائها إيزيم. وبعد ساعة عاد وتذكر بأن لها اسماً يشبه الاسم المطلوب! وبعد ذلك تطلب الأمر منه أربعة أيام حتى استطاع التغلب على خوفه وعدم ثقته إزاء موضوع التورط مع الشرطة، فجاء بهذه المعلومات.

- لم نعتقد -حقيقة- أنها معلومات ستؤدي إلى أي شيء. أنت لا تعرف كم هي البلاغات الكاذبة التي تلقيناها بهذا الخصوص، ومع ذلك أرسلت الرقيب بيروس مباشرة، وهو شاب ذكي متعلم.

أحس بيروس على الفور بأننا توصلنا إلى شيء في آخر الأمر، وذلك لأمر واحد؛ وهو أن السيدة تشابمان هذه لم يرها أحد منذ أكثر من شهر. لقد رحلت دون أن تترك أي عنوان لها. كان ذلك عملاً غريباً بعض الشيء، والواقع أن كل شيء علمه عن السيد تشابمان وزوجته كان يبدو غريباً.

واكتشف أيضاً أن البواب لم يشاهد الأنسة سينسيري سيل وهي تغادر الشقة مرة أخرى، وذلك بحد ذاته أمر غريب. كان يوسعها أن تنزل عن الدرج وتخرج دون أن يراها، ولكن البواب أخبره بعدها أن السيدة تشابمان قد رحلت فجأة وقد علقت صباح اليوم التالي

كانت مرتبة ونظيفة، والسريز لم يكن مستعملاً بل كان جاهزاً للنوم، وكانت طبقة سميكة من الغبار في كل مكان.

قال جاب: لا توجد بصمات أصابع حسيما نراه. على أواني المطبخ بعض البصمات لكنني أظنها بصمات الخادمة.

- هذا يعني أن الشقة قد مسحت ونظفت بعد الجريمة بطريقة حذرة؟

- نعم.

نظر بوارو في أنحاء الغرفة ببطء. كانت مثل غرفة الجلوس مؤتة أثاثاً حديثاً ورفيعاً، واستتج أن صاحبيتها ذات دخل معتدل. كان الأثاث الذي فيها ثمين لكنه لم يكن ثميناً جداً. كان أثاثاً مبهرجاً لكنه ليس من الطراز الأول، وكان اللون الغالب هو اللون الوردية. نظر إلى داخل خزانة الحائظ وقَلب الملابس... ملابس أنيقة لكنها -هي أيضاً- ليست من نوعية الدرجة الأولى. وقعت عيناه على الأحذية... كان معظمها صنادل كما هي الموضة في ذلك الوقت وبعضها له نعل من القلّين. حمل واحداً منها ولاحظ حقيقة أن السيدة تشابمان كانت تلبس حذاء من المقاس رقم 5، ثم وضعه مرة أخرى، وفي خزانة أخرى وجد كومة من معاطف الفراء ملقاة دون نظام.

قال جاب: هذه أخرجت من صندوق الفراء.

أوماً بوارو مرافقاً وهو يمسك بيده معطفاً رمادياً من فرو السنجاب، وقال بإعجاب: "فرو من أحسن طراز". ثم ذهب إلى الحمام. كان فيه عدد كبير من مستحضرات التجميل التي نظر بوارو

أوماً بوارو بالموافقة وقال: ولكن لماذا هشموا وجهها؟ إنه ليس عملاً لطيفاً.

- نعم، ليس لطيفاً! وبالنسبة للسؤال: يمكننا التخمين فقط. ربما لمجرد الحقد والانتقام، أو ربما كان الغرض إخفاء هوية المرأة.

- لكن ذلك لم يُخَفْ هويتها.

- لا، ليس فقط لأننا نملك أوصافاً كاملة للأنسة سينسيري سيل وملابسها التي كانت تلبسها عندما اختفت، ولكن حقيبتها الصغيرة قد وضعت في صندوق الفراء مع الجثة أيضاً، وكانت هذه الحقيبة تحتوي على رسالة مرسلة إلى عنوانها في الفندق الذي كانت تسكن فيه سابقاً في راسل سكوير.

انتصب بوارو وقال: لكن هذا... إنه لا يتوافق مع المنطق!

- بالتأكيد. أظن أنها كانت زلة.

- نعم، ربما هي زلة. ولكن...

نهض عن مقعده وقال: هل فتشت الشقة كلها؟

- تفشياً دقيقاً. لا يوجد فيها ما يفيد.

- أريد أن أرى غرفة نوم السيدة تشابمان.

- هيا إذن.

لم تدل غرفة النوم على أن صاحبيتها غادرتها مغادرة سريعة.

- لا شيء، لا شيء أبداً. ولكني - مع ذلك - لا أفهم.

أشار الیواب إلى أن السيدة ميرتون التي تسكن الشقة رقم ٨٢ في مجمعات الملك ليوبولد كانت الصديقة المقررة للسيدة تشابمان في المجمعات؛ لذلك ذهب جاب وبوارو إلى تلك الشقة.

كانت السيدة ميرتون امرأة ثرثرة لها عينان سوداوان حادتان وتسريحة شعر متأنقة. لم يتطلب الأمر أي ضغط لحملها على الكلام؛ فقد كانت على استعداد تلقائي للحديث.

- سيلفيا تشابمان.. بالطبع، الحق أنني لا أعرفها جيداً... أعني معرفة حميمة. كنا نلعب الورق معاً في بعض الليالي، وكنا نذهب إلى دور السينما معاً ونشوق أحياناً. ولكن أخبرني من فضلك: هل ماتت؟

طمأنها جاب وأخبرها بأنها لم تمت. قالت: الحمد لله على ذلك. لكن سامي البريد كان يقول قبل قليل بأنهم عثروا على جثة في إحدى الشقق... لا ينبغي للمرء أن يصدق كل ما يسمعه، أليس كذلك؟ إنني لا أصدق أبداً.

سألها جاب سؤالاً آخر. ردت عليه تقول: لا، لم أسمع عن السيدة تشابمان أي شيء منذ أن تحدثنا عن الذهاب إلى السينما لرؤية فيلم جديد، ولم تقل وقتها إنها سترحل.

لم تسمع السيدة ميرتون أبداً باسم الأنسة سينسيري سيل ولم

إليها باهتمام؛ وبودة، وأحمر شفاه، وكرام مغدّ للجلد، وزجاجتان من صمغ الشعر.

قال جاب: يبدو أنها لم تكن شقراء شقرة طبيعية.

رد بوارو: معظم النساء في سن الأربعين يا صديقي يبدأ شعرهن بالتحول إلى لون الشيب، لكن السيدة تشابمان لم تكن من النوع الذي يذعن لتقلبات الطبيعة.

- ربما تستخدم الآن الحناء من باب التغيير.

- لا أدري.

- يوجد شيء يزعجك يا بوارو. ما هو؟

قال بوارو: نعم، إنني متزعج... متزعج جداً. هنا - كما ترى - مشكلة لا حل لها.

ذهب مرة أخرى بإصرار إلى الغرفة حيث صندوق الجثة. أمسك بحذاء الفتيلة وأخرجه من قدمها يصعوبة وقوة وتفحص الإبريزم. كان قد خيط باليد بطريقة غير متقنة. تنهد هيركيول بوارو وقال: هذا الذي أحلم به!

قال جاب بفضول: ما الذي تحاول عمله؟ تجعل الأمر أكثر صعوبة؟

- هذا بالضبط.

- حذاء جلدي لامع مع إبريزمه... ما العيب في هذا؟

- لا أعرف هذا.

سكنت السيدة ميرتون قليلاً ثم اندفعت تقول: أرجوك أن تخبرني... لماذا تسأل كل هذه الأسئلة؟ أنا أعرف أنك جئت من سكوتلانديارد، ولكن لا بد من سبب معين؟

- ستعرفين - يا سيدة ميرتون - إن عاجلاً أم آجلاً. الواقع أننا وجدنا جثة في شقة السيدة تشابمان.

- آه!

بدأت السيدة ميرتون - في تلك اللحظة - كالكلب الذي فتح عينيه ذاهلاً. صاحت: جثة! هل كانت جثة السيد تشابمان؟ أو شخص أجنبي؟

قال جاب: لم تكن جثة رجل على الإطلاق. كانت امرأة.

بدأت السيدة ميرتون أكثر دهشة. قالت وهي على هذه الحال: امرأة!

قال بوارو بلطف: لماذا ظننت أنه رجل؟

- آه، لا أدري... بدأ ذلك أكثر احتمالاً.

- ولكن لماذا؟ هل هذا لأن السيدة تشابمان كانت معتادة على استقبال زوار رجال عندها؟

- آه، لا... لا. لم أقصد شيئاً كهذا أبداً. سيلفيا تشابمان لم تكن

يُذكر أمامها؛ فالسيدة تشابمان - كما قالت - لم تذكر هذا الاسم أبداً. قالت: ومع ذلك فإن هذا الاسم مألوف لدي، مألوف تماماً. يبدو أنني رأيته في مكان ما في الفترة الأخيرة.

قال جاب باقتضاب: إنه اسم ظهر في جميع الصحف لعدة أسابيع...

- بالطبع، امرأة مفقودة، أليس كذلك؟ وهل تعتقد أن سيلفيا كانت تعرفها؟ لا، أنا واثقة أنني لم أسمعها تذكر ذلك الاسم.

- هل تخبريننا أي شيء عن السيد تشابمان يا سيدتي؟

ارتسمت على وجه السيدة ميرتون ملامح غريبة. قالت: كان تاجراً رحالاً على ما أعتقد. هذا ما قالته السيدة تشابمان. كان يسافر إلى الخارج لقضاء مصالح شركته، وأظن أنها شركة تبيع الأسلحة، وقد سافر إلى جميع أنحاء أوروبا.

- هل قابلته من قبل؟

- أبداً. كان نادراً ما يمكث في بيته، وعندما كان يأتي إلى البيت لم يكن هو وزوجته يريدان أحداً غريباً يزعمهما... أمر طبيعي جداً.

- هل تعرفين إن كان للسيدة تشابمان أي قريب أو صديق؟

- لا أعرف عن أصدقائها، ولا أظن أن لها أي قريب؛ فهي لم تتحدث عن ذلك أبداً.

- هل سبق لها أن ذهبت إلى الهند؟

لم أستطع الحصول على أي شيء يساعدنا من هذه الخادمة يا سيدي. يبدو أن السيدة تشابمان تغير خادماتها كثيراً؛ فهذه الخادمة تعمل عندها منذ شهر أو شهرين فقط. وهي تقول بأن السيدة تشابمان امرأة لطيفة عذبة الحديث وتحب سماع الراديو، وتعتقد الفتاة بأن الزوج شخص خليل مخادع لكن السيدة تشابمان لم تكن تشك فيه. وقالت بأنها كانت تتلقى رسائل من الخارج أحياناً، بعضها من ألمانيا والتنان من أميركا وواحدة من إيطاليا وواحدة من روسيا. وتقول الخادمة إن صديقها يهوى جمع الطوايع لذلك كانت السيدة تشابمان تعطيها الطوايع التي على الرسائل.

- هل وجدتم شيئاً بين أوراق السيدة تشابمان؟

- لا شيء على الإطلاق يا سيدي؛ فهي لم تكن تحتفظ بالكثير منها. بعض الفواتير والوصولات... كلها محلية. بعض النشرات عن برامج مسرحية قديمة، وبعض وصفات الطعام قطعتها من الصحف، وتوجد نشرة عن مجموعة زينا الخيرية.

- يمكننا أن نخمن من أحضر تلك النشرة إلى هنا. إنها لا تبدو قاتلة، أليس كذلك؟ ومع ذلك يبدو الأمر هكذا. إنها - على أي حال - مشاركة في الجريمة دون شك. ألم يشاهد رجال غرباء في هذا المكان تلك الليلة؟

- البواب لا يتذكر رؤية أحد، ولكني لا أحسبه سيندرك بعد مرور هذا الوقت على أي حال. وفوق ذلك فهو مجمع كبير من الشقق السكنية، والناس يأتون ويخرجون منه دائماً. إنه لم يستطع تحديد

من هذا النوع من النساء... أبدأ! الأمر فقط هو أن السيد تشابمان... أقصد...

ثم سكنت، فقال بوارو: أعتقد - يا سيدي - أنك تعرفين أكثر قليلاً مما قلته لنا.

قالت السيدة ميرتون بارثياب: لا أعرف... لا أعرف ما ينبغي عليّ عمله! أقصد أنني لا أريد أن أخون الثقة، وبالطبع فإنني لم أكتشف ما قالته سيلفيا لي إلا لصديقة مقربة واحدة أو صديقتين كنت أعرف أنهما لا يبوحان للآخرين به...

مالت السيدة ميرتون بجسدها إلى الأمام وخفضت صوتها: كانت... كانت مجرد زلة لسان في أحد الأيام، عندما كنا نشاهد فيلماً عن المخابرات السرية وقالت السيدة تشابمان بأن الذي كتب هذا الفيلم لا يعرف كثيراً عن موضوعه، ثم خرجت منها تلك الكلمة وحلفتني أن لا أبوح بهذا السر لأحد. قالت بأن السيد تشابمان يعمل في المخابرات السرية، وأن ذلك هو السبب الحقيقي لأسفاره الكثيرة. كانت شركة الأسلحة مجرد غطاء، وكان ذلك يضايق السيدة تشابمان كثيراً لأنها لم تكن تستطيع كتابة الرسائل له أو استلامها منه عندما يكون في الخارج. وبالطبع كان عملاً خطيراً جداً!

بينما كانا يتزلان الدرج مرة أخرى إلى الشقة رقم ٤٢ قال جاب حزيباً: أظن أنني سأجن!

كان ذلك الشاب الذكي الرقيب بيروس بانتظارهما. قال باحترام:

كان يوارو يحوم حول المكتب، ورفع دفتر عناوين صغيراً
بني اللون.

قال بيروس الذي لا يعرف الكلل: ليس فيه ما يشير الاهتمام
على وجه الخصوص... معظمها عناوين حلاقين ومصممي أزياء،
إلخ. لقد دوت كل الأسماء والعناوين.

فتح يوارو الدفتر، قرأ اسم الدكتور ديفز، المنزل رقم ١٧
بشارع الأمير ألبرت... محل دريك وبومونيتي لبيع السمك...
وتحتها اسم السيد مورلي، طبيب الأسنان، منزل رقم ٥٨ شارع
الملكة شارلوت.

لمعت عينا يوارو وقال: لا أظن أننا ستواجه أية صعوبة في
التعرف إلى الجنة.

نظر جاب إليه بفضول وقال: أنت بالتأكيد... لا نظن...؟

قال يوارو بقوة: أريد التأكد.



كانت الأسة مورلي قد انتقلت إلى الريف لتعيش في بيت ريفي
صغير قرب هيرنفورد.

حيث المرأة يوارو تحية مودة. منذ وفاة أخيها ازداد عبوس
وجهبها، كما زادت قانتها انتصاباً، وازداد موقفها العام تجاه الحياة
تحدياً ومقاومة. رفضت -باشمئزاز- ذلك الطعن والغذف اللذين
أصابا سمعة أخيها المهنية نتيجة جلسة التحقيق. كانت تعتقد أن يوارو

موعد زيارة الأسة سينسيري سيل إلا لأنه أخذ إلى المستشفى في
اليوم التالي وكان يشعر بوعكة شديدة في تلك الليلة.

- هل سمع أحد من سكان الشقق المجاورة أي شيء
غريب؟

هز الشاب رأسه ناعياً وقال: لقد سألت السكان المقيمين فوق
هذه الشقة وتحتها. لا أحد يمكنه أن يتذكر سماع أي شيء غريب،
وفهمت أن المذبح يبقى مفتوحاً في كلا الشقتين.

خرج الطيب الشرعي من الحمام حيث كان يغسل يديه وقال
مبتهجاً: جنة مقززة تماماً. أرسلوها عندما تجهزون حتى أنكب على
العمل الحقيقي بها.

- ألا توجد أية فكرة عن سبب الوفاة يا دكتور؟

- من المستحيل معرفة ذلك إلا بعد أن أقوم بالتشريح. المؤكد
أن هذه الجروح في الوجه قد حدثت بعد الوفاة كما يبدو لي، لكني
سأعرف أكثر عندما أشرحها في المشرحة. امرأة في وسط العمر،
في صحة جيدة، ذات شعر أشيب عند الجذور، لكنه مصبوغ باللون
الأشقر. قد تكون على جسدها علامات مميزة، وإذا لم توجد فسوف
يصعب التعرف إليها. أه، تعرفون من هي؟ هذا رائع. ماذا؟ أهي
المرأة المفقودة التي حدثت حولها تلك الضجة؟ حسناً، إنني لا أقرأ
الصحف أبداً، إنما أقوم فقط بحل الكلمات المتقاطعة.

قال جاب بمرارة عندما خرج الطيب: وذلك ما هو معروف

عنا!

- تشابمان؟ لا، لا أظن ذلك. الأنسة نيفيل هي التي تستطيع مساعدتك في هذا.

- إنني مهتم بالاتصال بها. أين هي الآن؟

- أظن أنها تعمل الآن مع طبيب أسنان في رامسغيت.

- ألم تتزوج ذلك الشاب فرانك كارتر بعد؟

- نعم، لم تتزوج، وأمل أن لا يحدث هذا أبداً؛ فأنا لا أحب ذلك الشاب أبداً. فيه شيء يثير الريبة، وما زلت أشعر أنه لا يملك أي إحساس أخلاقي.

قال بوارو: أتظنين أنه ربما يكون قد قتل أخاك؟

قالت الأنسة مورلي ببطء: أظن أنه ربما كان قادراً على ذلك؛ لأنه لا يستطيع التحكم بأعضائه. لكنني لا أرى له دافعاً أو حتى الفرصة لذلك العمل. فكما تعرف لم ينجح هنري في إقناع غلاديس بالتخلي عنه، وقد بقيت مرتبطة ومتعلقة به كثيراً.

- ألا يمكن أن يكون قد قبل رشوة برأيك؟

- رشوة؟ ليقبل أخى؟ يا لها من فكرة غريبة!

دخلت فتاة جميلة ذات شعر داكن في تلك اللحظة وهي تحمل الشاي. سأل بوارو بعد أن خرجت وأغلقت الباب وراءها: هل كانت هذه الفتاة معك في لندن؟

- أغنيس؟ نعم، كانت خادمة الاستقبال. لقد صرفت الطاهية،

بشاطرها الرأي بأن حكم قاضي التحقيق كان غير صحيح؛ لذلك تصرفت المرأة معه تصرفاً متجاوباً.

أجابت عن أسئلته بإيجابية واقتدار. قالت إن الأنسة نيفيل كانت تحفظ كل أوراق السيد مورلي الطبية في ملفات وأنها سلمت هذه الملفات إلى خليفة السيد مورلي، وقالت إن بعض المرضى انتقلوا للعلاج عند الدكتور ريلي وبعضهم قبلوا بالطبيب الجديد، فيما ذهب الباقون إلى أطباء آخرين.

ويعد أن أعطته الأنسة مورلي المعلومات التي استطاعت إعطاؤها قالت: إذن فقد وجدتم تلك المرأة التي كان هنري يعالجها، الأنسة سينسيري سيل وقد قُلت هي أيضاً؟ (وقد شددت على كلمة «أيضاً» بشيء من التحدي).

قال بوارو: ألم يذكر لك أخوك اسم الأنسة سينسيري سيل هذه على وجه الخصوص؟

- نعم، لا أتذكر أنه ذكرها. كان من شأنه أن يخبرني عندما يصادف في عمله مريضاً متعباً أو عندما يذكر له أحد مرضاه شيئاً سلبياً، لكننا - في العادة - لم تكن نتحدث عن عمله كثيراً. كان يسره نسيان كل شيء عن عمله عند الانتهاء منه، وكان يعود متعباً جداً في بعض الأوقات.

- هل تذكرين أن واحدة اسمها السيدة تشابمان كانت من بين

مرضى أخيك؟

- أما زالوا متأكدين من أنه انتحر لأنه أخطأ في ذلك الدواء؟

- نعم. لماذا تسألين؟

طوت أغنيس مريولها. أشاحت بوجهها وقالت بنبرة لا تدل
عنى مغزى خاص: إن... إن سيدتي لا تعتقد هذا.

- وهل تتفقين معها في الرأي؟

- أنا؟ آه... لا أعرف شيئاً يا سيدي. كنت... كنت أريد التأكد

فقط.

قال هيركيول بوارو بصوت هادئ لطيف: هل كنت سترتاحين

إذا ما شعرت دون أدنى شك بأنه انتحر؟

- آه، نعم يا سيدي... سأرتاح بالتأكيد.

- وربما كان لديك سبب خاص في ذلك؟

نظرت إليه بعينين جفتين. تراجعت قليلاً وقالت: لا...

لا أعرف أي شيء عن الموضوع يا سيدي. كان مجرد سؤال.

نساءل هيركيول بوارو في نفسه وهو يسير باتجاه البوابة: ولكن

لماذا سألت ذلك السؤال؟. أحس -جازماً- أن لذلك السؤال جواباً،

ولكنه لم يستطع أن يخمن طبيعته. ومع ذلك أحس باقترابه خطوة

أخرى من هدفه.

والواقع أنها هي التي رفضت أن تأتي معي إلى الريف، ونقوم أغنيس
بكل شيء لي. إنها تتحول إلى طاهية صغيرة لطيفة.

أوما بوارو. كان يعرف بدقة كل الترتيبات الداخلية للمنزل رقم
٥٨ في شارع الملكة شارلوت؛ فقد حقق فيها تحقيقاً شاملاً يوم
وقوع المأساة. كان السيد مورلي وشقيقته يحتلان الطابقين العلويين
من المنزل الذي كان على شكل شقة صغيرة من طابقين، أما القبو
فكان مغلقاً تماماً إلا من ممر ضيق يؤدي إلى الساحة الخلفية، حيث
كان ثمة قفص من الأسلاك يصل ارتفاعه إلى الطابق العلوي وتوضع
فيه البضائع المستلمة وحيث يوجد جهاز اتصال داخلي. لذلك فإن
المدخل الوحيد للبيت هو الباب الخارجي الذي كان ألقريد هو
المختص بفتحها، وقد مكن هذا الشرطة من التأكد من عدم قدرة أي
غريب على الدخول إلى البيت في ذلك اليوم.

وكانت الطاهية وخادمة الاستقبال تعملان عند السيد مورلي
وشقيقته منذ سنوات، وهما فتاتان طيبتان. ورغم أنه يحتمل -من
الناحية النظرية- قيام واحدة منهما بالتسلل إلى الطابق الثاني وقتل
سيدها، إلا أن هذا الاحتمال لم يؤخذ على محمل الجد؛ فلم يُبد
أي واحدة منهما ارتباكاً أو ضيقاً مبالغاً فيه عند استجوابهما، ولا يبدو
وجود أي سبب لعلاقة أية واحدة منهما بمقتله. ومع ذلك، فعندما
كانت أغنيس تسلم بوارو قبعته وعصاه عند مغادرته سألته بشكل
مفاجئ عصبى غير معهود: هل... هل توجد أي معلومات أخرى
عن مقتل السيد مورلي يا سيدي؟

التفت بوارو إليها وقال: لم يظهر أي شيء جديد.

- ولكنه موجود مع ذلك، صحيح؟

- نعم، إنه موجود... أو كان موجوداً. سمعت أنه مات، لكنك لا تستطيع الاعتماد على هذه الشائعات.

- ومن يكون هذا الرجل يا سيد بارنز؟

- لا أظن أنهم سيكشفونه في التحقيق (إذا استطاعوا تفادي ذلك). سيعيدون رواية شركة الأسلحة تلك وأنه تاجر رخال.

- إذن فقد كان يعمل في المخابرات؟

- بالطبع، لكنه لم يكن ليخبر زوجته بذلك... أبداً. والواقع أنه ما كان ينبغي له الاستمرار في عمله في المخابرات بعد زواجه. لا يحدث هذا في العادة، هذا إذا كان عمل الزوج سريراً جداً.

- وهل كان عمل ألبرت تشابمان من هذا النوع؟

- نعم. «كيو إكس ٩١٢»... هكذا كان الرجل يُدعى؛ فاستخدام الاسم مسألة نادرة الحدوث في مثل هذا العمل. لا أقصد أنه كان شخصاً مهماً على نحو خاص، ولكنه كان مفيداً لأنه شخص نكرة، من النوع الذي لا يمكن تذكر وجهه بسهولة. لقد استُخدم مراسلاً في جميع أرجاء أوروبا. أنت تعرف طبيعة مثل هذه الأعمال... سفيرنا في البلد الفلاني يرسل رسالة مهمة، رسالة أخرى غير رسمية تحتوي على معلومات سرية، وهكذا... كانت هذه المعلومات تُرسل بواسطة السيد «كيو إكس ٩١٢»، أو ألبرت تشابمان.

- إذن كان يعرف كثيراً من المعلومات المقيمة؟

عندما عاد بوارو إلى شفته فوجئ بوجود زائر غير متوقع في انتظاره.

ترامى له رأس أصلع بيرز من فوق مسند الكرسي، وما لبث أن نهض السيد بارنز بجسده الصغير واعتذر لبوارو بصوت جاف بسبب حضوره غير المتوقع موضحاً بأنه أراد أن يرد له زيارته.

تظاهر بوارو بالسرور لرؤية السيد بارنز، وطلب من جورج إحضار القهوة، إلا إذا كان الضيف يريد شيئاً آخر.

قال السيد بارنز: القهوة تكفي. أرجو أن تكون فهوة خادمك جيدة، فمعظم الخدم الإنكليز لا يتقنون صنعها.

ويعد أن تبادل عبارات التحية والحفاوة تتحنح السيد بارنز وقال: سأكون صريحاً معك يا سيد بوارو. إن ما دفعني للمجيء هنا هو مجرد الفضول؛ فأنا أظنك على اطلاع جيد على تفصيلات هذه القضية الغريبة. لقد عرفتُ - من خلال الصحف - بأن الأنسة سينسيري سبل المفقودة قد عُثر عليها وأن التحقيق قد تم تأجيله بحثاً عن مزيد من الأدلة، وقد أعلن بأن سبب الوفاة هو جرعة زائدة من الميدنال.

قال بوارو: هذا صحيح تماماً.

سكت الاثنان قليلاً، ثم سأله بوارو: هل سمعت عن شخص يدعى ألبرت تشابمان يا سيد بارنز؟

- آه، زوج المرأة التي وجدت جثة الأنسة سينسيري سبل في شفتها؟ يبدو أنه شخص عصي على التحديد.

ردّ عليه جاب ببطء وقوة: ما الذي أوحى لك بأن الجنة ليست
جنة الأنسة سينسيري سيل؟

بدا بوارو متزعجاً وقال: الوجه هو الذي أقلقني. لماذا يهشم
القاتل وجه امرأة ميتة؟

- يا إلهي! ليت السيد مورلي موجود حتى يخبرنا عن هذا
الأمر. يحتمل أنه قُتل عمداً حتى لا يدلي بشهادته عنها.

- سيكون من الأفضل بالتأكيد لو أُتيح له أن يدلي بشهادته.

- ليذيران لا بأس به... أقصد خليفة السيد مورلي. إنه رجل
قدبر جداً وذو سلوك مستقيم، كما أن الدليل لا مجال فيه للخطأ.

حملت الصحف المسائية أخباراً مثيرة في اليوم التالي. فجنة
المرأة التي عثر عليها في الشقة في باترسي (والتي اعتُقد في حينها
أنها جثة الأنسة سينسيري سيل) قد تم التعرف إليها بشكل قاطع على
أنها جثة السيدة ألبرت تشابمان.

لم يتردد السيد ليذيران، خليفة السيد مورلي في عيادته، في
الإعلان بأنها جثة السيدة تشابمان بناء على معاينة الأسنان التي كانت
تفصيلاتها الكاملة مدونة في السجلات الطبية للسيد مورلي.

لقد وُجدت ثياب الأنسة سينسيري سيل على الجثة ووجدت
حقيبتها معها كذلك، ولكن أين الأنسة سينسيري سيل نفسها؟! *

قال السيد بارنز مبتهجاً: ربما لم يكن يعرف شيئاً. كان عمله
فقط ركوب القطارات والسفن والقطارات وحفظ الرواية المناسبة التي
توضح سبب سفره إلى المكان الذي يذهب إليه!

- وهل سمعت عن وفاته؟

- هذا ما سمعته، لكنك لا تستطيع تصديق كل ما تسمعه. أنا
لا أفعل ذلك أبداً.

سأله بوارو وهو ينظر إليه بإمعان: ما الذي نظنه حدث
لزوجته؟

قال السيد بارنز وهو ينظر إلى بوارو ذاهلاً: لا أستطيع أن
أتخيل. هل تستطيع ذلك؟

قال بوارو: "لدي فكرة..."، ثم سكت قليلاً وقال ببطء: إنها
مسألة مربكة جداً.

همس السيد بارنز مبدئياً ما يستطيع من تعاطف: أوجد شيء
يقلقك على وجه الخصوص؟

- نعم. دليل شهادته بأمر عيني.

دخل جاب غرفة الجلوس في شقة بوارو وألقى قبعته على
الطاولة بقوة وقال: ما الذي جعلك تفكر بذلك بالله عليك؟

- يا عزيزي جاب، أنا لا أعرف عن أي شيء نتكلم.

الفصل الخامس

بينما كان جاب وبوارو خارجين من جلسة التحقيق قال جاب مهتلاً: كان ذلك عملاً ذكياً... أثارهم جداً.

أوما بوارو، وأكمل جاب يقول: كنت أول من أدرك الحقيقة، ولكني أنا أيضاً لم أكن مقتنعاً بتلك الجثة؛ لأنك لا يمكن أن تهشم وجه ميت ورأسه هكذا دون سبب. إنه عمل بغیض قدر وواضح أن له سبباً، ولا يكاد يوجد غير سبب واحد؛ إخفاء معالم صاحبة الجثة. لكنني لم أدرك أنها المرأة الأخرى بتلك السرعة.

قال بوارو مبتسماً: ولكن -يا صديقي- كانت الأوصاف الحقيقية للمرأتين متشابهة فيما يتعلق بالأساسيات. نعم، كانت السيدة تشابمان امرأة جميلة أنيقة وتلبس أحدث الثياب وتزین كأحسن ما يكون، أما الأنسة سينسبري سبل فكانت ملبسها باهتة لا ذوق فيها كما أنها لم تكن تزین، لكن الأساسيات كانت نفسها. كلتاها كانتا في الأربعينيات من العمر تقريباً وفي نفس الطول تقريباً ونفس الجسم، وكان لهما شعر خطه الشيب قليلاً ولذلك عملتا على صبغه حتى يبدو ذهبياً.

كانت المرارة قد غدت واضحة في صوت جاب، دُعر بوارو
وقال: ما الذي انتهى؟

- كل هذه القصة! وكل تلك الجهود، والبحث... كل شيء!
- لكني ما زلت لا أفهم.

- حسناً، اسمعني. اسمعني باهتمام لأنني لا أستطيع ذكر
الأسماء؛ فأنت تعرف تحقيقاتنا؟ أنت تعرف أننا نمشط البلاد بحثاً
عن تلك المسئلة؟

- نعم، نعم، تماماً. فهمت الآن.

- حسناً، لقد صدر أمر بالوقوف وانكتم على الأمر. أفهمت
الآن؟

- نعم، نعم، ولكن لماذا؟

- أواخر من وزارة الخارجية.

- أتيس ذلك غريباً جداً؟

- إنه يحدث من وقت لآخر.

- ولماذا عساهم يذهبون إلى هذا الحد في تبيي الأنسة...
أقصد المسئلة؟

- لا، إنهم لا يهتمون بها، إنما بسبب الفضيحة. إذا قدمت
إلى المحاكمة فربما يتكشف الكثير فيما يتعلق بالسيدة «ت» صاحبة

- نعم، بالطبع، إذا وضعت الأمر بهذه الطريقة. علينا أن نعرف
بشيء واحد: كلانا نُدع بمابيل الشقراء ووطنها طيبة ومستقيمة. كنت
متأكداً أنها امرأة حقيقية.

- ولكنها كانت امرأة حقيقية فعلاً يا صديقي، ونحن نعرف كل
شيء عن حياتها العاصية.

- لم نعرف أنها تستطيع قتل أحد، وهو ما يبدو واضحاً الآن.
سيلفيا لم تقتل مابيل... مابيل هي التي قتلت سيلفيا.

هز هيركيول بوارو رأسه مترجعاً؛ فهو ما زال يرى من الصعب
ربط سينسيري سيل بجريمة قتل، ومع ذلك تذكر السيد بارنز وهو
يتكلم بنبرة هادئة ساخرة وهو يقول: ابحث بين الناس المحترمين.
وقد كانت مابيل سينسيري سيل امرأة محترمة جداً!

قال جاب مشدداً: سأكتشف هذه القضية يا بوارو. تلك المرأة
لن تقهرني.

في اليوم التالي اتصل جاب وكانت نبرة صوته غريبة. قال:
بوارو، هل تريد سماع خبر؟ اغسل يديك يا عزيزي، اغسل
يديك!

- عفواً؟ الصوت غير واضح، لا أسمعك جيداً...

- انتهى الأمر. اغسل يديك من هذه القضية... تمدد مسترخياً
وظلقت أصابعك!

جاءت الرسالة في بريد المساء. كانت مكتوبة على الآلة الطباعة
ما عدا التوقيع، وكانت تقول:

عزيزي السيد بوارو،

سأكون ممتازاً لك كثيراً لو زرتني في أي وقت في الغد.
ربما كانت لك عندي مهمة. أفرح أن يكون الموعد
الساعة الثانية عشرة والنصف في منزلي في تشيلسي،
وإذا كان ذلك لا يناسبك فأرجو أن تتصل بسكرتيري.
أعتذر عن عدم إفساح وقت كافٍ لك.

المخلص: ألبستير بلانت

أعاد بوارو قراءة الرسالة من جديد، وفي تلك اللحظة رَدَّ
جرس الهاتف.

كان بوارو قد اعتاد أحياناً تخيُّل أنه يعرف - من رنة جرس
الهاتف - طبيعة المكالمة التي يحملها، وفي هذه المرة تأكد على
الفور بأن المكالمة كانت مهمة. لم يكن الرقم خطأ، ولم يكن
المتكلم واحداً من أصدقائه.

نهض ورفع سماعة الهاتف وقال بلهجته المهذبة الأجنبية:
ألو؟

رَدَّ عليه صوت مجهول: ما هو رقمك من فضلك؟

- هذا وايتهول ٧٢٧٢.

الجثة، وهذا هو الجانب السري في الموضوع! لا أستطيع إلا أن
أفترض أن ذلك بسبب زوجها ذاك. أفهمتي؟

- نعم، نعم.

- لا بد أنه في مكان ما في مهمة سرية ولا يريدون إفسادها.

- تشيه!

- ماذا تقول؟

- إنها - يا صديقي - صيحة انزعاج!

- آه! ظننتك مصاباً بالزكام وتعطس! إنه أمر مزعج فعلاً، بل هو

أكثر من ذلك. إن تركت تلك المرأة تغفل دون عقاب يثير غضبي.

قال بوارو بهدوء: إنها لن تغفل.

- أقول لك إن أيدينا قد كُبلت.

- ربما كُبلت يديك أنت، أما أنا فلا!

- أيها العجوز بوارو! أنت ماضٍ في الأمر إذن؟

- نعم، حتى الموت.

- حسناً، لا تزيد أن يكون موتك أنت. إذا استمر هذا العمل

كما بدأ فربما أرسل لك أحدهم عنكبوتاً ساماً بالبريد!

وعندما وضع السماعة تساءل بوارو في سره: "لماذا استخدمت

تلك العبارة العاطفية... «حتى الموت»؟ إنها سخيفة!"

- أهذا تهديد يا سيدتي؟! -

- نحن نطلب منك أن تكون واعياً؛ إنه لمصلحتك أنت.

- هذه شهامة عظيمة منك!

- لا يمكنك تغيير مجرى الأحداث وتبديل ما تم ترتيبه؛ لذلك ابق بعيداً عما ليس من شأنك! هل تفهم؟

- آه، نعم، أفهم. لكنني أعتبر أن وفاة السيد مورلي هي من شأني.

- قالت المرأة بحدة: إن وفاة مورلي كانت مجرد حادثة. لقد تدخل في خططنا.

- لقد كان إنساناً يا سيدتي.

- لم يكن ذا أهمية.

- كان صوت بوارو خطراً وهو يقول بهدوء شديد: أنت مخطئة في هذا.

- كانت غلظته؛ رفض أن يكون عاقلاً.

- أنا أيضاً أرفض أن أكون عاقلاً.

- إذن فأنت أحمق.

- سمع بوارو على الطرف الآخر بعض الضجة عندما كانت تضع السماعه. قال: "ألو؟"، ثم وضع سماعته بعد ذلك. لم يتعب نفسه

سكت المتكلم وسمع بوارو ضجة ثم تكلم صوت. كان صوت امرأة: سيد بوارو؟

- نعم.

- السيد هيركيول بوارو؟

- نعم.

- يا سيد بوارو، لقد تسلمت لثوك، أو أنك ستسلم ترواً رسالة.

- من الذي يتكلم؟

- ليس ضرورياً أن تعرف.

- حسناً، لقد استلمت سبع رسائل في بريد المساء.

- إذن تعرف الرسالة التي أقصدها. من الحكمة - يا سيد بوارو - أن ترفض المهمة التي عرضت عليك.

- هذه مسألة أفرها بنفسي.

- قالت صاحبة الصوت بتتور: إنني أحذرك يا سيد بوارو؛ لن نتسامح مع تدخلك بعد الآن. ابق بعيداً عن هذا الأمر.

- وإن لم أبتعد عنه؟

- إذن فسوف نتخذ خطوات نؤكد معها أن تدخلك لم يعد بخيفنا.

بعدهما قرأ بوازو هذا الخير أسرع بسيارة أجرة إلى سكوتلانديارد حيث صعد إلى غرفة جاب. حياه جاب بحرارة.

- آه، إذن فقد أحضرك الخير مباشرة. هل ذكرت الصحف من هو «الصديق» الذي كان خارجاً مع رئيس الوزراء؟

- لا، ومن هو؟

- أليستير بلانت.

- حقاً؟

- لذلك لدينا كل الأسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن المستهدف بهذه الرصاصة هو بلانت وليس رئيس الوزراء، إلا إذا كان ذلك الرجل المعتدي لا يفقه شيئاً في التصويب على الإطلاق!

- من الذي أطلق الرصاص؟

- طالب هندي مجنون، غرّ كالعادة، لكنه كان مبرمجاً للقيام بذلك... لم تكن فكرته.

ثم أضاف جاب: عملٌ جيدٌ أن يسكوا به. توجد في العادة مجموعة صغيرة ترأب مبنى رئاسة الوزراء. عندما أطلقت الرصاصة أمسك شاب أمريكي برجل صغير ذي لحية. أمسك به بقوة وصاح بالشرطة متادياً بأنه أمسك الرجل. وفي غضون ذلك حاول الهندي الفرار بهدوء، لكن واحداً من رجالنا أمسك به.

في الطلب من عامل البدالة تتبع الرقم الذي اتصلت منه؛ فقد كان متأكداً تماماً من أن المكالمة جاءت من هاتف عمومي.

إن ما أثاره وحيره هو حقيقة أنه سمع هذا الصوت في مكان ما من قبل. أجهد نفسه في محاولة تذكر صاحبة الصوت، هل يمكن أن يكون صوت الأنسة سينسيري سيل؟ حسيماً يتذكره، كان صوت ماييل سينسيري سيل رفيعاً عالياً ومتكثراً إلى حد ما مع ميل للتشديد على الكلمات، أما هذا الصوت فكان مختلفاً تماماً، ومع ذلك ربما يكون صوت الأنسة سينسيري سيل بعدما حاولت إخفاءه. لقد كانت ممثلة في زمانها، وهي تستطيع تغيير صوتها بسهولة تامة. كان جرس الصوت الفعلي يشبه نوعاً ما صوتها الذي يتذكره، لكنه لم يكن مقتنعاً بذلك التفسير. لا، إنه صوت ذكره بامرأة أخرى غيرها. لم يكن صوتاً يعرفه جيداً، لكنه ما زال متأكداً تماماً من أنه سمعه من قبل مرة إن لم يكن مرتين.

تساءل في نفسه: لماذا تعبت نفسها وتتصل به وتهدهده؟ هل يعتقد هؤلاء الناس حقاً أن التهديد يمكن أن يردعه؟ واضحٌ أنهم يظنون ذلك. يا لجهلهم بأصول علم النفس!

* * *

حملت الصحف الصباحية بعض الأخبار المثيرة. أطلق الرصاص على رئيس الوزراء عندما كان خارجاً من مبنى رئاسة الوزراء مع صديق له مساء أمس. ولحسن الحظ ذهبت الرصاصة بعيداً عن الهدف، وقد ألقي القبض على الفاعل وهو رجل هندي.

أكمل الشاب حديثه بسرعة: لقد كفني السيد بلانت بأن أسألك إن كان بإمكانك قضاء عطلة نهاية الأسبوع معي في بيته في كنت. في بلدة إيكسهام. إذا وافقت فسوف يمر بك بسيارته مساء الغد.

تردد بوراو في الإجابة، فقال الشاب محاولاً إقناعه: إن السيد بلانت مهتم جداً برؤيتك.

أوماً بوراو احتراماً وقال: شكراً لك، أنا موافق.

- آه، هذا رائع؛ سيفرح السيد بلانت كثيراً. إذا ما مرّ بك في الساعة السادسة إلا رباعاً فهل سيكون... آه، صباح الخير سيدي أوليفيرا.

كانت والدة جين أوليفيرا قد دخلت لتوها وهي تلبس ثياباً أنيقة وقيعتها فوق عينيها.

- آه، سيد سيلبي، هل أعطاك السيد بلانت أي تعليمات بخصوص كراسي الحديث تلك؟ كنت أريد الحديث معك الليلة الماضية بخصوصها لأنني عرفت أننا سنذهب في عطلة نهاية الأسبوع...

انتهت السيدة أوليفيرا لوجود بوراو فسكتت.

سأل السكرتير: هل تعرف السيدة أوليفيرا يا سيد بوراو؟

قال بوراو وهو يتحني لها احتراماً: لقد تشرفت بمقابلة السيدة من قبل.

سأله بوراو بفضول: من كان ذلك الأمريكي؟

- شاب اسمه رايكز. لماذا...؟

سكت فجأة وهو يتحدث إلى بوراو: ماذا في الأمر؟

قال بوراو: هاوارد رايكز، الذي يقم في فندق هولبورن بالاس؟

- هذا صحيح. من... بالطبع! لقد خطر لي أن هذا الاسم مأثوف لدي؛ إنه المريض الذي هرب ذلك الصباح عندما انتحر مورئي.

سكت ثم قال ببطء: عجيب... كيف أن ذلك الحادث القديم يبرز فجأة كل مرة. أظنك ما زلت تحتفظ بأفكارك عن الحادث يا بوراو، أليس كذلك؟

رد عليه بوراو بجديّة: بلى، ما زلت أحفظ بأفكاري.

استقبل بوراو في البيت القوطي من قبل السكرتير الذي كان شاباً طويل القامة هزيلاً لبق التصرف.

مضى يعتذر لبوراو: إني أسف يا سيد بوراو، وكذلك السيد بلانت. لقد استدعي إلى رئاسة الوزراء نتيجة لهذا الحادث الذي وقع الليلة الماضية. لقد اتصلت بك في شفتك، لكنك كنت قد خرجت لسوء الحظ.

قال سيلبي جازماً: السيد بلانت مهتم تحديداً بحضور السيد
بوارو.

- آه، حقاً؟ لم يذكر ذلك لي.

فُتح الباب. وقفت جين عند المدخل وقالت وقد نفذ صبرها:
أمي، ألن تأتي؟ إن موعد الغداء الساعة الواحدة والربع!

- أنا قادمة يا جين، لا تفقدي صبرك.

- حسناً، هيا تحركي أرجوك... مرحباً يا سيد بوارو.

جمدت مكانها فجأة وتجمد معها إلحاحها، وبدت عيناها
أكثر احتراماً.

قالت السيدة أوليفيرا بصوت فاتر: السيد بوارو سيأتي إلى
إيكسهام لقضاء العطلة معنا.

- آه... فهمت.

تراجعت جين لنضج الطريق لأنها لكي تخرج، وعندما
استدارت لتتبع أمها التفتت إلى الوراء ثانية وقالت: سيد بوارو!

كان صوتها أمراً. جاء بوارو ناحيتها فقالت بصوت منخفض:
هل أنت قادم معنا إلى إيكسهام؟ لماذا؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: إنها فكرة طيبة من عمك.

قالت السيدة أوليفيرا بأسلوب غامض: آه؟ تشرفنا. إنني أعرف
بالطبع يا سيد سيلبي أن أليستير رجل مشغول جداً وأن هذه الأمور
المنزلية الصغيرة يمكن أن لا تكون مهمة.

قال السكرتير القدير: لا بأس عليك سيدة أوليفيرا. لقد حدثني
عنها وقد اتصلت بشركة ديفز بخصوصها.

- حسناً، هذا عبء كبير قد أزيح عن كاهلي. هل تخبرني
يا سيد سيلبي...

بدأت السيدة أوليفيرا تترثر، وأحس بوارو أنها أشبه بدجاجة؛
دجاجة كبيرة سمينة! ثم قالت السيدة أوليفيرا وهي تمشي بجلال
نحو الباب: وإذا كنت متأكداً تماماً بأننا سنكون وحدنا في عطلة
نهاية الأسبوع هذا...

سعل السيد سيلبي مرحباً وقال: السيد بوارو سيكون معنا في
نهاية الأسبوع.

توقفت السيدة أوليفيرا. التفتت ونظرت إلى بوارو باستياء
واضح وقالت: أحقاً هذا صحيح؟

قال بوارو: لقد تلتف السيد بلانت ودعاني.

- جيد... ترى... لماذا، إنه تصرف غريب من أليستير. أرجو
المعذرة يا سيد بوارو، ولكن السيد بلانت أخبرني بأنه يريد قضاء
عطلة عائلية هادئة!

قال هيركيول يوارو: تلك الدجاجة السمينة؟ هذا سخيف!

قرر في نفسه أن أذنيه قد خدعته دون ريب، ومع ذلك...



جاءت سيارة الرولز لتقلّ يوارو قبل السادسة بقليل. كان في السيارة فقط البستير بلانت وسكرتيره، ويبدو أن السيدة أوليفيرا وجين قد ذهبتا قبلهما في سيارة أخرى. كانت الرحلة خالية من الأحداث. تحدث بلانت قليلاً وكان معظم حديثه عن حديثه وعن عرض حديث لأعمال البستنة.

هناهُ يوارو على نجاته من الحادث الذي تعرض له، الأمر الذي اعترض عليه بلانت قائلاً: آه، ذلك! لا تظنّ أن الرجل كان يريد قتلني على وجه الخصوص - على أية حال فإن ذلك القتي المسكين لم يكن يعرف التصويب جيداً؛ إنه مجرد واحد من أولئك الطلبة نصف المنجائين! لا ينتج عنهم -في الواقع- ضرر كبير، تأخذهم الحماسة فقط ويتخيلون أن طلقة تطلق كيفما اتفق على رئيس الوزراء ستغير مجرى التاريخ. إنه أمر يدعو للإشفاق حقاً!

- لقد وقعت محاولات اعتداء على حياتك غير هذه، أليس كذلك؟

قال بلانت وهو يرفرف بجفنيه ارتباكاً: يبدو هذا الأمر خيالياً مضحكاً، فقد أرسل لي أحدهم قبيلة عن طريق البريد قبل مدة قصيرة، ولكنها لم تكن قبيلة فعالة كثيراً، هؤلاء الناس الذين يريدون

قالت جين: لكنه لا يمكن أن يعرف. لا يمكن... متى طلب منك ذلك؟ آه، لا حاجة...

- جين!

كانت أمها تناوبها من الصلاة. قالت جين بنبرة منخفضة ملحة: "ابق بعيداً. أرجوك، لا تحضر"، ثم خرجت.

سمع يوارو أصوات مشادة كلامية في الصلاة. سمع السيدة أوليفيرا تتذمر وتهذر بصوتها العالي قائلة: لن أتسامح مع قاحتك يا جين. سأتخذ خطوات لأضمن عدم تدخلك...

قال السكرتير: إذن غداً قبل السادسة بقليل يا سيد يوارو؟

أوما يوارو موافقاً بإيماءة ألية. كان يقف مثل رجل رأى شيئاً، ولكن السبب في ذلك كان ما تسمعه أذناه لا ما تراه عيناه.

جملتان من ضمن الكلام الذي وصل إلى مسامعه من خلال الباب المفتوح كانتا مطابقتين تقريباً لما سمعه اليلة الماضية عبر الهاتف، وعرف لماذا كان ذلك الصوت مألوفاً لديه بعض الشيء.

ويتما كان خارجاً إلى أشعة الشمس هز رأسه مشدوهاً. السيدة أوليفيرا؟

لكن ذلك مستحيل! لا يمكن أن تكون السيدة أوليفيرا هي التي تحدثت معه عبر الهاتف! سيدة المجتمع تلك، الحمقاء الغبية، الأناانية اللاهية التي لا تهتم إلا بنفسها؟ ما الذي قاله في نفسه عنها قبل قليل؟

ثم أضاف وهو يضحك خجلاً: يجب أن لا أتحدث عن نفسي بإطراء. إنها عادة سيئة، وإضافة إلى ذلك أحب ترك أمور عملي ورائي عندما أخرج من لندن. كنت أنطلق -يا سيد بوارو- إلى سماع بعض من مغامراتك. لقد قرأت الكثير من القصص اليوليانية والمثيرة، ولكن هل تعتقد أن من هذه القصص ما هو واقعي؟

دار الحديث في بقية الرحلة حول قضايا هيركيول بوارو الأكثر إثارة، وقد بدأ أليستير بلانت متحمساً ومهتماً بالتفاصيل كأنه صبي مدرسة.

هذا الجو البهيج قابله فتور عند الوصول إلى إيكسهام حيث أظهرت السيدة أوليفيرا استياءً وفتوراً، وقد تجاهلت بوارو قدر الإمكان موجّهة حديثها كله لمضيفها وللسيد سيلبي.

رافق السيد سيلبي بوارو إلى غرفته. وقد كان المنزل جميلاً متوسط الحجم، وكان مؤثناً بنض ذلك الذوق الرفيع الممتاز الذي لاحظه بوارو على البيت الموجود في لندن. كل شيء كان غالي الثمن لكنه بسيط، وكان الأمر الوحيد الذي يشير إلى الثروة الطائلة في هذا الأثاث هو السلسلة التي تم من خلالها تقديم تلك البساطة الظاهرة. أما الخدمة فكانت محل إعجاب؛ فالطعام الإنكليزي أثار إعجاب بوارو، وقد تناول القوم حساءً لذيذ المذاق وسمكاً مشوياً ولحم ضأن وبازلاء خضراء وفراولة وحلوى.

استمتع بوارو بأكل هذه الأصناف مما صرف اهتمامه عن المعاملة الباردة التي يلقاها من السيدة أوليفيرا وعن تلك الواقعة

تولي إدارة العالم... أي كفاءة تلك التي سيظهرونها وهم لا يستطيعون تركيب قنبلة فعالة!؟

هز رأسه أسفاً وقال: دائماً نفس الشيء. أشخاص مثاليون ذوو شعر طويل ليست لديهم أية تجربة عملية أو أفكار. لست بالرجل الذكي، ولم اكن ذكياً أبداً، لكني أعرف القراءة والكتابة والحساب. أتعرف ما أعنيه بهذا؟

- أظن ذلك، ولكن اشرح لي أكثر.

- إذا قرأت شيئاً مكتوباً فإني أستطيع فهم ما يعنيه. إنني لا أتحدث عن مسائل صعبة كالمعادلات والفلسفة، إنما العبارات العادية البسيطة. إن معظم الناس لا يفهمون ذلك! وإذا أردت كتابة شيء أستطيع كتابة ما أعنيه، وقد اكتشفت أن كثيراً من الناس لا يستطيعون فعل ذلك أيضاً! وكما قلت: أستطيع فهم المسائل الحسابية البسيطة. لو كان مع جونز سبع موزات وأخذ براون منه عشر موزات فكم يتبقى لجونز؟ هذه هي المسائل التي يزعم كثير من الناس أن لها إجابة بسيطة. إنهم لا يعترفون -ابتداءً- بأن براون لا يمكنه فعل ذلك، ثم لن يكون عدد الموزات المتبقية عدداً موجباً!

- إنهم يفضلون أن يكون في الإجابة خدعة سحرية ما، ليس كذلك؟

- بالضبط، والسياسيون على نفس الدرجة من السوء. ولكنني كنت أطلب دوماً الأحكام البسيطة للمنطق السليم والفترة السوية، فذلك ما لا تستطيع التغلب عليه في نهاية الأمر.

سخيف! إنها لا تعدو كونها ابنة عم بعيدة، ولا أظن أن شيئاً كهذا ينبغي أن يفرض على أليستير.

- أظن أنها تعتز بنفسها... إنها تعمل الكثير في الحديقة.

قالت أمها: "هذه علامة على نفسية جيدة. إن الإسكتلنديين استقلالون جداً، والمرء يحترمهم على ذلك." ثم جلست على الأريكة وقالت وهي ما زالت متجاهلة بورو: أحضري لي تلك المجلة يا عزيزتي، فقبها خبر أريد أن أقرأه.

ظهر أليستير بلانت عند الباب وقال: والأّن يا سيد بورو، تفضل معي إلى غرفتي.

كانت غرفة أليستير بلانت الخاصة غرفة طويلة منخفضة السقف في مؤخرة المنزل ولها نوافذ تفتح على الحديقة، وكانت غرفة مريحة ذات مقاعد وثيرة، وبها شيء بسيط من قلة الترتيب المحببة التي تجعلها توحى بالحياة. (ولكن من نافذة القبول الإشارة إلى أنه كان من شأن هيركيول بورو أن يفضل غرفة ذات تناسق أدق وأكبر!).

بعد أن رحب أليستير بلانت بضيفه وأشعل غليونه دخل في الموضوع مباشرة وببساطة. قال: أنا غير راضٍ عن كثير من الأمور. إنني أعني -بالطبع- تلك المرأة، سينسبري سيل، فلقد أوقفت السلطات المعنية -أسباب خاصة بها، أسباب لا شك أنها وجيهة- عملية البحث عن القاتل. أنا لا أعرف من يكون أثيرت تشابمان هذا أو ماذا يفعل. كائنًا ما كان ذلك الأمر، فهو أمر حيوي وهو عمل قد يوقعه في ورطة شديدة. لا أعرف بواضن هذا العمل وظاهره لكن

من ابتها. كانت جين تنظر إليه نظرات عداوة واضحة لسبب لا يعرفه، وتساءل بورو -عند انتهاء العشاء- عن السبب!

سأل بلانت وهو ينظر إلى الطاولة نظرات فضولية: أئن تتعشى هيلين معنا هذه الليلة؟

قالت جوليا أوليفيرا وقد زقت شفيتها: أظن أن هيلين قد أجهدت نفسها في عمل الحديقة، وقد نصحتها بالذهاب إلى النوم والراحة بدلاً من أن تشغل نفسها باللبس والمجيء إني هنا، وقد تفهمت نصيحتي تماماً.

بدا بلانت غامضاً ومتحيراً بعض الشيء. قال: فهمت. رأيت أن حضورها معنا قد يشكل نوعاً من التغيير خلال عطلات نهاية الأسبوع.

قالت السيدة أوليفيرا بحزم: هيلين إنسانة بسيطة، وهي تحب النوم مبكراً.

عندما انضم بورو إلى السيدتين في غرفة الاستقبال وتخلف بلانت بضع دقائق في حديث مع سكرتيره سمع أوليفيرا تقول لأمها: العم أليستير لم تعجبه تلك الطريقة الباردة التي صرفت بها هيلين مونترسور يا أمي.

ردت عليها السيدة أوليفيرا بغلظة: هراء! أليستير أطيّب منا ينبغي. لا بأس أن يحسن المرء إلى الأقارب الفقراء، وقد كان لطفاً منه أن يسكنها في الكوخ مجاناً دون أجره، ولكن التفكير بأن عليه دعوتها إلى البيت لتناول العشاء كلما جاء هنا لقضاء عطلة أمر

ومنطقي، ولا أحب تشويه الحقائق لتأييد نظرية ما... ذلك ما أجده غير طبيعي!

قال أليستير بلانت: كنت أفكر في هذا الأمر كله. إن الوصول إلى حلول يقتضي مني دوماً الكثير من التفكير، وقد رأيت أن الأمر كله غريب! أقصد أن يقتل طيبب الأسنان نفسه، ثم هذه المرأة جثة معبأة في صندوق الفراء ووجهها مهشم. إنه عمل كرهه جداً! إنني أشعر أن وراء هذا كله شيئاً ما.

أوماً بوارو موافقاً.

قال بلانت: كلما فكرت في هذا الأمر أكثر كلما ازدادت قناعتي أن هذه المرأة لم تكن تعرف زوجتي أبداً، كانت مجرد ذرية لتحدث معي. ولكن لماذا؟ ما الذي استفادته من ذلك؟ أقصد: غير مبلغ بسيط تبرعت به، وحتى ذلك التبرع كتبته باسم الجمعية وليس باسمها شخصياً. ومع ذلك أشعر أن... أن ذلك الشيء كان عملاً مخطئاً له؛ أعني أن تقابلني على درجات مبنى العبادة. كله كان مدروساً ومؤقتاً توقيتاً دقيقاً يعث على الريبة! ولكن لماذا؟ هذا ما أسأل به نفسي دائماً... لماذا؟

- السؤال هو فعلاً: "لماذا؟". أنا أيضاً أسأل نفسي ولا أستطيع أن أجده جواباً... لا أستطيع.

- أليست لديك أي أفكار عن هذا الموضوع؟

لوح بوارو بيده حيرة وقال: إن أفكاري عن الموضوع طفولية إلى أبعد حد. قلت في نفسي إنها ربما كانت حيلة لكي تدل شخصاً

رئيس الوزراء اكتفى بالقول إنهم لا يستطيعون السماح بأية دعاية أو فضيحة بخصوص هذه القضية وأنه كلما نسيها العامة أسرع كلما كان ذلك أفضل. لا بأس بهذا. هذه هي النظرة الرسمية وهم يعرفون ما هو ضروري، ولذلك فقد كُفّت يد الشرطة عن هذا الأمر.

مال بجسده إلى الأمام وقال: لكنني أريد أن أعرف الحقيقة يا سيد بوارو، وأنت الرجل الذي سيكشفها لي؛ فأنت لا تقيدك الرسميات.

- وماذا تريدني أن أفعل يا سيد بلانت؟

- أريدك أن تعثر على هذه المرأة، سيسيري سبيل.

- حية أم ميتة؟

دهش أليستير بلانت وقال: أتظن أنها ربما كانت ميتة؟

سكت بوارو قليلاً ثم قال بصوت بطيء وهادئ: إن كنت تريد رأيي، وهو مجرد رأي، فإنني أظن أنها ميتة.

- ولماذا تظن ذلك؟

ابتسم هيركيول بوارو ابتسامة خفيفة وقال: لن تصدقني إذا قلت لك إن السبب هو زوج من الجوارب غير المستعملة وجدته في أحد الأدراج.

حدّق بلانت إليه بفضول وقال: أنت غريب يا سيد بوارو.

- أنا غريب جداً. هذا يعني أنني إنسان منهجي ومنظم

أن طيب أسنان آخر دخل علينا. ذلك الرجل الذي يتكلم بلهجة
أيرلندية.

- ماذا قال أو فعل؟

- سأل السيد مورلي سؤالاً وخرج مرة أخرى. أظن أن مورلي
أجابته باقتضاب، فلم يمكث سوى دقيقة واحدة أو قريباً من ذلك.

- ألا يوجد شيء آخر تتذكره؟ لا شيء أبداً؟

- لقد كان مورلي طبيعياً تماماً.

قال هيركيول بوارو متأملاً: أنا أيضاً وجدته طبيعياً تماماً.

سكت الرجلان طويلاً، ثم قال بوارو: هل تتذكر -يا سيدي-
شاباً كان في قاعة الانتظار في الطابق السفلي معك ذلك الصباح؟

قطب أليستير بلانت حاجبيه وهو يتذكر، ثم قال: نعم، كان
هناك شاب، وكان قلقاً متململاً. ومع ذلك لا أتذكره على وجه
الخصوص. لماذا؟

- هل تعرفه إذا رأيت ثانية؟

هز بلانت رأسه نافياً وقال: لم أكد ألقى عليه نظرة واحدة.

- ألم يحاول الحديث معك أبداً؟

- لم يفعل.

نظر بلانت إلى بوارو بفضول واضح ثم سأله: ما الأمر؟ من
يكون هذا الشاب؟

آخر عليك، لكن هذه أيضاً فكرة سخيفة؛ فأنت رجل معروف جداً.
وعلى أية حال كان الأسهل لها أن تقول لمثل ذلك الشخص: "انظر،
ها هو. ذلك الرجل الذي دخل الآن من الباب".

- مهما يكن الأمر، لماذا يريد شخص ما أن يعرفني؟

- يا سيد بلانت، عد بتفكيرك إلى الوراء، إلى ذلك الصباح
وأنت جالس على كرسي العلاج عند طبيب الأسنان. ألم يقل مورلي
شيئاً رأيته غير عادي؟ ألا يوجد شيء تستطيع أن تتذكره بمكن أن
يساعدنا في حل هذا اللغز؟

حاول أليستير بلانت أن يتذكر، ثم هز رأسه وقال: أنا أسف.
لا أتذكر أي شيء.

- هل أنت متأكد تماماً من أنه لم يذكر اسم هذه المرأة...
الآنسة سينسيري سيل؟

- نعم، لم يذكرها.

- أو المرأة الأخرى، السيدة تشاهمان؟

- لا... لا. لم نتكلم عن الناس أبداً. تكلمنا عن الورد وعن
حاجة الحدائق للمطر، وعن العطل. لا شيء آخر.

- ألم يأت إلى الغرفة أحد وأنت هناك؟

- دعني أتذكر. لا أظن ذلك. أتذكر في مرات سابقة أنني رأيت
عنده فتاة شقراء، لكنها لم تكن هناك في تلك المرة. آه، أتذكر

Chassey

- لا... علمت أن الغرض هو إقناعه هو بالموافقة عليك.

- اسمه هوارد راينكر.

- يا لها من وقاحة!

تأمله بوارد بانتباه ليري رد فعله لكنه لم يز شيئاً.

أخفى بواردو ابتسامته وقال: يظهر أنه براك مثلاً لكل ما يكرهه ويعارضه.

- هل يُفترض أن أعرف اسمه؟ هل التقيت به في مكان آخر؟
- لا أظن أنك قابلته. إنه صديق قريبك، الأنسة أوليفيرا.

- إنه - بالتأكيد- من النوع الذي أكرهه أنا وأعارضه! يقضي وقته في الخطابة والتجحج بدلاً من العمل الكريم!

- آه، واحد من أصدقاء جين.

سكت بوارد قليلاً ثم قال: هل تعذري إن سألتك سؤالاً شخصياً خارجاً عن الموضوع؟
- سل ما بدا لك.

- أظن أن أمها لا توافق على هذه العلاقة بينهما.

قال أليستير بلانت وهو شارد الذهن: لا أظن أن ذلك مما تأبه له جين أبداً.

- في حال وفائق كيف ستوزع تركتك؟

- إن أمها تعتبر هذه العلاقة من الخطورة بحيث أحضرت ابنتها من الولايات المتحدة من أجل إبعادها عن هذا الشاب.

حدثي بلانت إليه وقال بحدة: لماذا تريد معرفة ذلك؟

ضمّ بواردو كتفيه حيرة وقال: لأن الأمر قد يكون مرتبطاً بهذه القضية.

أظهرت ملامح بلانت استيعاباً جديداً للموضوع، وقال: آه! إنه ذلك الشاب إذن، أليس كذلك؟

- آها، ها قد زاد اهتمامك بالأمر الآن.

- هراء!

- أظن أنه شاب كريه جداً من كل النواحي، وهو متورط في كثير من الأعمال التخريبية.

- ربما... وربما لا.

قال أليستير بلانت بفتور: أظن أنك تبالع في الأمور من غير ضرورة يا سيد بواردو... أنا لم يحاول أحد قلبي.

- علمت من الأنسة أوليفيرا أنه أخذ موعداً مع الطبيب ذلك اليوم حتى يراك.

- رغم تلك القنبلة على طاولة إفطارك، والطلق في الشارع؟

- حتى يحاول حملي على الموافقة عليه؟

- أنا لا أقول شيئاً... أبداً.
هدأ غضب بلانت وقال: وهل ستساعدني بالمهمة الأخرى؟
- العثور على الأتسة سينسيري سبيل؟ نعم، سأفعل.
- أنت رجل طيب.



عندما خرج بوارو من الغرفة كاد يصطدم بجين أوليفيرا خارج الباب. قال: أرجو المعذرة يا أتسة.

تنحّت جين أوليفيرا قليلاً وقالت: هل تعرف رأيي فيك يا سيد بوارو؟

- حسناً يا أتسة. إنني...
لم تمهله حتى يكمل لأن سؤالها لم يكن إلا مجازياً، فقد كانت جين أوليفيرا تريد أن تكمل هي قبل أن يجيبها.
- أنت جاسوس! جاسوس بانس حقير متطفل تدس أنفك في كل شيء وتثير المتاعب!
- أؤكد لك يا أتسة...

- أعرف تماماً ما تبحث عنه، وعرفت الآن الأكاذيب التي تقولنها! لماذا لا تعلنها صراحة؟ حسناً، أريد أن أخبرك بأنك لن تكشف أي شيء... أي شيء أبداً؛ لأنه لا يوجد ما تكشفه! لا أحد

- آه، تلك! أي رجل يتعامل بالمال على المستوى العالمي وبهذا الحجم معرض لهذا النوع من العمل من رجل معتوه مخبول!
- ربما تكون قضية رجل غير معتوه ولا مخبول.
حذق به بلانت وقال: ما الذي ترمي إليه؟
- بصراحة، أريد معرفة الذين سيستفيدون من وفاتك.
عيس بلانت وقال: بشكل رئيس مستشفى سينت إدوارد، ومستشفى السرطان، والمعهد الملكي للمكفوفين.
- آه!

- إضافة إلى ذلك، فقد تركت مبلغاً من المال لابنة أخت زوجتي، السيدة جوليا أوليفيرا، ومبلغاً مساوياً له لابنتها، ولكن في رعاية قيم. كما أنني تركت مبلغاً لا بأس به لقريني الوحيدة التي ما زالت على قيد الحياة، وهي ابنة عمي، هيلين مونترسور، التي تعيش دون عائل وتسكن في الكوخ الصغير التابع لهذا البيت.
سكت قليلاً ثم قال: هذا سر خاص بيني وبينك يا سيد بوارو.
- طبيعي يا سيدي، طبيعي.

أضاف أليستير بلانت ساخراً: يا سيد بوارو، لا أظنك تريد أن تقول إن أياً من جوليا أو جين أوليفيرا أو ابنة عمي هيلين مونترسور تخطط لقتلي من أجل المال؟

يستطع بوارو تحديد ملامحهما بسبب العتمة، وأحسن كأنه قد قطع على عاشقين خلوتهما. أسرع بوارو وعاد من حيث أتى وقد بدا أن حضوره -حتى هنا في الخارج- لا يلقى ترحيباً.

مرّ أمام نافذة غرفة أليستير بلانت الذي كان يملئ على سكرتيره رسالة. يبدو أنه لا يوجد إلا مكان واحد يمكن لهيركيول بوارو أن يلجأ إليه، وهكذا صعد إلى غرفة نومه، وهناك راح يتفكر ملياً في بعض المظاهر الغريبة للموقف.

هل أخطأ في الاعتقاد بأن ذلك الصوت الذي سمعه في الهاتف هو صوت السيدة أوليفيرا أم كان مصيباً؟ لا بد أن تلك الفكرة كانت سخيفة!

تذكر المعلومات والقصص الميلودرامية التي أفضى بها إليه ذلك الرجل الهادئ الضئيل، السيد بارنز، وفكر في المكان الغامض للسيد ألبرت تشاهمان، وتذكر -بانزعاج- النظرات القلقة في عيني الخادمة أغنيس.

تمضي الأمور دائماً على نفس النمط... يخفي الناس معلومات! وعادة ما تكون أشياء غير مهمة، ولكن ما لم تتم إزاحتها عن الطريق فإنه من المستحيل السير قدماً في مسار مستقيم. وفي تلك اللحظة كان الطريق أبعد ما يكون عن الاستقامة!

والعقبة الأكثر غموضاً في طريق التفكير الواضح والتقدم المنظم هي ما وصفه -مع نفسه- بأنه المشكلة المتناقضة والمستحيلة

سيصيب شعرة من جسد عمي الغالي؛ إنه آمن جداً، وسيكون آمناً دائماً. سيبقى آمناً راضياً عن نفسه ناجحاً ومليئاً بكل ما هو مبتذل، وهو مجرد رجعي سخيف لا يملك ذرة من خيال أو رؤى!

سكنت قليلاً ثم قالت وقد تعقق صوتها الخشن وبدت كمن يلفظ سماً: "إنني أشتت من النظر إليك... يا رجل التحري البرجوازي النافع الصغير!"، ثم ابتعدت عنه بسرعة.

بقي هيركيول بوارو ذاهلاً، عيناه مفتوحتان وحاجباه مرفوعان وأصابعه تمتد شاربه بتأمل. اعترف بأن صفة «برجوازي» تنطبق عليه تماماً؛ فقد كانت نظرته إلى الحياة نظرة برجوازية من حيث الجوهر، وهي كانت كذلك دائماً. ولكن استخدام ذلك التعبير كتعبير احتقار من قبل جين أوليفيرا المتأنفة جداً جعله يفرق -غاضباً- في التفكير.

ذهب إلى غرفة الاستقبال وهو ما يزال يفكر. كانت السيدة أوليفيرا تلعب بورق اللعب، وعندما دخل بوارو رفعت بصرها بنظرة باردة كمن ينظر إلى خنفساء سوداء، ثم رمت ورقة لعب من يدها بلا اكتراث.

فكر بوارو بحزن: "للاسف، يبدو أن أحداً لا يحبني"، ثم خرج من الباب الزجاجي إلى الحديقة. كانت أمسية خلابة جميلة ورائحة الأشجار تعبق في الهواء. امتشق بوارو الهواء سعيداً ومشى على ممر يحف به من الجانبين سياجان من الشجيرات.

استدار عند زاوية قفز اثنان متبعدين بعضهما عن بعض ولم

المتعلقة بالأنسة سينسيري سيل؛ لأنه إن كانت الحقائق التي لاحظتها هيركيول بوارو صحيحة فإنه لا يوجد أي شيء ذو معنى!

ساءل بوارو نفسه والحيرة تلف تفكيره: أتراني أصبحت شيئاً

غيراً؟!

الفصل السادس

بعد أن مر هيركيول بوارو بلبلة متعبة نهض من نومه مبكراً في صباح اليوم التالي. كان الجو رائعاً، وخرج بمشي في نفس الطريق الذي سار فيه الليلة الماضية.

كان السياج الشجري بانع الجمال، ورغم أن من شأن بوارو أن يفضل ترتيباً أكثر انتظاماً لمسالك الورد، إلا أنه أدرك بأنه أمام حديقة تمثل النمط الإنكليزي أصدق تمثيل.

شق طريقه خلال حديقة الورد واستمتع بمنظر مساكب الزهور الجميلة، ثم وصل أخيراً إلى حديقة المطبخ المحاطة بالجدران، وهناك شاهد امرأة قوية ذات شعر أسود ترتدي معطفاً تحته تنوره. كانت تتحدث بلهجة إسكتلندية متمهلة مشددة مع ما بدا أنه كبير البستانيين، ولاحظ بوارو أن الرجل غير مستمع بالحديث، فقد كانت الأنسة هيلين مونترسور تتحدث بنبرة ساخرة، انسحب بوارو إلى طريق جانبي، وبدأ بستاني آخر بحفر بمعو له بقوة ونشاط عندما لاحظ بوارو، وكان بوارو قد لاحظته وهو يتكئ على معوله قبل ذلك.

والأثرية التي كانت تفسد أناقة مظهره، نعم، أمر غريب فعلاً ومثير
أن يعمل فرانك كارتر (الذي قال إنه يقوم بعمل إداري في الريف)
بستانياً في خدمة أليستير بلانت.

سمع هيركيول بوارو وهو يفكر في هذه الأمور صوت الجرس
من بعيد فعاد أدراجه إلى البيت، وفي الطريق صادف مضيفه وهو
يتحدث مع الأنسة مونترسور التي كانت قد خرجت لتوها من باب
بعيد في حديقة المطبخ.

ارتفع صوتها واضحاً مميزاً: هذا لطف منك يا أليستير،
ولكني أفضل عدم قبول أية دعوات هذا الأسبوع وأقاربك الأمريكان
معك!

قال بلانت: إن جوليا امرأة غير لبقه، لكنها لا تقصد...

قالت الأنسة مونترسور بهدوء: أعتقد أن تصرفها معي وقح
جداً، ولن أتحمّل الوقاحة، سواء من امرأة أمريكية أو من غيرها!

ذهبت الأنسة مونترسور وجاء بوارو فرأى أليستير بلانت خانعاً
كما يبدو معظم الرجال عندما يتقعون في مشكلات مع قريباتهم. قال
أليستير باكتئاب: حقاً إن النساء متعبات! صباح الخير يا سيد بوارو.
أليس الجو رائعاً اليوم؟

عادا باتجاه البيت وقال بلانت وهو يتنهد: إنني أفتقد
زوجتي!

وفي غرفة الطعام قال مخاطباً جوليا الشرسة: أخشى -يا جوليا-
أن تكوني قد جرحت مشاعر هيلين.

اقترب بوارو منه، وكان الشاب يحفر بحماسة وظهره لبوارو الذي
وقف برفقه، ثم ما لبث أن قال له بلطف: صباح الخير.

تتمت الشاب بصوت خافت وهو ما يزال يعمل: صباح الخير
يا سيدي.

دهش بوارو قليلاً؛ إذ رغم أن من شأن البستانيين -حسب
خبرته- أن يحرصوا على الظهور بمظهر الجدية والعمل عند الاقتراب
منهم، إلا أنهم -في العادة- أرغب ما يكونون بالتوقف وإضاعة
الوقت عندما يخاطبهم المرء مباشرة.

أحس بوارو أن الأمر غير طبيعي بعض الشيء ووقف هناك يضع
دقائق يرقب الشاب الكادح. هل يرى بوارو شيئاً مألوفاً في استدارة
هذين الكتفين، أم أنه قد بدأ يعتاد على اعتبار أن الأصوات والأكتاف
مألوفة لديه وهي في الحقيقة ليست كذلك؟ أتراه بدأ بشيخ ويخلط
كما خشى بالأمس؟

عبر إلى الأمام خارجاً من الحديقة المسورة وهو يتأمل ثم
توقف لينظر إلى منحدر مكسو بالأشجار في الخارج، وسرعان
ما استدار ليتسلق سور الحديقة ويسرع في النظر -بكتير من الاهتمام-
إلى وجه ذلك البستاني الشاب الذي كان قد توقف في تلك اللحظة
عن الحفر وأخذ يمسح العرق عن وجهه بكمته.

أنزل بوارو رأسه بهدوء خلف سور الحديقة وقال يحدث نفسه
بصوت منخفض: أمر غريب ومثير جداً.

خرج من بين الشجيرات ونفض عن نفسه بعض الأوراق

والأثرية التي كانت تفسد أناقة مظهره. نعم، أمر غريب فعلاً ومثير
أن يعمل فرانك كارتر (الذي قال إنه يقوم بعمل إداري في الريف)
بستانياً في خدمة أليستير بلانت.

سمع هيركيول بوارو وهو يفكر في هذه الأمور صوت الجرس
من بعيد فعاد أدراجه إلى البيت، وفي الطريق صادف مضيفه وهو
يتحدث مع الأنسة مونترسور التي كانت قد خرجت لتوها من باب
بعيد في حديقة المطبخ.

ارتفع صوتها واضحاً مميزاً: هذا لطف منك يا أليستير،
ولكنني أفضل عدم قبول أية دعوات هذا الأسبوع وأقاربك الأمريكان
معك!

قال بلانت: إن جوليا امرأة غير لبقه، لكنها لا تقصد...

قالت الأنسة مونترسور يهدوء: أعتقد أن تصرفها معي وقبح
جداً، ولن أتحمّل الوقاحة، سواء من امرأة أمريكية أو من غيرها!

ذهبت الأنسة مونترسور وجاء بوارو فرأى أليستير بلانت خانعاً
كما يبدو معظم الرجال عندما يقعون في مشكلات مع قريباتهم. قال
أليستير باكتئاب: حقاً إن النساء متعبات! صباح الخير يا سيد بوارو.
أليس الجو رائعاً اليوم؟

عادا باتجاه البيت وقال بلانت وهو يتنهد: إنني أفتقد
زوجتي!

وفي غرفة الطعام قال مخاطباً جوليا الشرسة: أخشى -يا جوليا-
أن تكوني قد جرحت مشاعر هيلين.

اقترب بوارو منه، وكان الشاب يحفر بحماسة وظهروه لبوارو الذي
وقف برفقه، ثم ما لبث أن قال له بلطف: صباح الخير.

تتمم الشاب بصوت خافت وهو ما يزال يعمل: صباح الخير
يا سيدي.

دهش بوارو قليلاً؛ إذ رغم أن من شأن البستانيين -حسب
خبرته- أن يحرصوا على الظهور بمظهر الجدية والعمل عند الاقتراب
منهم، إلا أنهم -في العادة- أرغب ما يكونون بالتوقف وإضاعة
الوقت عندما يخاطبهم المرء مباشرة.

أحس بوارو أن الأمر غير طبيعي بعض الشيء ووقف هناك يضع
دقائق يرقب الشاب الكادح. هل يرى بوارو شيئاً مألوفاً في استدارة
هذين الكتفين، أم أنه قد بدأ يعتاد على اعتبار أن الأصوات والأكتاف
مألوفة لديه وهي في الحقيقة ليست كذلك؟ أتراه بدأ يشيخ ويخلط
كما خشني بالأمس؟

عبر إلى الأمام خارجاً من الحديقة المسورة وهو يتأمل ثم
توقف لينظر إلى منحدر مكسو بالأشجار في الخارج، وسرعان
ما استدار ليتسلق سور الحديقة ويسرع في النظر -بكثير من الاهتمام-
إلى وجه ذلك البستاني الشاب الذي كان قد توقف في تلك اللحظة
عن الحفر وأخذ مسح العرق عن وجهه بكمه.

أنزل بوارو رأسه يهدوء خلف سور الحديقة وقال يحدث نفسه
بصوت منخفض: أمر غريب ومثير جداً.

خرج من بين الشجيرات ونفض عن نفسه بعض الأوراق

مجرى الحديث وهي تشخص بجريدة معها قائلة: يبدو أن كثيراً من الناس يستهدفون حياتك يا عم أنيسير!

- آه، أنت تفرئين مناقشة البرلمان، لا بأس بهذا... إنه آرتشيرتن فقط! إنه دائماً يصارع طواحين الهواء، كما أن لديه أفكاراً مالية مجنونة تماماً. لو تركناه يطبق ما يريد لأفلست إنكلترا خلال أسبوع واحد.

قالت جين: ألا تريد أبداً أن تجرب شيئاً جديداً؟

- لن أجرب شيئاً جديداً ما لم يكن أفضل من القديم يا عزيزتي.

- ولكنك لن ترى أبداً أن الجديد سيكون أفضل. ستقول دوماً:

"هذا لن ينجح أبداً"، حتى دون أن تجربه.

- التجريبيون قد يسيئون الكثير من الضرر.

- نعم، ولكن كيف يمكنك أن ترضى بالوضع الراهن؟ هذا

التبذير والظلم وعدم المساواة؟ ينبغي وضع حد له.

- إننا - بشكل عام - نسير سيراً حسناً في هذا البلد يا جين.

قالت جين بحماسة: إن ما نحتاجون سماء جديدة وأرض

جديدة. وأنت جالس هناك تستمتع بحياتك!

نهضت وخرجت من الباب الزجاجي إلى الحديقة، وظهر شيء

من الدهشة وعدم الارتياح على أنيسير وقال: لقد تغيرت جين كثيراً

في الفترة الأخيرة. من أين تحصل على كل هذه الأفكار؟

قالت السيدة أوليفيرا عابسة: الإسكتلنديون حساسون دائماً.

بدا أنيسير بلاتت حزينا.

قال هيركيول بوارو: لاحظت وجود بستاني شاب عندك،

ولا يد أنك وظفته حديثاً كما أظن.

- نعم، إن بيرتون (وهو البستاني الثالث عندي) غادر قبل ثلاثة

أسابيع فشكلنا هذا الشاب بدلاً منه.

- أتذكر من أين جاء؟

- لا أذكر في الواقع. ماك أنيسير هو الذي عينه. أظن أن بعضهم

طلب مني تجربته وقد أثنوا عليه كثيراً، ولقد دهشت نوعاً ما لأن

ماك أنيسير يقول إنه ليس جيداً في عمله ويريد طرده.

- ما هو اسمه؟

- داننغ أو سانيري... لا أذكر تماماً.

- أيوجد أي حرج إن سألتك كم تدفع له؟

- أبداً. أظن أنه يتقاضى جنهين ونصفاً.

- ليس أكثر؟

- بالتأكيد ليس أكثر، بل ربما أقل قليلاً.

- هذا غريب جداً.

نظر إليه أنيسير بلاتت مشاملاً، لكن جين أوليفيرا غيرت

سيحدث. كثير من الحمقى سيقومون بكثير من التجارب المكلفة جداً، وسيكون هذا نهاية الاستقرار؛ نهاية الفطرة السليمة والتفكير المنطقي؛ نهاية السبولة والسعة والرخاء. بل سيكون ذلك -في الواقع- نهاية إنكلترا هذه كما نعرفها.

أوماً بوارو برأسه. كان متعاطفاً أصلاً مع هذا المصري، وكان هو أيضاً يؤمن بالسبولة والسعة والرخاء. وبدأ يدرك -من زاوية جديدة- ما الذي يرمز إليه أليستير بلانت. لقد أخيره السيد بارنز، لكنه ثم يكذب يستوعب ذلك في حينها. وبشكل مفاجئ تماماً شعر بالخوف...



قال بلانت في وقت لاحق ذلك الصباح: لقد أنهيت رسائلي، وسأريك الآن حديثي يا سيد بوارو.

خرج الرجلان معاً وبدأ بلانت يتحدث عن هوايته بحماسة. الحديقة الصخرية بنياتانها الجبلية النادرة كانت متعته الكبيرة، وأمضيا بعض الوقت وبلانت يدل على بعض النباتات النادرة التي يزرعها.

كان هيركيول بوارو يلبس أفضل حذاء جلدي عنده رغم بعض الضيق فيه، وكان يصغي إلى صاحبه صابراً وهو ينقل ثقله من قدم إلى الأخرى ويرفرف بجفونه، وقد جعلته حرارة الشمس يحس أن قدميه انتفختا كبالون داخل حذائه! ومضى مضيقه يتجول ويشرح. كان يُسمع حولهما أزيز للنحل، وسمعا قريبهما صوت طقطقة مقص الشجر وهو يشذب سياجاً شجرياً. كان الجو هادئاً ناعساً، وتوقف

قالت أمها: لا تهتم لما تقوله جين... إنها فتاة ساذجة، وأنت تعرف الفتيات في هذه السن وكيف يتحدثن كلاماً نافعاً لا معنى له.

- نعم، لكن جين كانت دوماً شابة ذكية صلبة الرأي.

- إنها مجرد موضة يا أليستير، هذه الأفكار منتشرة في البلد!

رد عليها بلانت: "نعم، إنها منتشرة بالتأكيد". وبدأ قلقاً بعض الشيء.

نهضت السيدة أوليفيا ففتح بوارو لها الباب، وخرجت بسرعة عابسة.

قال أليستير بلانت فجأة: أنا غير مرتاح لذلك! الجميع يقولون مثل هذا الهراء، وهو لا يعني أي شيء؛ فهو مجرد تبحر! أجد نفسي دائماً معارضاً لهذا الكلام: سماء جديدة وأرض جديدة... ماذا يعني هذا؟ هم أنفسهم لا يعرفون؛ تسحرهم الكلمات فقط!

ابتسم فجأة ابتسامة حزينة وهو يقول: إنني واحد من بقايا الحرس القديم.

قال بوارو بفضول: لو تمت... إزاحتك، فماذا سيحدث؟

- إزاحتي؟ يا لهذه الطريقة في تسمية الأمر!

ظهرت الجدية على وجهه فجأة ثم قال: سأقول لك ما الذي

هذا الرجل أطلق لثوه رصاصة طائشة عليك، وقد أمسكت به متلبساً بالجريمة.

صاح فرانك كارتر: هذا كذب! كنت أقوم بتقليم أشجار السياج فسمعت طلقة ووقع المسدس تحت قدمي هنا، رفعت... وهو أمر طبيعي جداً، ثم انفض هذا الرجل علي.

قال هوارد رايزر عابساً: كان المسدس في يدك وكانت قد خرجت منه الرصاصة لثوها!

ثم قَدَم المسدس لبوارو قائلاً: لئز ما سيقوله رجل التحري حول هذا الأمر! كنت محظوظاً عندما أمسكت بك في الوقت المناسب، أظن أن في مسدسك هذا عدة رصاصات أخرى.

تمتم بوارو قائلاً: بالضبط.

كان بلانت غاضباً. قال بحدة: والآن يا دانون... ما هو اسمك بالضبط؟

قاطعه هيركيول بوارو قائلاً: هذا الرجل اسمه فرانك كارتر.

التفت إليه كارتر هائجاً: إنك تقصدني منذ البداية، وقد جئت تتجسس علي يوم الأحد ذاك. تأكد أن هذا ليس صحيحاً، أنا لم أطلق عليه الرصاص أبداً.

قال بوارو بلطف: إذن. في هذه الحالة، من الذي فعلها؟ ثم أضاف: ليس في المكان أحد غيرنا كما ترى.

بلانت عند نهاية الحديقة وهو ينظر وراهه، وكانت أصوات المقص قريبة جداً مع أن من يستعمله لم يكن بادياً للعيان.

قال بلانت: انظر إلى هذا الممر المشجر يا بوارو. إن الفرغل رائع هذه السنة؛ لا أظن أنني رأيت بمثل هذا الجمال من قبل. وهذه اللوبيناس الجميلة بألوانها الرائعة.

طُؤ... دَوَّت طلقة كسرت حاجز الهدوء في ذلك الصباح. سُمع صوت أزيز في الهواء، والتفت أليستير بلانت مذعوراً إلى حيث كان يرتفع خيط باهت من الدخان من وسط نباتات السياج الشجري. علت صيحات غضب فجائية، وتحركت شجيرات الغار التي تشكل السياج بينما كان رجلان يتعاركان في داخلها.

علا صوت رجل أمريكي غاضب: "لقد أمسكت بك أيها الوغد الشقي! ألتي هذا المسدس"، ثم خرج رجلان من بين الأشجار وهما يتعاركان. كان البستاني الشاب (الذي تظاهر ذلك الصباح بالكد والاجتهاد وهو يحفر) يتلوى مقاوماً المسكة المحكمة لرجل أطول منه بكثير.

عرف بوارو هذا الأخير على الفور، وكان قد ختمن هويته من صوته.

زمرجر فرانك كارتر: اتركتي، لست أنا! لم أفعل ذلك أبداً.

قال هوارد رايزر: آه. لا؟ أظن أنك كنت تطلق الرصاص على العيور فقط!

توقف ناظراً إلى القادمين الجديدين وهو يقول: سيد بلانت؟

- حاول هذا الرجل قتل العم أليستير وأمسك به هوارد وأخذ منه المدسدس.

قال فرانك كارتر بعنف: أنتم كذابون... جميعكم.

قالت السيدة أوليفيرا وقد فغرت فاما دهشة: آه!

تطلب منها الموقف بضع دقائق حتى استعادت وضعها الطبيعي. التفتت أولاً إلى بلانت: أليستير، عزيزي! يا له من عمل بغض! الحمد لله أنك بخير. لا بد أنها صدمة مخيفة لك، أنا شخصياً أكاد أقع مغشياً علي. ترى... هل أحضر لك كأساً من الليمون؟

أسرع بلانت يقول: بالطبع، هيا نعد إلى البيت.

أمسكت به من ذراعه وانكأت عليه بقوة، والتفت بلانت إلى بوارو وهوارد راينز وقال: هلاً أحضرتما هذا الرجل إلي. سوف نتصل بالشرطة ونسلمه لهم.

فتح فرانك كارتر فمه لكنه لم يتفوه بكلمة، كان شاحباً كالموني وركبته ترتجفان. اقتاده هاوارد بقسوة وقال: تعال معي، هيا.

تمتم فرانك كارتر بصوت أجش غير مقنع: هذا كله كذب...

نظر راينز إلى بوارو وقال: لم يعد لديك الكثير مما يمكن أن تفاخر به كرجل نحرٍ ذائع الصيت! مالك لا تنجح قليلاً الآن؟

- إنني أفكر يا سيد راينز.

جاءت جين أوليفيرا مسرعة وشعرها يتطاير وراءها. كانت عيناها متسعيتين والخوف بادٍ فيهما، وقالت لاهتة: هوارد؟

قال هوارد راينز بمرح: مرحباً يا جين. لقد أنقذت لتوي حياة عمك.

- آه! أحقاً ذلك؟

قال بلانت: يبدو أن وصولك كان من حسن حظي يا...، وتردد وهو يقول: يا سيد...

- إنه هوارد راينز يا عم، وهو صديق لي.

نظر إليه بلانت، فابتسم وقال: آه، إذن فأنت صديق جين! أشكرك كثيراً.

جاءت أوليفيرا إلى المكان وهي تلهت وتفتت مثل آلة بخارية. قالت وهي على هذه الحالة: سمعت صوت طلقة. هل أليستير... آه!

نظرت إلى هوارد راينز بنظرات خالية من التعبير وقالت: أنت، كيف... كيف تجرؤ على ذلك؟

ردت عليها جين بصوت هادئ: لقد أنقذ هوارد لتوه حياة العم أليستير يا أمي.

- ماذا؟ إنني... إنني...

ولم تكن حيرته ناتجة عن إيمان خاص ببراهة فرانك كارتر أو عن محبة له؛ فقد أدرك أن كارتر شاب سني بالتأكيد. كان شاباً عدوانياً كريهاً، كما أن أقواله كلها ضعيفة إلى أبعد حد. هذه القصة حول تجنيده من قبل عملاء المخابرات السرية وعرضهم عليه وظيفة جيدة تقضي بأن يعمل بستانياً وبيع المخابرات عن كل ما يقوله أو يفعلها البستانيون الآخرون... كانت قصة سهّل تنفيذها تماماً، ولم يكن لها أي أساس.

كانت واحدة من تلك القصص الساخرة الضعيفة التي رأى بورو أن من شأن رجال مثل كارتر أن يخترعوها، ولم يكن أي شيء ليُقَال لدعم كارتر. لم يستطع تقديم أي تفسير، ما عدا زعمه بأن شخصاً آخر -دون ريب- هو الذي أطلق الرصاصة وظل يكرر تلك الأقوال، مؤكداً أنها مسألة ملققة.

لا، لم يكن ما يقال لمصلحة كارتر، سوى أنها تبدو مصادفة غريبة أن يكون هوارد رايكز موجوداً في تلك اللحظة بعد يومين من تواجده عندما أطلقت رصاصة طائشة أخرى على ألبيستير بلانت في مكان آخر.

ولكن يفترض عدم وجود شيء في ذلك. إن رايكز -بالتأكيد- لم يطلق تلك الرصاصة خارج مبنى رئاسة الوزراء، كما أن وجوده له ما يبرره؛ فقد جاء ليكون بجانب صديقه. كلا، لم يكن في قصته أي شيء يعيد الاحتمال.

ولحسن حظ هوارد رايكز فقد جاء الأمر لصالحه، فعندما يتخذ رجل حياتك من الموت المحقق فإنك لا تستطيع منعه من دخول

- أظن أنك بحاجة للتفكير؛ فربما فقدت وظيفتك نتيجة لهذا الحادث! إن ألبيستير لم ينجح بفضلك أنت الآن.

- هذا هو ثاني عمل طيب تقوم به من هذا النوع يا سيد رايكز، أليس كذلك؟

- ما الذي تقصده؟

- بالأمس فقط أمسكت رجلاً اعتقدت أنه أطلق الرصاص على السيد بلانت ورئيس الوزراء؟

قال هوارد رايكز: نعم... يبدو أنها أصبحت عادة لدي.

- ولكن يوجد فرق؛ فبالأمس لم يكن الرجل الذي أمسكت به هو الرجل الذي أطلق الرصاصة تلك. لقد أخطأت.

قال فرانك كارتر غاضباً: لقد أخطأ الآن أيضاً.

قال رايكز: اسكت أنت.

تمتم هيركيول بورو مع نفسه: عجباً...



قطب هيركيول بورو حاجبيه وهو ينظر إلى نفسه في المرأة ويعدل ربطه عنقه استعداداً للعشاء. لم يكن مقتنعاً، لكنه لم يستطع تفسير السبب؛ فقد كانت القضية -كما اعترف مع نفسه- واضحة جداً. لقد قبض على فرانك كارتر متلبساً بالجريمة فعلاً.

- قررت أنه من الأفضل لي أن أصارحك، أقصد بخصوص ما حدث بالأمس. كان ذلك عرضاً ملتقاً دون شك! كما ترى، فقد كنت أرقب سيادته وهو يخرج من مبنى رئاسة الوزراء ورأيت رام لال يطلق الرصاص عليه، إنني أعرف رام لال؛ وهو شاب لطيف، يفعل قليلاً ولكنه بالغ الحساسية إزاء المظالم التي لحقت بالهند. ثم يحدث أي أذى؛ فالرجلان المهيمان لم يمسهما أي أذى، والرصاصة أخفظأتهما أميلاً... وهكذا قررت عمل هذا العرض على أمل تبرة ذلك الفتى الهندي. أمسكت برجل قصير رث الثياب كان بجاني وصحت عالياً بأنني أمسكت بالمجرم على أمل أن ينصرف رام لال ويهرب، لكن رجال الشرطة السرية كانوا أذكياء جداً؛ فقد انقضوا عليه بلمح البصر. هذا ما حدث بالضبط، أفهمت؟

قال هيركيول بوارو: واليوم؟

- هذا أمر مختلف، فلم يكن في الأمر رام لال آخر اليوم. كان كازتر هو الرجل الوحيد في المكان، وهو الذي أطلق تلك الرصاصة دون شك! كان الممدس في يده عندما قفزت عليه، وأظنه كان يحاول إطلاق رصاصة ثانية.

- هل كنت مهتماً جداً بالحفاظ على سلامة السيد بلانت؟

اتسم رايكز ابتسامه جذابة وقال: أترى ذلك غريباً بعض الشيء بعد كل ما قلته لك؟ أه، أعترف بهذا. أظن أن بلانت رجل ينبغي التخلص منه من أجل تقدم الإنسانية، ولكن لا يوجد شيء شخصي بيننا؛ فهو رجل لطيف على الطريقة الإنكليزية. نعم، أنا أعتقد أنه ينبغي أن يزول، ومع ذلك عندما أرى شخصاً يطلق عليه الرصاص

البيت، بل إن أقل ما يمكنك أن تفعله هو إظهار الود وكرم الضيافة. كان واضحاً أن السيدة أوليفرا لم يعجبها الأمر ولكن حتى هي لم تجد ما يمكن قوله في هذا الموقف. لقد تبثت صديق جين غير المرغوب به قدميه في هذا البيت، وكان يعترم البقاء هناك!

راقبه بوارو مراقبة المتأمل أثناء المساء. كان يؤدي دوره بقدر كبير من الذكاء؛ لم يتجح بأية آراء هدامة، ولم يتحدث في السياسة، بل مضى يحدث قصصاً مسلية عن سفراته ورحلاته الجواله إلى أماكن موحشة.

فكر بوارو في نفسه قائلاً: إنه لم يعد ذنباً. كلا، لقد لبس ثياب الحمل الوديع. ولكن ماذا يوجد تحت هذه الثياب؟ إنني لأنساءل...

بينما كان بوارو يستعد للنوم في تلك الليلة سمع طرفات على الباب. صاح: "تفضل"، فدخل هوارد رايكز.

ضحك وهو ينظر إلى التعابير البادية على وجه بوارو وقال: هل فوجئت برؤيتي؟ كنت أرقبك طوال المساء، ولم تعجبني نظراتك إلي. كنت تفكر.

- ولماذا يضايقتك هذا يا صديقي؟

- لا أعرف السبب، لكنه ما حدث. أظن أنك وجدت من العسير عليك فهم أمور معينة.

- صحيح؟ وفي هذه الحالة، ماذا؟

المغرور فحاً ونصب لي شبكة بحبال. نعم، ونصب الأشرارك غير
طريقي...

ظل فمه مفتوحاً. لقد فهم الأمر... رأى بوضوح الفخ الذي
كاد يقع فيه قبل قليل!

ظل هيركيول يوارو ذاهلاً كمن أنشئ عليه، فمه مفتوح وهو
يحقق إلى الفراغ. ظل كذلك جامداً إلى أن شدته جين أوليفيرا من
ذراعه وقالت بصوت حاد: "هيا بنا، إنهم يمشون".

مضى يوارو معها إلى حيث كان القوم يتحدثون، ولكنه ثم
يسمع من حديثهم أي شيء؛ فقد كان ذهنه مشغولاً بشكل محموم:
فخ وضع بمكر... شبكة بحبال مفتوحة قليلاً عند قدميه... وحفرة
حُفرت له بحيث يتأكد وقوعه فيها. كان في حالة النهار، النهار
شديد؛ حيث قفزت الحقائق غير المترابطة وحامت كزوبعة أمام
ناظره قبل أن تنتظم جميعها في أماكنها المحددة لها.

كل الحقائق تجمعت: إيزيم الحذاء، والجوارب من مقاس
١٠ بوصات، والنوجه المشم، والذوق الأدبي المتدني للخدام
ألفريد، وأنشطة السيد أمبيروتيس، والدور الذي لعبه السيد
مورني... كل تلك الحقائق حامت في دوامة ثم استقرت في نمط
منسجم متماسك.

أصبح هيركيول يوارو ينظر إلى القضية لأول مرة من زاوية
صحيحة. ثم مشى خلف القوم وكأنه كان يعيش حنماً.

أفتر وأتدخل لحمايته. هذا يريك كيف أن الحيوان البشري غير
منطقي. إنه جنون، أليس كذلك؟

- إن الهوة واسعة بين النظرية والتطبيق.

- نعم.

نهض السيد رايكز واقفاً. كانت ابتسامته مريحة وعفوية وهو
يقول: فكرت بالمجيء لأشرح لك الأمر.

خرج وأغلق الباب وراه بعناية.

صباح اليوم التالي راقق يوارو مضيفه بعد الإفطار إلى الحديقة،
وخرج معهما السيد رايكز. وهناك كانت جين وأمها تتمشيان بين
صفي الأشجار في الممر، وكانت السيدة أوليفيرا تغني بصوت قوي
تلك الأغنية الشعبية دون المحافظة على النغم وتقول: "تجني - يا
إلهي - واحفظني من الرجل الشرير". وكانت القسوة بادية في نطقها
بتلك العبارة مما جعل يوارو يستنتج أن السيد هوارد رايكز هو الرجل
الشرير الذي تعنيه.

ولكن لم يبد أن جين قد التفتت إلى شيء من هذا المعنى،
فاكملت المقطع قائلة: "لقد شحذوا ألسنتهم كالأفاعي، سم الأفاعي
في أفواههم". وردت أمها بقوة: "احفظني يا الله من أيدي الأشرار.
احمني من الأوغاد الذين يريدون تخريب مسيرتي".

أكمل هيركيول يوارو الأغنية بصوت جهوري: "لقد وضع لي

الفصل السابع

- هل أنت السيد ريلي؟

التفت الشاب الأيرلندي جفلاً إلى صاحب الصوت الذي كان وراءه. كان يقف وراءه في الطابور في شركة الملاحة رجل صغير الحجم بشارين كبيرين ورأس بيضوي. قال: ربما كنت لا تذكرني؟

- لقد ظلمت نفسك يا سيد بوارو؛ أنت رجل ليس من السهل نسيانه.

التفت إلى الوراء ليتكلم مع الكاتب الذي يجلس وراء الطاولة والذي كان ينتظر.

خاطبه بوارو قائلاً: هل أنت مسافر إلى الخارج في إجازة؟

- إنها ليست إجازة. وأنت يا سيد بوارو؟ أرجو أن لا تكون قد

أدرت ظهرك لهذا البلد؟

- ألا تعتقد إنه أخطأ في الحقنة؟

- لو كان مورلي قد حنن ذلك اليوناني بالكمية التي قالوا إنه حنن بها فإما أنه كان ثملاً أو أنه أراد قتل الرجل، ونم يسبق لي أن رأيت مورلي سكران أبداً.

- إذن فأنت ترى أن الأمر متعمد؟

- لا أحب أن أقول هذا. إنه اتهام خطير، والصحيح أنني لا أصدق ذلك.

- لا بد من وجود تفسير.

- نعم، لا بد. لكني لم أفكر فيه بعد.

- متي كانت آخر مرة رأيت فيها السيد مورلي على قيد الحياة؟

- دعني أتذكر الآن، لقد مضى وقت طويل على تذكر شيء كهذا. ربما كان ذلك في الليلة التي سبقت وفاته، في نحو السابعة إلا رباعاً تقريباً.

- ألم تره في اليوم الذي قتل فيه؟

- هز ريلي رأسه نافية.

- أصر عليه بوارو قائلاً: هل أنت واثق؟

- آه، لا أقول هذا. لكني لا أنذكر.

- ألم تدخل إلى غرفته - على سبيل المثال - في الساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة تقريباً، عندما كان لديه مريض؟

قال هيركيول بوارو: أحياناً أعود إلى بلدي، بلجيكا، لقضاء فترة قصيرة.

أجاب السيد ريلي: أنا ذاهب أبعد من ذلك. إنني ذاهب إلى أميركا، ولا أحسب أنني سأعود.

- إنني أسف لسماع هذا الخبر يا سيد ريلي. إذن فأنت قد تخلت عن عملك في العبادة بشارع الملكة شارلوت.

- الأصح أن تقول إنها هي التي تخلت عني.

- حقاً؟ هذا محزن جداً.

- إنه لا يزعجني. عندما أفكر في الديون التي سأتركها وراني دون أن أدفعها أحس أنني رجل سعيد.

ابتسم ابتسامة جذابة وقال: ليس أنا من يقتل نفسه بسبب مشكلات مالية، إن مبدئي هو ترك هذه المشكلات ورائي والبدء من جديد. لدي مؤهلات، وهي مؤهلات جيدة حسب ظني.

تمتم بوارو: رأيت الأنسة مورلي قبل أيام.

- هل أسعدك ذلك؟ لا أظنه أسعدك؛ إنها امرأة بغضة الوجه تكدة.

- هل توافق على حكم قاضي التحقيق بخصوص وفاة شريكك؟

رد عليه ريلي جازماً: كلا.

وقتلته؟ لقد أخبرتك من قبل ، منذ زمن طويل ، بأنني لم أفعل. ولكن ما من دليل على ذلك إلا كلامي أنا.

- ما رأيك بخادمة الاستقبال في المنزل ، أغنيس؟

حدّث في ريلي قائلاً: هذا سؤال غريب تسألني إياه.

- لكنني أريد أن أعرف.

- سوف أجيبك: لا رأي لي بها. كانت جورجينا تراقب الخادومات مراقبة صارمة ، وهي محقة تماماً في هذا. لم تكن الفتاة تنظر بانجهاهي أبداً ، وهو دليل على ذوقها السيئ!

قال بوارو: "لدي إحساس بأن الفتاة تعرف شيئاً". ثم نظر إلى السيد ريلي متسائلاً.

ابتسم الأخير وهز رأسه وقال: لا تسألني. لا أعرف شيئاً عن هذا ، ولا أستطيع مساعدتك أبداً.

جمع تذاكره التي كانت أمامه وخرج وهو يومئ برأسه ويتسمم ، وأوضح بوارو للموظف الصابر بأنه لم يقرر أمره بخصوص تلك الرحلة إلى العواصم الشمالية بعد.

قام بوارو بزيارة أخرى إلى هامبستيد. ربما فوجئت السيدة آدمز قليلاً برؤيته ، ورغم أن أحد كبار مفتشي سكوتلانديارد كان قد زكّاه إلا أنها - مع ذلك - اعتبرته مجرد أجنبي مهتم ولم تصدق

- أنت على حق. بلي ، ذهبت إليه ، وكنت أريد سؤاله سؤالاً فنياً بخصوص بعض الأدوات التي كنت أريد شراءها واتصلت بي الشركة بخصوصها. لكنني مكثت عنده دقيقة واحدة فقط ، ولذلك فاتني تذكر ذلك ، وكان عنده أحد المرضى في ذلك الوقت.

أوما بوارو ثم قال: لذيّ سؤال آخر كنت أريد سؤالك عنه دائماً. مريضك الذي تعالجه ، السيد رايكز ، ألغى مواعده بخروجه من العيادة. ماذا كنت تفعل خلال نصف الساعة التي كانت مخصصة لموعده؟

- ما أفعله دائماً عندما يكون عندي وقت فراغ. صبيت لنفسي كوباً من الشاي ، وكما قلت لك أجريت مكالمة هاتفية وصعدت لرؤية مورلي لدقيقة واحدة.

- كما علمت أنه لم يكن عندك مرضى بين الثانية عشرة والنصف وحتى الواحدة بعد مغادرة السيد بارنز. على فكرة ، متى غادر عيادتك؟

- بعد الثانية عشرة والنصف بقليل.

- وماذا فعلت بعدها؟

- كما فعلت من قبل ؛ شربت كوباً آخر من الشاي!

- وهل صعدت لرؤية مورلي ثانية؟

ابتسم السيد ريلي وقال: هل تريد أن تقول إنني قد صعدت إليه

سأل السيدة آدمز إن كانت قد سمعت الأئسة سينسيري سيل تتكلم
عن السيدة ألبرت تشابمان؟

كلا، فالسيدة آدمز لم تذكر أبداً أن صديقتها ذكرت واحدة
بذلك الاسم، لكنها أضافت بأنه ليس من المحتمل أن تذكر الأئسة
سينسيري سيل كل شخص تعرفه. سألته من تكون السيدة تشابمان
هذه؟ هل يعرف الشرطة أي شيء عمن عساه قتلها؟

هز بوارو رأسه وقال: ما زال لغزاً يا سيدتي.

ثم سألتها إن كانت هي التي نصحت الأئسة سينسيري سيل
بالعلاج عند السيد مورلي أم لا، فأجابته السيدة آدمز سلباً: فهي
نفسها كانت تذهب إلى طبيب فرنسي في شارع هارلي، ولو أن
مايبل سألتها عن طبيب أستان تذهب إليه لكانت قد أرسلتها إلى
ذلك الطبيب.

رأى بوارو أنه من الممكن أن تكون السيدة تشابمان هذه هي
التي أوصت الأئسة سينسيري سيل بالذهاب إلى عيادة السيد مورلي،
ووافقته السيدة آدمز بأن ذلك قد يكون صحيحاً. قالت: ألم يعرفوا
ذلك من عيادة الطبيب؟

لكن بوارو كان قد سأل الأئسة نيفيل ذلك السؤال من قبل
ولم تعرف الأئسة نيفيل أو تتذكر. لقد تذكرت السيدة تشابمان لكنها
لم تذكر أنها ذكرت اسم الأئسة سينسيري سيل أمامها، فهذا الاسم
غريب بعض الشيء، ولو كانت السيدة تشابمان ذكرته أمامها لكانت
قد تذكرته.

مزاعمة أو تأخذها على محمل الجد، ومع ذلك كانت راغبة جداً
في الحديث.

بعد الإعلان الأول المثير عن هوية الضحية لم يهتم الناس
كثيراً بنتائج التحقيق، فقد كانت قضية خطأ في تحديد الهوية، حيث
أخطأت الشرطة في تحديد هوية صاحبة الجثة عندما قالت إنها جثة
الأئسة سينسيري سيل مع أنها جثة السيدة تشابمان. كان ذلك كل
ما عرفه الناس، ولم يتم التشديد على حقيقة أن الأئسة سينسيري
سيل ربما كانت آخر من رأى السيدة تشابمان البائسة على قيد الحياة،
ولم تنشر الصحف أية إشارة إلى احتمال أن تكون الأئسة سينسيري
سيل مطلوبة للشرطة بتهمة جنائية.

ارتاحت السيدة آدمز كثيراً عندما علمت أن الجثة التي كُشفت
بصورة مأساوية ليست جثة صديقتها، وقد ظهر أنها لا تعرف أي
شيء عن احتمال وجود شهبات حول مايبل سينسيري سيل.

- لكنه أمر غريب جداً أن نخفي بهذه الطريقة. أنا متأكدة - يا
سيد بوارو- أنها فقدت ذاكرتها دون شك.

رداً عليها بوارو بأن ذلك أمر محتمل جداً؛ فقد عرف حالات
كهذه من قبل.

قالت: نعم، أتذكر صديقة لإحدى قريباتي. كانت تكبت في
نفسها الكثير وكانت قلقلة جداً مما أدى بها إلى تلك الحالة. أظن أنهم
يسمونهم مرض فقد الذاكرة.

أجابها بوارو بأن ذلك هو اسم المرض فعلاً. سكت قليلاً ثم

واصلت السيدة آدمز الحديث عن مايل سينسيري سبل كواحدة
تحدثت عن صديقة لها ماتت حديثاً. ذكرت جميع حسنات مايل
ولطفها وعملها الجاد والمخلص من أجل المشروعات الخيرية
وحماستها وجديتها.

أصغى بوارو إليها. لقد كانت مايل سينسيري سبل - كما
قال جاب- إنسانة حقيقية. لقد عاشت في كلكتا وكانت تدرس فن
الخطابة وتعمل بين السكان الهنود، وكانت امرأة محترمة حسنة النية.
وربما كانت ثرثرة قليلاً وغيبية بعض الشيء لكنها أيضاً امرأة ذات
قلب من ذهب.

أكملت السيدة آدمز تقول: كانت جذبة كثيراً في كل شيء
يا سيد بوارو، وكانت ترى الناس غير مبالين ويصعب إيقاظهم
من غفلتهم. كان صعباً جداً الحصول منهم على تبرعات، وكانت
الأموال تزداد سوءاً عاماً بعد عام، مع ارتفاع ضريبة الدخل وتكاليف
المعيشة وكل شيء. قالت لي ذات مرة: "عندما يعرف المرء ما يمكن
للمال أن يفعله والإنجازات العظيمة التي يمكن تحقيقها به... فأني
- يا أليس- أشعر أحياناً أنني مستعدة لأن أرتكب جريمة للحصول
عليه". ألا يوضح هذا مبلغ حماستها يا سيد بوارو؟

قال بوارو متأملاً: هل قالت ذلك حقاً؟

سألها سؤالاً عارضاً متى قالت الأنسة سينسيري سبل تلك
العبارة بالتحديد، وعرف أن ذلك كان قبل ثلاثة أشهر تقريباً.

غادر المنزل وسار وهو مستغرق في التفكير.

واصل بوارو أسئلته: لقد عرفت السيدة آدمز الأنسة سينسيري
سبل أول مرة في الهند، أليس كذلك؟
وافقته السيدة آدمز.

هل كانت السيدة آدمز تعرف إن كانت الأنسة سينسيري سبل
قد التقت بالسيد أليستير بلانت أو زوجته في أي وقت وهي هناك
بالهند؟

- آه، لا أظن ذلك يا سيد بوارو. هل تقصد رجل البنوك
الكبير؟ كانا هناك قبل بضع سنوات مع بنك فايسروي، لكنني واثقة
أن مايل كانت ستحدث عنهما أو تذكرهما لو أنها التقت بهما.

ثم أضافت السيدة آدمز وهي تتسهم ابتسامة باهتة: إن المرء يذكر
دوماً الناس المهمين. إننا نشعر بمثل هذا التقص إزاء المشاهير.

- ألم تذكر بلانت وزوجته أبدأ؟ السيدة بلانت على وجه
الخصوص؟
- أبدأ.

- لو كانت صديقة مقربة من السيدة بلانت لكنك عرفت ذلك،
أليس كذلك؟

- آه، بلى؛ لا أظن أنها كانت تعرف واحدة كذلك. إن
صديقات مايل جميعهن عاديات جداً... مثلنا.

قال بوارو بكبرياء: هذا ما لا أسمح به يا سيدتي.

الحديقة قبل أن يستقل سيارة أجرة، وكان يعرف من خلال خبرته الطويلة وبشكل صحيح اللحظة التي يبدأ بها حذاؤه الجلدي الضغط على قدميه وإيلامه.

كان يوماً صيفياً رائعاً، وراقب بوارو مربيات الأطفال ومعهن الصغار يلعبون ويلعبون، ونسحت الكلاب وركضت، وراح الأولاد الصغار يلعبون بقوارب من ورق في الماء. وتحت كل شجرة تقريباً جلس اثنان قريبين بعضهما من بعض.

همس بوارو وقد أثر فيه المنظر: آه! شباب، شباب!

لاحظ أن مربيات الأطفال لم يكن الوحيدات اللاتي كان الشباب يخطبون وذهن تحت أشجار حديقة ريجنت، فهناك فناء كان مظهرها يدل على الأناقة والغنى تحت شجرة الزيزفون تلك ومعها شاب يقزب رأسه من رأسها ويتوسل إليها. وفجأة أدرك -وهو ما زال يراقبهما- أن فيهما شيئاً مألوفاً.

إذن فقد جاءت جين أوليفيرا إلى حديقة ريجنت لتقابل صديقها الأمريكي الشاب الناظر؟ ظهر الحزن والعبوس على وجهه. وبعد تردد قصير عبر إليهما العشب وقال وهو يرفع قبعته مزهواً: صباح الخير يا آنسة.

أحسن أن جين أوليفيرا لم تكن مستاءة كثيراً من رؤيته، لكن هوارد راينز بدا مزعجاً كثيراً من هذه المقاطعة. هدر قائلاً: آه، هذا أنت ثانية؟!

كان يفكر في شخصية مايبل سينسيري سيل: امرأة لطيفة... امرأة جادة ولطيفة... امرأة محترمة محتشمة. لقد أشار السيد بارنز إلى أن القاتل المحتمل قد يكون بين هذا النوع من الناس.

كانت قد عادت من الهند على نفس السفينة التي عاد بها السيد أميريوتيس، ويبدو أنه يوجد سبب للاعتقاد أنها تناولت معه الغداء في فندق سافوي.

كانت قد اقتصرت من أليستير بلانت وزعمت أنها تعرفه وزعمت أنها صديقة حميمة لزوجته. كانت قد زارت مجمعات الملك ليوبولد مرتين حيث وُجدت بعد ذلك جثة امرأة تلبس ملابسها وبجانها حقيبتها التي تدل على هويتها بشكل يفي بالغرض.

كان ذلك مبالغة في الإيفاء بالغرض!!

كانت قد خرجت من فندق غلينغوري كورت فجأة بعد مقابلة مع الشرطة.

هل النظرية التي يعتقد هيركيول بوارو بأنها صحيحة تنسجم مع كل هذه الحقائق وتفسرها؟
رأى أن ذلك ممكن.

* * *

شغلت هذه التأملات ذهن هيركيول بوارو في طريق عودته إلى البيت حتى وصل إلى حديقة ريجنت. قرر أن يجتاز جزءاً من

يتنهد: للأسف، إن المثل صحيح... "في أوقات الغزل يكون أكبر عدد ممكن هو اثنتان"، أليس كذلك؟ الثلاثة رقم يفسد الأمر.

- الغزل؟ يا لها من كلمة!

- نعم، إنها الكلمة الصحيحة، أليس كذلك؟ بالنسبة لشاب يصغي باهتمام لفتاة قبل أن يطلب يدها للزواج. ألا يسمونهما عاشقين متغازلين؟

- يبدو أن أصدقائك يقولون أشياء غريبة جداً.

- انظري إلى الجميع حولنا... إنهم كذلك.

ردت عليه جين بحدة: نعم، إنني مجرد واحدة من هذا الجمع كما أظن...

وفجأة التفتت إلى بوارو وقالت: أريد أن أعتذر لك؛ فلقد أخطأت بالأمس. اعتقدت أنك تطفلت وبحثت إلى إيكسهام لكي تتجسس على هوارد، لكن العم أليستير أخبرني فيما بعد بأنه هو الذي طلب منك المجيء لأنه أراد منك كشف هذا الأمر المتعلق بالمرأة المفقودة... سينسيري سيل. أليس هذا صحيحاً؟

- بالتأكيد.

- لذلك فأنا أسفة لما بدر مني تجاهك تلك الليلة، لكن الأمر كان يبدو كذلك. أتصد... وكأنك كنت تتابع هوارد وتتجسس علينا نحن الاثنين.

قالت جين: مرحباً يا سيد بوارو. أنت تظهر دائماً على نحو غير متوقع، أليس كذلك؟

قال رايكز وهو ينظر إلى بوارو بفتور: كعفريت اللعية.

سألها بوارو باهتمام: هل تطفلت عليهما؟

ردت عليه جين أوليفيرا بلطف: أبداً.

لم يقل هوارد رايكز شيئاً.

قال بوارو: إنه مكان جميل هذا الذي تجلسان فيه.

قال رايكز: كان كذلك.

قالت جين: اسكت يا هوارد؛ لا بد أن تتعلم السلوك.

سألها رايكز متافئاً: وما فائدة السلوك؟

- سوف تعرف أنه يساعدك. لا أعرف -أنا شخصياً- قواعد السلوك لكن هذا لا يهم كثيراً؛ فأنا غنية أولاً، ولا بأس بشكلي، وعندي أصدقاء ذوو نفوذ. ولذا أستطيع النجاح في الحياة دون حاجة هذا السلوك.

قال رايكز: لست في مزاج يسمح لي بالحديث يا جين، أريد أن أرحل.

نهض وأوما لبوارو برأسه بطريقة جافة ثم ذهب.

حدقت جين أوليفيرا وراة ويدها على ذقنها. وقال بوارو وهو

نظرت جين إليه غاضبة وهتفت: ولكن لا بد أن يكون الأمر واحداً من الاثنين، أليس كذلك؟

- الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة.

- أعتقد أنك تحب تعقيد الأمور فقط!

اعترف هيركيول بوارو: لقد قبل ذلك عني من قبل!

ارتعدت جين. قالت: أليس هذا غريباً؟ إنه يوم دافئ جميل، ومع ذلك أشعر فجأة بالبرد.

- ربما من الأفضل أن تسيري يا آنسة.

نهضت جين واقفة. ظلت مترددة بعض الوقت، ثم قالت فجأة: هوارد يريد أن يتزوجني فوراً... دون إبلاغ أحد بالأمر. إنه يقول... إنه يقول إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها أن أتزوج، لأنني ضعيفة.

سكنت ثم أمسكت بذراع بوارو بقوة وقالت: ماذا أفعل يا سيد بوارو بخصوص هذا الأمر؟

- لماذا تطلبين نصيحتي؟ يوجد من هم أقرب إليك مني!

- أمي؟ إنها ستقلب البيت رأساً على عقب عندما تسمع الخبر! العم البستاني؟ سيكون حذراً ومضجراً. سيقول لي بأن في الوقت متسعاً وأن علينا أن نتأكد منه تماماً، وسيقول بأن هذا الشاب غريب الأطوار وأنه لا داعي للتهور...

- حتى لو كان ذلك صحيحاً يا آنسة، فإني شاهد ممتاز على حقيقة أن السيد رايكز قد أنقذ بشجاعة حياة عمك عندما وثب على المهاجم ومنعه من إطلاق رصاصة أخرى.

- إنك تقول الأشياء بطريقة غريبة يا سيد بوارو. لا أعرف إن كنت جاداً أم غير ذلك.

قال بوارو بوقار: أنا -في هذه اللحظة- جاد جداً يا آنسة أوليفيرا.

قالت جين وفي صوتها نبرة انكسار ضعيفة: لماذا تنظر إلي هكذا؟ وكان... وكانك تأسف على حالي؟

- ربما يا آنسة لأنني أسف على أشياء يتوجب علي أن أفعلها قريباً جداً.

- حسناً... إذن... لا تفعلها!

- للأسف يا آنسة، علي أن أفعلها.

حدقت إليه بعض الوقت ثم قالت: هل وجدت تلك المرأة؟

- لنقل... إنني أعرف مكانها.

- أمي ميتة؟

- لم أقل هذا.

- إذن فهي على قيد الحياة؟

- ولم أقل هذا أيضاً.

- وأصدقائك؟

- ليس لدي أصدقاء. فقط بعض البنات الغيبات أخرج معهن وتبادل كلاماً فارغاً! هوارد هو الشخص الحقيقي الذي التقيت به.

- ومع ذلك... لماذا تسأليني أنا يا آنسة أوليفر؟!

قالت جين: لأن في وجهك نظرات غريبة. وكأنك تأسف على شيء... وكأنك تعرف أن شيئاً سوف... سوف يأتي...

سكتت. ثم سألته: حسناً؟ ماذا تقول؟

هز هيركيول بوارو رأسه ببطء.

- لا، لا يا صديقي.

- كانت لدينا قضية انتحار جميلة، ولكن هيركيول بوارو يقول بأنها جريمة قتل. يريدنا أن تكون جريمة قتل... فكانت جريمة قتل!

- آه! فأنت توافقني الرأي أخيراً؟

- لا أحد يمكن أن يصفني بالعنيد. إنني لا أكابر عند وجود أدلة، ولكن المشكلة كانت عدم وجود أي دليل.

- ولكن يوجد دليل الآن، أليس كذلك؟

- بلى، وقد جئتكم الآن معتذراً ومعتزفاً بخطئي، ولأزف لك

النبا الجديد:

- كلّي لهفة لسماحاً يا صديقي.

- حسناً، إن المسدس الذي حاول فرائك كارتير قتل بلانت به يوم السبت مماثل تماماً للمسدس الذي قُتل به مورلي!

حدّق بوارو ذاهلاً: لكن هذا غريب!

- نعم، هذا يجعل المشكلات تتكالب على الأستاذ فرائك.

- هذا ليس دليلاً قاطعاً.

- كلا، لكنه كافٍ لجعلنا نعيد النظر في الحكم الذي اعتبر

القضية انتحاراً. إنهما مسدسان من صنع أجنبي ومن نوع غير شائع أيضاً!

عندما وصل بوارو إلى البيت قال له جورج: رئيس المفتشين جناب موجود هنا يا سيدي.

ابتسم جناب عندما دخل بوارو الغرفة ابتسامة حزينة وقال: ها أنت أيها العجوز. جئت لأقول لك كم أنت رائع، وأسألك كيف فعلتها؟ ما الذي يجعلك تفكر بهذه الأمور؟

- ماذا يعني كل هذا...؟ أرجو المعذرة، هل أدعو لك بفنجان

من القهوة؟

- نعم، فنجان من القهوة سيكون جيداً لي.

بعد دقائق قليلة كان جناب يرتشف فنجان القهوة ويقول: أنت

دائماً على حق يا بوارو!

فتح الباب بهدوء ودخل جورج وهو بهمس قائلاً: أرجو
المعذرة يا سيدي، ولكن...

لم يكمل حديثه، فقد دفعته الأسة غلاديس نيفيل جانباً
ودخلت الغرفة هائجة وهي تكفي: آه، سيد بوارو...

أسرع جاب يقول: "أنا ذاهب"، ثم غادر الغرفة بسرعة.

نظرت إليه غلاديس نيفيل نظرات حقد وكرهية: هذا هو...
ذلك المفتش المرعب من سكوتلانديارد. إنه هو الذي لفق القضية
كنها للمسكين فرانك.

- يجب أن لا تثيري نفسك.

- لكن هذا صحيح. في البداية زعموا أنه حاول قتل السيد
بلانت، ولم يقتنعوا بهذا فقط بل اتهموه بقتل السيد مورلي
المسكين.

تنحج هيركيول بوارو وقال: كنت هناك في إيكسهايم عندما
أطلقت الرصاصة على السيد بلانت.

رذت غلاديس مرتبكة: ولكن حتى لو كان فرانك هو الذي
فعل... فعل شيئاً غيباً كهذا. إنه واحد من تلك الجماعات المتعصبة
التي يبشئ أفرادها وهم يحملون الرايات ويؤدون تلك التحية
السخيفة. وهذه الجماعات تعين مشاعر هؤلاء الشباب المساكين...
يكونون شباباً مسالمين في العادة مثل فرانك، ولكنهم يحبونهم إلى
أن يعتقدوا أنهم يفعلون شيئاً رائعاً ووطنياً.

حدق هيركيول بوارو ثم قال: فرانك كارتر؟ كلا... كلا
بالتأكيد!

قال جاب لاهتاً: ماذا دهاك يا بوارو؟ قلت أولاً إنك مقتنع بأن
مورلي قد قتل ولم ينتحر، ثم عندما جئتك وقلت لك إننا نميل إلى
الأخذ برأيك الآن أخذت تهمهم وتردد وكأنك غير مقتنع.

- هل تعتقد حقاً أن فرانك كارتر هو الذي قتل مورلي؟

- إنه مطابق للواقع. كان كارتر يحقد على مورلي، وهو ما كنا
نعرفه منذ البداية. جاء إلى العبادة ذلك الصباح، وزعم بعدها أنه
ذهب هناك ليخبر صديقه بأنه حصل على وظيفة، لكننا اكتشفنا الآن
بأنه لم يكن قد حصل على الوظيفة وقتها. إنه لم يحصل عليها إلا في
وقت متأخر ذلك اليوم. إنه يعترف بهذا الآن. إذن لدينا الكذبة رقم
واحد. لا يستطيع تبرير مكان وجوده في الساعة الثانية عشرة وخمس
وعشرين دقيقة وما بعدها. قال بأنه كان يسير في شارع ماريلبون،
لكن الشيء الوحيد الذي يستطيع إثباته هو أنه كان يشرب في إحدى
المحانات في الواحدة وخمس دقائق، ويقول عامل البار بأنه كان في
حالة غير طبيعية... يده ترتجف ووجهه شاحب!

تنهد هيركيول بوارو وهز رأسه وهو يقول: هذا لا يتوافق مع
أفكاري.

- وما هي أفكارك هذه؟

- إن ما تقوله لي يشوش أفكاري كثيراً؛ لأنك إن كنت على
حق في أفعالك...

سألها بوارو: هل هذا هو دفاع السيد كارتر؟

- آه، لا. إن فرانك يقسم بأنه لم يفعل أي شيء وأنه لم ير المدسد من قبل. لم أتكلم معه بالطبع؛ فهم لم يسمحوا لي، ولكن لديه محامياً وقد أخبرني المحامي بما قاله فرانك. إنه يقول بأن القضية كلها ملفقة.

- وهل يرى المحامي أن على موكله أن يبحث عن قصة أكثر إقناعاً من هذه؟

- المحامون يصعب التعامل معهم؛ فهم لا يقولون أي شيء صراحة. لكن ما يلفتني هو تهمة القتل. آه! أنا واثقة يا سيد بوارو أن فرانك لا يمكن أن يكون قاتل السيد مورلي، أقصد أنه لا يوجد أي سبب لذلك فعلاً.

- هل صحيح أنه عندما جاء صباح ذلك اليوم لم يكن قد حصل على الوظيفة بعد؟

- الحق يا سيد بوارو أنني لا أرى أي فرق في ذلك. سواء حصل على الوظيفة في الصباح أو في المساء فهذا لا يهم.

- لكنه قال إنه جاء ليخبرك عن حظته السعيد، ويبدو الآن أن الحظ لم يكن قد تحالفه بعد. إذن لماذا جاء؟

- كان المسكين يائساً ومتزعجاً، والحقيقة أنني اعتقد بأنه كان ثملاً قليلاً. إن فرانك المسكين يتأثر بالشراب سريعاً، والشراب يجعله فلقاً... وهكذا أحس برغبته في إحداث شجار، فجاء إلى

العبادة ليتعارك مع السيد مورلي. إن فرانك شاب حساس جداً، وقد تضايق كثيراً عندما أحس أن السيد مورلي كان يكرهه وأنه كان يسمم أفكاره على حد تعبيره.

- ولذلك فقد قرر إحداث فضيحة أثناء ساعات العمل؟

- نعم، أظن أن هذه هي فكرته. إن عمله هذا بالطبع خاطئ جداً.

نظر بوارو إلى الفتاة الشقراء الباكية أمامه متأملاً ثم قال: هل كنت تعرفين أن فرانك كارتر يمتلك مسدساً... أو زوجاً من المسدسات؟

- لا يا سيد بوارو. أقسم أنني لم أكن أعرف، ولا أظن أن هذا صحيح أيضاً.

هز بوارو رأسه ببطء متحيراً وقال: إنني لا أنحاز إلى أي جانب. الجانب الوحيد الذي أنحاز له هو جانب الحقيقة.

* * *

بعد أن تخلص بوارو من الفتاة اتصل بسكوتلانديارد. لم يكن جاب قد عاد بعد لكن التحري الرقيب بيروس كان متعاوناً وأعطاه المعلومات المطلوبة. أخبره بأن الشرطة لم يجدوا -بعد- أي دليل يثبت حيازة فرانك كارتر للمسدس قبل الحادث الذي وقع في إيكسهام.

سيدي العزيز ،

أرجو أن تعذرني على إزعاجك، لكنني متضايقة جداً ولا أعرف ماذا أفعل، ولا أريد التورط مع الشرطة بأي شكل من الأشكال. أعرف أنه ربما كان علي أن أقول شيئاً كنت أعرفه قبل هذا الوقت، ولكن بما أنهم قالوا إن سيدي قد انتحر فقد ظننت أن الأمر كان كذلك، كما أنني لم أرد توريط صديق الأئمة نيفيل ولم أفكر لحظة واحدة بأنه قد فعلها، لكنني الآن أرى أنه قد ألقى القبض عليه بتهمة إطلاق الرصاص على رجل محترم في الريف، وبالتالي كان يتوجب علي أن أقول بأنه ليس مستقيماً. لكنني فكرت أن أكتب إليك كونك صديقاً لسيدي، ولأنك كنت حريصاً في ذلك اليوم على سؤالي أنا تحديداً إن كان عندي شيء أريد أن أقوله، وتمنيت لو أنني أخبرتك ساعتها. لكنني أرجو أن لا يؤدي هذا إلى توريطي مع الشرطة لأنني لا أحب هذا، كما أن والدي لا يزيدني هي الأخرى، وقد كانت دوماً كثيرة الإلحاح جداً في مثل هذه الأمور.

المخلصة: أغنيس فلينشر

تمتم بوارو قائلاً: كنت أعرف دائماً أن الأمر له علاقة ببرجل ما. كل ما في الأمر أنني أخطأت بتحديد الرجل.

أنهى بوارو المكالمة متأملاً. هذه النقطة في صالح كارتر، لكنها النقطة الوحيدة حتى الآن.

وكان قد علم من بيروس أيضاً بعض التفاصيل المتعلقة بأقوال فرانك كارتر بخصوص عمله بستانياً، وقد أصر على روايته حول عمله في المخابرات السرية، كما قال إنه أخذ مალماً مقدماً إضافة إلى بعض شهادات الخبرة حول كفاءته في العمل كبستاني، وأخيراً بأن يقدم طلب العمل إلى السيد ماك أليستر رئيس البستانيين. وكانت التعليمات التي أعطيت له هي الإصغاء إلى الأحاديث التي تدور بين البستانيين الآخرين ليكشف إن كانت لهم ميول شيوعية أم لا، كما طلب منه أن يتظاهر بأنه يميل قليلاً للشيوعية أيضاً.

وقد قابلته امرأة قالت له إنها تُعرف بالاسم «ك هـ ٥٦» وهي التي أعطته التعليمات المتعلقة بمهمته، وقد قابلته في غرفة ذات ضوء خافت ولا يظن أنه سيعرفها لو رآها مرة أخرى. كانت امرأة ذات شعر أحمر وتضع كثيراً من مساحيق التجميل على وجهها.

تأوه بوارو. ها هي لمسات الحاسوبية والعالم السري تعود إلى الظهور، وأحس بوارو بالحاجة لاستشارة السيد بارنز حول هذا الموضوع، فكما أخبره السيد بارنز من قبل: إن مثل هذه الأشياء تحدث فعلاً.

وقد ساهمت آخر رسالة جاءت في زيادة حيرته واضطرابه. مغلف رخيص عليه كتابة رديئة باليد وعليه طابع بريد ومختوم من هيرتفورد شاير.

فتحه بوارو وقرأ:

الفصل الثامن

جرت المقابلة مع أغنيس فليشر في هيرتورد في مقهى مهجور إلى حد ما، لأن أغنيس كانت حريصة على أن لا تخبر بوارو بقصتها تحت سمع وبصر الأنسة مورلي.

مضت أول ربع ساعة وبوارو يصغي لأغنيس وهي تتحدث عن ترمت والدتها، وكيف أن والدها أيضاً -رغم طبيعة أعماله المتنوعة- لم يحدث له احتكاك مع الشرطة. وحدثته أغنيس أنها لو تورطت مع الشرطة بأي حال من الأحوال فإن أباه وأمه سيموتان قهراً لأن رأسيهما -كما تقول- ظلا مرفوعين عالياً ولم تقع بينهما وبين الشرطة أي مشكلة.

وبعد هذا الحدث الطويل وتكراره عدة مرات اقتربت أغنيس من موضوع المقابلة. قالت: لم أحب أن أقول أي شيء للأنسة مورلي يا سيدي لأنها ستوبخني وتساؤني لماذا لم أقل هذا من قبل، وقد تبادلنا الرأي في هذا الأمر مع الطاهية ولم نر أنه يخصنا لأننا قرأنا في الصحف كيف أن السيد مورلي قد أخطأ في الحقنة التي أعطاها للمريض وأنه انتحر وكان المسدس بيده. لذلك بدا الأمر واضحاً تماماً يا سيدي، أليس كذلك؟

أن أنتظر ألفريد حتى أراه لدى عودته بعد إدخال المريض على السيد مورلي، وفكرت أنني يمكن أن أتأديه عندئذ وأطلب منه إحضار البريد.

لهبت أغنيس وأخذت نفساً عميقاً ثم أكملت: عندها رأيته... أقصد فرانك كارتر. كان في وسط الدرج، الدرج الذي يصل شقتنا بطابق العيادة. وكان يقف هناك ينتظر وينظر أسفل منه، وأحسست أكثر وأكثر أن هذا أمر غريب. يبدو أنه كان يصغي لشيء ما باهتمام شديد.

- متى كان ذلك؟

- لا بد أنه كان قريباً من الساعة الثانية عشرة والنصف يا سيدي. وفكرت: 'ها هو فرانك كارتر قد جاء، والأنسة نيفيل في إجازة اليوم، وسوف يخيب أملي'. وتساءلت إن كان يجب عليّ أن أنزل وأخبره عن الأنسة نيفيل، إذ يبدو أن المغفل ألفريد نسي أن يخبره، وإلا لما وقف هناك ينتظرها. وبينما كنت مترددة، بدا أن السيد كارتر قد حزم أمره ونزل الدرج بسرعة وسار في الممر باتجاه عيادة سيدي. وفكرت في نفسي بأن سيدي لن يعجبه هذا التصرف، وفكرت في احتمال وقوع شجار. لكن إيما ناداني لحظتها وسألني عن سبب تقويفي هناك، وصعدت ثانية، وبعدها سمعت أن سيدي قد انتحرف فأنساني هذا الحادث الفظيع كل شيء. وبعد ذلك، عندما ذهب مفتش الشرطة، قلت لإيما إنني لم أقل شيئاً عن وجود السيد كارتر مع سيدي هذا الصباح. وسألني: 'هل كان عنده حقاً؟'. وقصصت عليها ما رأيته، فقالت إنه ربما كان عليّ أن أخبر المفتش بذلك. لكنني قلت لها إنني أريد الانتظار قليلاً ووافقتني. لأننا -كلينا- لم نرد إيقاع

كان بورو يأمل أن تقترب من المكاشفة الموعودة قليلاً عن طريق تشجيعها ولكن ليس بسؤال مباشر منه، سألتها: متى بدأت تشعرين شعوراً مختلفاً؟

- عندما قرأت ذلك الخبر عن فرانك كارتر في الصحيفة. عندما قرأت أنه أطلق الرصاص على ذلك الرجل المحترم حيث كان يعمل بستانياً عنده، وفكرت في أنه ربما كان فيه مس من جنون؛ لأنني أعرف أن ناساً مثله يعتقدون أنهم مضطهدون من قبل أعدائهم، ولذلك فإن من الخطر إيقاعهم في بيوتهم ويجب إرسالهم إلى المصححات العقلية. وقد رأيت أن فرانك كارتر قد يكون مثلهم؛ لأنني أتذكر أنه اعتاد أن يكثر الكلام عن السيد مورلي، وكان يقول إن السيد مورلي يعاديه ويحاول إبعاده عن الأنسة نيفيل. وأنا وإيما لا نستطيع إنكار أن السيد كارتر كان وسيماً ومحترماً، لكننا -بالطبع- لم نعتقد حقاً أنه فعل شيئاً للسيد مورلي. لقد قلنا الأمر غريباً بعض الشيء وحسب.

قال بورو صابراً: ما الذي كان غريباً؟

- في صباح ذلك اليوم يا سيدي، اليوم الذي انتحرف فيه السيد مورلي. كنت أتساءل إن كان بوسعي أن أنتحرف وأنزل لأخذ البريد؛ فسأعي البريد كان قد وصل، لكن ألفريد لم يحضر الرسائل إلينا في الطابق العلوي، وهو يصنع ذلك -في العادة- فقط إذا كانت الرسائل للأنسة مورلي أو للسيد مورلي، أما إذا كانت الرسائل لإيما أو لي أنا فإنه لا يهتم بإحضارها حتى ساعة الغداء. ولذلك خرجت إلى استراحة الدرج ونظرت من أعلى. لم تكن الأنسة مورلي تحب أن تنزل إلى الصالة أثناء ساعات عمل سيدي في عيادته، ولذا فكرت

زار بوارو شرطة سكوثلانديارد وسأل عن جاب، وعندما وصل إلى غرفة رئيس المفتشين قال: أريد رؤية كارتر.

نظر إليه جاب نظرة سريعة بطرف عينه وقال: وما هو هذا الدافع المهم لذلك؟

- ألا تريد أن تسمح لي برؤيته؟

رفع جاب كتفيه بلامبالاة وقال: آه، لن أعارض؛ فلا فائدة من معارضي. من هو الطفل المدلل عند وزير الداخلية؟ أنت. من الذي يضع أعضاء الحكومة في جيبه؟ أنت. إنك تساعد في التستر على فضائحهم.

تذكر بوارو القضية التي سماها قضية «أوجين ستيلز». تمت بشيء من الزهو: كانت قضية رائعة، أليس كذلك؟ يجب أن تعترف بهذا. لنقل إنها كانت مرسومة بشكل جيد.

- ما كان لأحد غيرك أبدأ أن يفكر بذلك الشيء! أحياناً - يا بوارو - أعتقد أنك لا تملك أي وازع على الإطلاق!

تجهم وجه بوارو فجأة وقال: هذا ليس صحيحاً.

- حسناً يا بوارو، لم أقصد ذلك. لكنك تبالغ بالاعتزاز بعقيرتك في بعض الأحيان. لماذا تريد رؤية كارتر؟ لسأله إن كان قد قتل مورلي حقاً؟

ولدهشة جاب، أوماً بوارو برأسه مؤكداً وقال: نعم يا صديقي، هذا هو السبب بالضبط.

فرانك كارتر في ورطة إن كان باستطاعتنا ذلك. وعندما جاء التحقيق وتبين أن سيدي قد أخطأ في إعطاء الحقنة وأنه ارتاع وقتل نفسه، بدا ذلك أمراً طبيعياً جداً، ولم تبقَ -بالطبع- أية حاجة للتحدث عن أي شيء. لكنني عندما قرأت ذلك الخبر في الصحيفة قبل يومين... آه، أذهلني ذلك! وقلت في نفسي: "إن كان كارتر واحداً من هؤلاء المجانين الذين يعتقدون أنهم مضطهدون ولذلك يقتلون الناس هنا وهناك، إذن ربما يكون بالفعل قد قتل سيدي أيضاً!"

كان الخوف والقلق باديين في عينيها وهي تنظر إلى هيركيول بوارو نظرات رجاء.

حاول أن يعطمئنها قدر الإمكان قائلاً: تأكدي -يا أغنيس- أنك فعلت الصواب عندما أخبرتني بهذا الأمر.

- لقد أزعج ذلك عن ضميري عبثاً قليلاً يا سيدي. كنت دائماً أقول لنفسي إنني ربما أخطأت بعدم الإبلاغ، ثم -كما قلت لك آنفاً- فكرت في مسألة التورط مع الشرطة وقبما ستقوله أمي. إنها تهتم بأمورنا كثيراً...

- نعم، نعم.

شعر بوارو أن الجرعة التي تجرعها بخصوص أم أغنيس كانت أقصى ما يمكن تجرعه في يوم واحد.

- أنا نزيه معك. بعد وقت قصير سأعطيك اسم وعنوان شهادة لا تقدر بشئ، وهي شهادة إثبات لك، فشهادتها يجب أن تثبت القضية عليه.

- إذن... آه! لقد حيرتني. لماذا أنت مهتم جداً برويتي.

قال بوارو: 'حتى أرضي نفسي'. ولم يرد على ذلك.



نظر فرانك كارتر الهزيل الشاحب - وهو يحافظ على قدر ضئيل من تبجحه - إلى زائر غير المتوقع نظرات استياء واضحة. قال يوقاحة: 'إذن هذا أنت. أيها الأجنبي الصغير؟ ماذا تريد؟'

- أريد رؤيتك والحدث إليك.

- ها أنت قد رأيتني، لكنني لن أتكلم. لن أتكلم بغياب محامي؛ هذا من حقوقي، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تعترض على هذا، عندي الحق في أن يكون محامي حاضرًا قبل أن أتفوه بكلمة واحدة.

- بالتأكيد، يمكنك أن ترسل في طلبه إن شئت، لكنني أفضل أن لا تفعل.

- طبعاً أنت تفضل ذلك. هل تعتقد أن بإمكانك أن توقع بي لأدلي باعتراقات مدمرة؟

- تذكر أننا هنا وحدنا.

- وأظن أنك تعتقد بأنه سيخبرك لو كان قتله فعلاً؟

كان جاب يضحك وهو يتكلم، لكن هيركيول بوارو بقي هادئاً وقوراً. قال: 'قد يخبرني... نعم.'

نظر إليه جاب بفضول وقال: 'هل تعلم؟ أنا أعرفك منذ وقت طويل، ربما منذ عشرين سنة، لكنني ما زلت أعجز عن فهم مرادك دائماً. أعرف أن لديك هاجساً يستحوذ عليك بخصوص الشاب فرانك كارتر، فأنت لا تريده مذنباً لسبب أو لآخر.'

هز هيركيول بوارو رأسه بقوة: لا، لا، أنت مخطئ في هذا. الأمر على العكس من ذلك.

- ظننت أن ذلك ربما كان بسبب تلك الفتاة، صديقه الشفراء أحياناً تنساق وراء عواطفك أيها العجوز...

انقلب بوارو ساخطاً على الفور: 'لست أنا العاطفي؛ فهذا عيب إنكليزي! في إنكلترا يكون وينتحيون على الأحبة الصغار والأمهات المحتضرات، أما أنا فممنطق'. إذا كان فرانك كارتر قاتلاً فأنا لست من العاطفة بحيث أجمعه في رابطة زواج مع فتاة لطيفة.

- إذن لماذا لا تريد أن تصدق بأنه مذنب.

- بل أنا أرغب فعلاً بأن أصدق أنه مذنب!

- أظن أنك تقصد بأنك أمسكت بشيء يثبت براءته بشكل حاسم نوعاً ما؟ لماذا - إذن - تخفي الأمر عننا؟ ينبغي أن يكون تعاملك معنا نزيهاً يا بوارو.

- في ذلك الوقت، وحسب روايتك، المفروض أنك كنت خارج المنزل تسير في شارع ماريلبون.

- نعم، هذا صحيح. هذه الفتاة تكذب. لا يمكن أن تكون قد رأيتي. إنها مؤامرة قذرة. لو كانت صحيحة لماذا لم تقلها من قبل؟

ردّ عليه بوارو بهدوء: لقد ذكرت ذلك في حينه لصديقتها وزميلتها الطاهية. كانتا متضامتين ومتحيرتين ولم تعرفا ماذا تفعلان، وعندما صدر الحكم بأنه حادث ارتاحتا كثيراً وقررنا أنه ليس ضرورياً أن تقولوا أي شيء.

- لا أصدق كلمة واحدة من هذا! إنهما متآمرتان... فتاتان كاذبتان وقذرتان.

ثم بدأ يسبّ ويلعن، فانتظره بوارو حتى فرغ، ثم تكلم بتنفس الصوت الهادئ الرزين: الغضب والسباب لن يساعدك. هاتان الفتاتان ستدليان بأقوالهما وسوف تُصدّقان لأنهما تقولان الحقيقة. فالفتاة أغنيس فليشر رأتك فعلاً، كنت هناك على الدرج في ذلك الوقت ولم تغادر المنزل، وذهبت فعلاً إلى غرفة السيد مورلي.

توقف قليلاً ثم سأله: ماذا حدث عندها؟

- قلت لك إن هذا كذب!

أحس هيركيول بوارو بالثعب الشديد وبالشيخوخة. لم يكن يحب فرانك كارتر، بل كان يكرهه كثيراً ويرى أنه شاب مستأسد كذاب مخادع، من النوع الذي يمكن للعالم أن يرتاح دون وجوده.

- هذا غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟ لا شك أن أصدقاءك من الشرطة يتنصتون علينا.

- أنت مخطئ؛ فهذه مقابلة خاصة بيني وبينك.

ضحك فرانك كارتر. بدا كريبهاً ماكراً وهو يقول: دعك من كل ذلك! لا تستطيع أن تخدعني بهذه الحيلة القديمة.

- هل تذكر فتاة تدعى أغنيس فليشر؟

- لم أسمع بها من قبل.

- أظن أنك ستذكرها، رغم أنك لم تلحظها كثيراً. إنها خادمة الاستقبال في البيت رقم 58 بشارع المالكة شارلوت.

- حسناً، وماذا عنها؟

ردّ عليه هيركيول بوارو ببطء: في صباح اليوم الذي قتل فيه السيد مورلي، صدق أن كانت هذه الفتاة تطلّ من فوق درابزين الدرج في الطابق العلوي، وقد رأتك على الدرج... تنتظر وتصغي، وسرعان ما رأتك تذهب إلى غرفة السيد مورلي. كان ذلك في الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة أو قريباً من هذا.

ارتجف فرانك كارتر بقوة. تصبب العرق من جبينه، وانتقلت عيناه -وقد بلغ المكر فيهما مداه- من جانب إلى آخر وصاح غاضباً: هذا كذب! كذبة لعينة! لقد دفعتم لها... الشرطة دفعوا لها حتى تقول إنها رأيتي.

ثم - فجأة- استسلم فرانك كارتر أمام قوة شخصية الرجل الذي يواجهه وقال بصوت أجش: حسناً، سأخبرك. وتبلغت الله إن خذتني بعدها! نعم، دخلت غرفته... ارتقت الدرج وانتظرت حتى أتأكد من أنه يجلس وحده في الغرفة. انتظرت هناك عند استراحة الدرج فوق عبادة مورلي، ثم خرج رجلٌ ونزل الدرج... وكان رجلاً بديناً. كنت أكاد أحزم أمرني على الذهاب عندما خرج رجل آخر من غرفة مورلي ونزل هو أيضاً، وعرفت أن علي أن أسرع. ذهبت مباشرة ودخلت غرفته دون أن أطرق على الباب، وكنت مستعداً لتلشجار معه بعدما لوث سمعتي وحرص علي فتاتي... تباً له.

ثم سكت، فقال هيركيول بوارو بصوت ما زال قوياً مؤثراً:
نعم، وبعده؟

قال كارتر بصوت مرتعش: وكان ممدداً هناك... ميتاً. هذا صحيح، أقسم أنه صحيح! كان ممدداً تماماً كما وصفوه في التحقيق. ولم أستطع تصديق الأمر في البداية، فاتحيت فوقه، ولكنه كان ميتاً دون شك. كانت يده متصلبة وباردة، ورأيت فتحة الرصاصة في رأسه وحولها دم متجمد...

حينما كان كارتر يتذكر ذلك كان العرق ينصب من جبينه، ومضى يقول: عرفت - وقتها- أنني وقعت في ورطة؛ فسوف يقولون إنني قتلته. ثم أكن قد لمست شيئاً سوى يده ومقبض الباب، وعندما خرجت مسحت بصماتي عن مقبض الباب بمناديل كان معي، مسحتها من الداخل والخارج. ثم نزلت الدرج متسلاً وبسرعة قدر استطاعتي. ولم يكن في الصالة أحد فخرجت بأسرع ما يمكن. لا بد أن يقولوا بعد ذلك إنهم شاهدوني بحالة غريبة.

وما كان علي بوارو إلا أن يتنحى جانباً ويدع هذا الشاب بصر علي أكاذيبه ليتخلص العالم من واحد من سكانه البغيضين...

قال بوارو: أرى أن تخبرني بالحقيقة.

كان يدرك المسألة بوضوح تام. فرانك كارتر كان غيباً، لكنه لم يكن غيباً لدرجة عدم فهمه أن إصراره على الإنكار هو أفضل وأمن طريقة؛ إذ بمجرد أن يعترف بأنه ذهب إلى تلك الغرفة في الساعة الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة فإنه يخطو خطوة نحو الخطر المهلك؛ لأن أي شيء يقول بعد ذلك سيُعتبر مجرد كذبة.

إذن دعه بصر علي الإنكار، ولو حدث ذلك فسوف ينتهي واجب هيركيول بوارو؛ فوفق كل الاحتمالات سيعدم فرانك كارتر بتهمة قتل هنري مورلي... وقد يكون ذلك حكماً عادلاً.

ما علي بوارو إلا أن ينهض ويذهب.

قال فرانك كارتر مرة أخرى: "هذا كذب"، ثم سكت.

لم ينهض بوارو أو يذهب. كان يرغب بذلك... كثيراً، ومع ذلك ظل مكانه. مال إلى الأمام، وقال بنبهة أمره تحمل كل قوة شخصيته: أنا لا أكذب عليك، إنما أطلب منك أن تصدقني. إذا لم تقتل مورلي فإن أملك الوحيد هو أن تخبرني بالحقيقة التامة لما حدث ذلك الصباح.

تردد الوجه الخسيس الغادر وهو ينظر إليه، أحجم عن الكلام، ودارت عيناه من جانب إلى آخر كعيني حيوان خائف مرعوب. كان الوضع دقيقاً وحرراً...

رد عليه بوارو: أحياناً لا أحب أشياء يتوجب علي فعلها.

أوما السيد بارنز برأسه متعاطفاً مع موقفه وقال: أعرف.

نظر هيركيول بوارو نظرات غامضة حوله حيث مساكب الزهور الصغيرة المرئية، وقال: هذه الحديقة جيدة التخطيط، وكل شيء مرتب ومنظم. حديقة صغيرة لكنها متفتحة.

قال السيد بارنز: عندما يكون المكان صغيراً عليك أن تستفيد منه كله. إنك لا تتحمل الوقوع في الخطأ في عملية التخطيط.

أوما هيركيول بوارو موافقاً، فأكمل بارنز يقول: علمت أنك قد أمسكت برجلك؟

- فرانك كارتر؟

- نعم، الحق أن ذلك فاجأني.

- أظنك لم تحسبها جريمة قتل خاصة إذا صح التعبير، أليس كذلك؟

- بصراحة لم أحسبها كذلك، وذلك بسبب أميربوتيس وأليستير بلانت؛ فقد تأكدت أنها واحدة من أعمال التجسس والتجسس المضاد.

- هذا ما شرحته لي في أول لقاء بيننا.

- أعرف، كنت واثقاً من ذلك في حينه.

قال بوارو ببطء: لكنك كنت مخبطاً.

سكت، نظر إلى بوارو بعينين خافتين ثم قال: هذه هي الحقيقة، أقسم أن هذه هي الحقيقة... كان ميتاً قبل أن أدخل عليه. يجب أن تصدقني!

نهض بوارو وقال بصوت متعب حزين: إنني أصدقك.

تحرك نحو الباب، فصاح فرانك كارتر: سيستقونني... سيستقونني - دون شك - إن عرفوا أنني كنت في الغرفة.

قال بوارو: بقولك الحقيقة أنقذت نفسك من حبل المشنقة.

- لا أظن ذلك. سيقلون...

قاطع بوارو قائلاً: إن فصنك أكدت ما كنت أعرفه وأعتبره الحقيقة، أترك الأمر لي الآن. ثم خرج. لم يكن بوارو سعيداً أبداً.

وصل إلى بيت السيد بارنز في إيلنج في الساعة السادسة وخمسة وأربعين دقيقة، وتذكر أن السيد بارنز يعتبر ذلك الوقت وقتاً مناسباً.

كان السيد بارنز يعمل في حديقة منزله. قال على سبيل التحية والترحيب: إننا نحتاج إلى المطر يا سيد بوارو... نحتاجه كثيراً.

ثم نظر إلى ضيفه متأملاً وقال: أنت لا تبدو بصحة جيدة يا سيد بوارو؟

جريمة القتل... رغم أنني كنت محظوظاً دون شك في مسألة صغيرة تماماً.

- وما هي؟

- جزء من حديث. جزء صغير كان موحياً جداً لو أنني فهمت دلالاته في ذلك الوقت.

حك السيد بارنز أنفه بطرف المجرفة الصغيرة التي يحملها وهو يتأمل، فعلق حبة صغيرة من تراب على أنفه. ثم سأل بوارو بلطف: أراك تتكلم كلاماً ملغزاً، أليس كذلك؟

رفع هيركيول بوارو كتفيه بأسى وقال: إنني حزين لأنك لم تكن صريحاً معي.

- أنا؟

- نعم.

- يا عزيزي، لم أكن أعرف شيئاً عن جرم كارتر. كل ما كنت أعرفه أنه غادر العيادة قبل مقتل مورلي بوقت طويل. أظن أنهم كشفوا الآن أنه لم يغادرها في الساعة التي ادعى أنه غادر فيها.

- كان كارتر في العيادة في الساعة الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة، والواقع أنه شاهد القاتل.

- إذن فإن كارتر لم...

- قلت لك بأن كارتر شاهد القاتل!

- نعم، لا تذكرني بذلك. المشكلة أن المرء يعتمد في استنتاجاته على خبرته الخاصة. لقد شاركت في ذلك النوع من الأعمال كثيراً ولذلك فإنني أميل إلى رؤية كل شيء بهذا المنظور.

- قال بوارو: أظنك قد شاهدت في وقت ما ساحراً يقدم لك بطاقة، أو يجبرك على أخذ بطاقة ما، أليس كذلك؟

- بلى، بالطبع.

- وهذا ما حدث هنا. كلما أراد المرء التفكير بسبب خاص شخصي لمقتل مورلي لا يلبث أن تأتيه سريعاً صيحة الساحر: ها... خذ. ويتم فرض البطاقة عليه، وسرعان ما يُذكر أميريوتيس وأليستير بلانت والأوضاع السياسية غير المستقرة للبلاد.

ثم رفع كتفيه حيرة وقال: أنا أنت - يا سيدي - فقد ضللتني أكثر من أي شخص آخر.

- آه، إنني آسف يا بوارو، أنا آسف بصدق.

- كنت في موقع يمكنك فيه أن تعرف، لذلك كانت كلماتك ذات أهمية.

- كنت مؤمناً بما قلت. هذا هو الاعتذار الوحيد الذي يمكنني تقديمه.

سكت وتهدد، ثم قال: إذن فقد كان الدافع خاصاً محضاً طوال الوقت؟

- بالضبط، لقد قضيت وقتاً طويلاً حتى استطعت رؤية سبب

- هل استطاع تمييزه؟

هز هيركيول بوارو رأسه ببطء.

* * *

الفصل التاسع

في اليوم التالي أمضى هيركيول بوارو بضع ساعات مع وكيل مسرحي كان يعرفه، وذهب بعد الظهر إلى أوكسفورد، وفي اليوم الذي أعقب ذلك إلى الريف، وكان الوقت متأخراً عندما عاد.

كان قد اتصل هاتفياً قبل مغادرته ليأخذ موعداً مع السيد أليستير بلانت في مساء ذلك اليوم، وكانت الساعة التاسعة والنصف ليلاً عندما وصل إلى منزله. كان أليستير بلانت يجلس وحيداً في مكتبه عندما دخل عليه بوارو.

نظر إلى زائرة نظرات متلهفة وهو يصافحه وقال: حسناً؟

أوماً هيركيول بوارو برأسه ببطء.

نظر إليه بلانت بتقدير وهو لا يكاد يصدق إيماءة بوارو ثم قال: هل وجدتتها؟

- نعم، نعم. لقد وجدتها.

جلس وتنهده، قال بلانت: هل أنت متعجب؟

ما يعادل منجم ذهب، لكن هذا ما فعلته فعلاً، رغم أنها لم تكن تعرف ذلك شخصياً؛ فهي لم تكن ذكية ذكاء حاداً. كانت ضيئة حسنة الية، أما عقلها فعقل دجاجة.

قال بلانت: إذن لم تكن هي التي قتلت السيدة تشابمان؟

- من الصعب معرفة الكيفية التي أعرض فيها المسألة. أريد أن أبدأ من حيث تبدأ المسألة بالنسبة لي؛ من الحذاء!

قال بلانت متحيراً: الحذاء!؟

أوما بوارو برأسه وقال: نعم، حذاء عليه إيزيم زينة. لقد خرجت من عبادة الطيب في ذلك اليوم، وبينما كنت واقفاً على عتبة درجات المنزل رقم ٥٨ بشارع الملكة شارلوت توقفت سيارة أجرة في الخارج وفتح الباب وظهر قدم امرأة كانت تستعد للتزول. إنني من النوع الذي يلاحظ التفاصيل، وقد لاحظت أن صاحبة الحذاء تلبس جوارب ثمينة لكن حذاءها لم يعجبني، كان جديداً من الجلد اللامع وعليه إيزيم زينة كبير، ولم يكن ليبدل على الأناقة أبداً.

وبينما كنت ألاحظ هذا خرج ما تبقى من المرأة من السيارة، وبصراحة كان ذلك منظرًا مخيباً للآمال. امرأة متوسطة العمر ليس لها جاذبية وتلبس ثياباً خالية من الذوق.

- الأنسة سينبري سيل؟

- بالضبط. وبينما كانت تنزل من السيارة حدث أمر مؤسف.

- نعم، إنني متعب. وما أريد قوله لك ليس بالأمر المفرح.

- هل هي ميتة؟

- هذا يعتمد على كيفية نظرك إلى الأمر.

قطب بلانت جيئة وقال: يا عزيزي، الإنسان إما أن يكون ميتاً أو حياً. لا بد أن تكون الأنسة سينبري سيل واحدة من هذين.

- آه، ولكن من تكون الأنسة سينبري سيل حقاً؟

- هل تريد القول إنه... إنه لا توجد واحدة بهذا الاسم؟

- لا، بل كانت توجد واحدة بهذا الاسم، وقد عاشت في كلكتا بالهند وكانت تقوم بتدريس فن الإلقاء وتشغل أوقاتها في أعمال خيرية. وقد جاءت إلى إنكلترا على السفينة ماهارانا، وهي نفس السفينة التي جاء فيها السيد أمبيرويس. ورغم أنهما لم يكونا بركبان في نفس الدرجة إلا أنه ساعدها في مسألة ما، مشكلة حدثت حول أمتعتها، ويبدو أنه كان رجلاً لطيفاً من بعض النواحي. وأحياناً - يا سيد بلانت - يأتي جزء اللفظ بطريقة غير متوقعة، وهذا ما حدث مع السيد أمبيرويس؛ فلقد صدف أن التقى بالمرأة مرة أخرى في أحد شوارع لندن، وكان يشعر بالأرجحية كما يبدو فدعاها - بحسن نية - لتناول الغداء معه في فندق سافوي.

كانت تلك وليمة رائعة لم تتوقعها المرأة، كما كانت بالنسبة لأمبيرويس ضريبة حظ ساقتها الأقدار دون توقع، لأن لطفه لم يكن لغرض معين. لم يكن يعرف أن تلك المرأة العادية كانت مستهذبة

وملابسها، ولم يكن بينهما ذلك الحذاء ذو الإبزيم. ربما كان لديها حذاء قديم، نعم، وقد تكون غيرت حذاءها الذي تلبسه وليست هذا القديم بعد يوم متعب من أجل الخروج مساء ذلك اليوم. ولكن إن صخ هذا فإن الحذاء الآخر لا بد أن يكون في الفندق. كان أمراً غريباً دون شك.

- لا أرى هذا أمراً مهماً.

- لا، ليس مهماً، ليس هاماً أبداً. لكن المرأة لا يرتاح للأمور التي يعجز عن تفسيرها. وقفت بجانب صندوق الفراء ونظرت إلى الحذاء... كان الإبزيم قد خيط حديثاً بواسطة اليد. اعترف لك أنني عندما رأيته شككت في نفسي لبعض الوقت. نعم، قلت في نفسي: "يا هيركيول بورو، لقد كنت طائشاً قليلاً ذلك الصباح، إنك تنظر إلى العالم من خلال نظارات وردية، فحتى الحذاء القديم بدا في نظرك جديداً؟".

- ربما كان ذلك هو التفسير فعلاً؟

- لا، لم يكن، إن عيني لا يمكن أن تخدعاني! أريد أن أكمل القصة: تفحصت جثة المرأة الميتة ولم يعجبني ما رأيته، لماذا تم تحطيم وتهشيم الوجه عمداً بحيث غدا يصعب التمييز؟

تململ أليستير بلانت في جلسته وقال: هل يجب أن تعيد ذكر هذا الموضوع مرة أخرى؟ نحن نعرف...

قال بورو بقوة: إنه ضروري؛ يجب أن أشرح لك الخطوات التي أوصلتني إلى الحقيقة في النهاية. قلت محدثاً نفسي: "يوجد في

ققد علق إبزيم حذاءها في باب السيارة فسقط على الأرض، فالتفتنه وأعدته إليها. هذا كل ما حدث، وأغلق ملف الحادث.

بعد ذلك، وفي نفس ذلك اليوم، ذهبت مع رئيس المفتشين جاب لمقابلة تلك السيدة، ولم تكن -وقتها- قد خاطت إبزيم حذاءها بعد. وفي نفس ذلك المساء، خرجت الأنسة سينسيري سيل من فندقها واختفت آثارها. كان ذلك هو نهاية «الفصل الأول»... إذا جاز لنا التعبير.

بدأ «الفصل الثاني» عندما استدعاني رئيس المفتشين جاب إلى مجتمعات الملك ليوبولد السكنية. كان هناك صندوق فراء في إحدى الشقق، وفي ذلك الصندوق وجدت جثة. ذهبت إلى الغرفة ثم إلى الصندوق، وأول شيء لاحظته كان حذاءً بالياً ذا إبزيم!

- حسناً، وماذا في ذلك؟

- أنت لم تقدر هذه النقطة. كان حذاءً بالياً... حذاء مستهلكاً. لكن الأنسة سينسيري سيل جاءت إلى تلك الشقة في مساء ذلك اليوم نفسه، اليوم الذي قُتل فيه السيد مورلي. كان الحذاء في الصباح جديداً... وفي المساء حذاء قديم! إن المرأة لا يمكن أن يبلي حذاء جديداً في يوم واحد!

قال أليستير بلانت دون كثير اهتمام: ربما كان لديها حذاءان كما أظن.

- آه، لكن ذلك لم يكن صحيحاً؛ لأنني ذهبت مع جاب إلى غرفتها في فندق غلينغوري كورت وتفحصنا جميع أغراضها

الذي يستطيع إثبات هوية المرأة المنوفاة إثباتاً جازماً، ووجدت -بالمصادفة- أن طبيب السيدة تشابمان هو السيد مورلي. مورلي كان ميتاً، نكن تحديد هويتها ما زال ممكناً. أنت تعرف النتيجة، تم التعرف إلى الجثة في محكمة التحقيق من قبل خليفة السيد مورلي وأثبت أنها جثة السيدة تشابمان.

كان بلانت يتعلمل في جلسته بشيء من نقاد الصبر، لكن يوارو ثم يلقي بالأل لذلك وأكمل يقول: ظهرت عندي الآن مشكلة سيكولوجية. أي نوع من النساء كانت الأنسة سينسيري سيل؟ كان لدينا جوابان على هذا السؤال: الأول واضح، وهو ما أيده حياتها في الهند والشهادة التي قدمها أصدقائها عنها؛ فقد وصفوها بأنها امرأة جادة صاحبة ضمير حي لكنها غبية بعض الشيء. فهل توجد أنسة سينسيري سيل أخرى؟ كان واضحاً وجود أخرى!

كانت توجد امرأة تناولت الغداء مع عميل أجنبي معروف، امرأة قابلتك في الشارع وزعمت أنها صديقة حبيبة لزوجتك (وهو كلام يكاد يكون مؤكداً أنه غير صحيح)، امرأة غادرت منزل رجل قبل وقت قصير من وقوع جريمة قتل، امرأة زارت امرأة أخرى في المساء الذي قتل فيه تلك المرأة الأخرى، والتي اختفت منذ ذلك الوقت رغم أنها تدرك أن شرطه إنكثرتا تبحث عنها. هل كانت كل تلك الأفعال متطابقة مع الشخصية التي رسمها أصدقائها لها؟ يبدو أنها لم تكن متطابقة، لذلك إذا لم تكن الأنسة سينسيري سيل هي المرأة الطيبة الودودة كما كانت تبدو، فإنها إذن يمكن أن تكون قاتلة لا يرف لها جفن، أو أن تكون -بالتأكيد تقريباً- شريكة تساهم في التستر على الجريمة.

هذا الأمر شيء غير طبيعي. هنا امرأة ميتة بملابس الأنسة سينسيري سيل (ماعدًا الحذاء؟) وبجانباها حقيبة الأنسة سينسيري سيل؟. وعلى الفور بدأت أقارن أوصافها مع تلك التي سمعتها عن المرأة الأخرى، صاحبة الشقة. وسألت نفسي: "ألا يمكن أن تكون المرأة الأخرى هي هذه الفتيلة؟". ذهبت بعدها ونظرت في غرفة نوم المرأة صاحبة الشقة محاولاً أن أكزن في عقلي صورة لها وأن أعرف أي امرأة هي. ولقد بدت لي مختلفة تماماً عن الأنسة سينسيري سيل من حيث المظهر؛ فهي أنيقة في ملابسها لحد الاستعراض وتضع كثيراً من مساحيق التجميل على وجهها، ولكنهما في الأساسيات متشابهتان تماماً: الشعر واليانية والعمر... ما عدا اختلافاً واحداً. كانت السيدة تشابمان تلبس حذاء من قياس 5 أما الأنسة سينسيري سيل فكانت أعرف أنها تلبس جوارب طولها عشر بوصات وهذا يعني أنها تلبس حذاء من قياس 6 على الأقل. إذن فإن قدم السيدة تشابمان أصغر من قدم الأنسة سينسيري سيل، وهكذا عدت إلى الجثة. إذا كانت فكرتي غير المكتملة صحيحة، وإن كانت الجثة للسيدة تشابمان وهي تلبس ثياب الأنسة سينسيري سيل، فإن الحذاء يجب أن يكون كبيراً. أمسكت بفردة واحدة من الحذاء فوجدت أنه لم يكن واسعاً على قدمها، بل كان مناسباً لحجم قدمها بإحكام، وبذلك بدا الأمر وكأن الجثة للأنسة سينسيري سيل! ولكن -في تلك الحالة- لماذا شوّه الوجه؟ هويتها كانت مثبتة من خلال حقيبتها التي تركت إلى جوارها والتي كان يمكن إبعادها عنها بسهولة... لكنها ظلت بجانبها.

كان لغزاً معقداً، وفي لحظة من اليأس عثرت على دفتر عناوين للسيدة تشابمان. كان طبيب الأسنان هو الشخص الوحيد

- لم أزل ذلك أبداً ولم تراودني هذه الفكرة. لقد قُتل مورلي، وأمبيريو تيس قُتل، وقُتلت امرأة غير معروفة الهوية... لماذا؟ من أجل شيء أكبر. كانت نظرية بارنز أن شخصاً حاول رشوة مورلي أو شريكه لكي يتخلص منك.

قال أليستير بلانت بحدة: ولكن أهو هراء حقاً؟ لنقل إن شخصاً يرغب في التخلص من شخص آخر. نعم، لكن ذلك الشخص الآخر أخذ حذره واستعد وأصبح من الصعب الوصول إليه. حتى تقتل هذا الشخص لا بد من التمكن من الاقتراب منه دون إثارة شكوكه، وهل من مكان يطرح فيه المرء شكوكه ويدع حذره أكثر من كرسي طبيب الأسنان؟

- أظن أن هذا صحيح، لم أفكر في هذه الناحية من قبل.

- إنه صحيح. وعندما أدركته بدأت خيوط الحقيقة تنتضح

لي.

- إذن فقد تبينت نظرية بارنز؟ ومن يكون بارنز هذا بالمناسبة؟

- كان بارنز هو مريض السيد ريلي الذي حضر عند الساعة الثانية عشرة، وهو رجل متقاعد من وزارة الداخلية ويعيش في إبلنغ. رجل ضئيل لا أهمية له، لكنك أخطأت عندما قلت بأنني تبينت نظريته؛ فأننا لم أتيناها، إنما قبلت المبدأ الذي تقوم عليه فقط.

- ماذا تقصد؟

وكان لدي ميزان آخر، وهو انطباعي الشخصي. لقد تحدثت بنفسى مع مايبل سينسيري سيل، فكيف رأيتهما؟ وهذا هو أصعب سؤال يا سيد بلانت. إن كل ما قالته، وطريقة كلامها، وسلوكها، وإيماءاتها كلها... كل ذلك كان متوافقاً مع شخصيتها كما وُصفت. ولكنها - أيضاً - متوافقة بنفس الدرجة مع شخصية ممثلة بارعة تمثل أحد الأدوار. إن مايبل سينسيري سيل قد بدأت حياتها ممثلة على أية حال.

لقد تأثرت كثيراً بالحديث الذي دار بيني وبين السيد بارنز، والذي كان هو الآخر أحد المرضى الذين جاؤوا للعلاج في عيادة السيد مورلي وشريكه في ذلك اليوم. إن نظريته (التي عثر عنها بقوة) هي أن وفاة السيد مورلي والسيد أمبيريو تيس كانتا حادثين عرضيين، وأنت كنت الضحية المقصودة.

قال أليستير بلانت: آه، هيا... هذه فكرة خيالية قليلاً.

- حقاً يا سيد بلانت؟ أليس صحيحاً أنه توجد جماعات مختلفة ترى أنه من الضروري التخلص منك، أو القضاء على نفوذك؟

- بلى، هذا صحيح. ولكن لماذا يخلطون مقتل مورلي مع هذا؟

- لأنه كانت - في هذه القضية - مسألة... بماذا أصفها؟ مسألة تذبذب. التكاليف لا تهم، الحياة البشرية لا تهم... نعم، كانت توجد قسوة واستهتار، وهذا يشير إلى جريمة كبيرة!

- ألا تعتقد أن مورلي انتحر بسبب خطأ؟

رايكز هو الرجل الذي قد يتزوج قريبتك ، والتي إذا مات ميراث ثروة كبيرة من وراثتك.

هل كان الأمر كنه عبارة عن جريمة خاصة، جريمة من أجل مكسب خاص ، لغرض خاص؟ لماذا ظننت أنا أنها جريمة عامة؟ لأنه تم الإيحاء لي مرات عديدة بهذه الفكرة، بل لقد فُرضت علي تلك الفكرة فُرضاً كبطاقة الساحر. وعندما حضرت لي تلك الفكرة بدأت الخيوط الأولية لتلحيفتي تتجلى لي. كنا نتسلى في حديثك حين سمعت تلك الأغنية الشعبية. وكانت تتكلم عن فح بحيال...

فح؟ نُصِّبُ لي؟ نعم، يمكن هذا. ولكن -في تلك الحالة- من هو الذي وضعه؟ شخص واحد فقط يستطيع وضعه، لكن ذلك لم يكن منطقياً... أم أنه كان كذلك؟ هل كنتُ أنظر إلى القضية بمنظور مقنوب؟ المال لا يهم؟ نعم، بالضبط! استهزأ بحيات الإنسان؟ نعم مرة أخرى. لأن الزهان الذي كان الشخص المذنب يراهن عليه كبير جداً. ولكن إن كانت فكريتي الجديدة الغريبة هذه صحيحة فيجب أن تُفسر كل شيء، يجب أن تُفسر -على سبيل المثال- لغز الضيعة المزدوجة ثلاثسة سينسيري سيل... ولا بد أن تحل لغز إيزيم الحذاء... ولا بد أن تجيب عن السؤال: أين هي الأتسة سينسيري سيل الآن؟

حسناً، لقد فعلت فكريتي هذا كله وأكثر. أرثتي أن الأتسة سينسيري سيل هي بداية القضية وبسطها ونهايتها. ولا عجب أن بدا لي وجود نسختين من مايل سينسيري سيل؛ إذ كانت توجد مايل الطبية النظيفية الغبية والتي شهد لها أصدقائها بذلك. وثالث

- منذ البداية تم تضليلي... أحياناً بشكل متعمد وأحياناً بشكل غير متعمد. لقد تم منذ البداية تقديم الأمر لي ، بل فرضه علي باعتبارها قضية جريمة عامة إذا صح التعبير. هذا يعني أنك -يا سيد بلانت- محورها المركزي بصفتك العامة، أي بصفتك مصرفياً أو شخصاً يتحكم بالأموال، محافظاً وقيماً على التراث المحافظ.

لكن لكل شخصية عامة حياتها الخاصة أيضاً، وكانت تلك غلطتي؛ فقد نسيت الحياة الخاصة. لقد وُجدت أسباب خاصة لقتل مورلي... أسباب فرانك كارتر على سبيل المثال. وقد توجد أسباب خاصة لقتلك أنت، فلذلك أقارب سيرتون أموالك عندما تموت، ويوجد من الناس من أحبك ومن كرهك... كرجل، لا كشخصية عامة.

وهكذا وصلت إلى ذروة ما أسميته عملية «فرض البطاقة»، وأعني الهجوم المزعوم عليك من قبل فرانك كارتر. إذا كان الاعتداء حقيقياً، فهي إذن جريمة سياسية. ولكن هل كان يوجد أي تفسير آخر؟ يمكن. كان بين الأشجار رجل آخر؛ الرجل الذي اندفع وأمسك بكارتر. رجل كان يستطيع أن يطلق الرصاصة تلك ثم يلقي بالمسدس بسهولة عند قدمي كارتر الذي سيرفعه بشكل شبه مؤكد عن الأرض ثم يُلقى عليه القبض وهو ممسك به بيده.

فكرت في مشكلة هوارد رايكز، فقد كان رايكز موجوداً في عيادة السيد مورلي صباح اليوم الذي قتل فيه. إن رايكز عدو شرس لكل ما ترمز إليه وتناصره. نعم، لكن رايكز كان أكثر من ذلك،

- أه! نأتي إليها الآن. لم يكن طيب الأسنان نفسه هو الذي أدلى بالشهادة؛ فمورلي كان ميتاً ولم يكن باستطاعته الإدلاء بشهادته بخصوص عمله، ولو كان حياً لعرف من هي المرأة الميتة. أما وقد مات فإن ملفها اندي يحتوي على وصف لأسنانها هو الذي قُدم كدليل، وقد تم تزوير هذا الملف! كانت المرأتان تتعالجان عنده، وكل ما يتوجب عمله هو تبديل الاسمين الموجودين على ملفتي المريضتين.

ثم أضاف هيركيول بوارو: هل عرفت الآن ما كنت أقصده عندما سألتني إن كانت المرأة ميتة أم لا فأجبتك بأن هذا يعتمد؟ لأنك عندما تسأل عن الأنسة سينسيري سيل، فأني واحدة منهما تقصد؟ المرأة التي اختفت من فندق غلينغوري كورت أم مايبيل سينسيري سيل الحقيقية؟

قال أليستير بلانت: أعرف يا سيد بوارو أن شهرتك واسعة، ولذلك أظن أن لديك -دون شك- بعض الأسباب لهذا الافتراض الغريب... لأنه مجرد افتراض لا أكثر. لكن كل ما يمكنك رؤيته هو استحالة الأمر كله استحالة مطلقة. أنت تقول بأن مايبيل سينسيري سيل قد قُتلت عمداً وأن مورلي قُتل هو الآخر حتى لا يتعرف إلى جثتها، ولكن لماذا؟ هذا ما أريد معرفته؟ إنها امرأة غير مؤذية على الإطلاق، لها أصدقاء كثيرون ومن الواضح أنه ليس لها أعداء. إذن لماذا كل هذه المؤامرة المعقدة للتخلص منها؟

- لماذا؟ نعم، هذا هو السؤال. كما قلت، فإن مايبيل سينسيري

الأخرى... المرأة التي تورطت بجريمتي قتل والتي كذبت ثم اختفت بشكل غامض.

تذكر أن البواب في مجمعات الملك ليوبولد قال إن الأنسة سينسيري سيل جاءت إلى هناك من قبل مرة واحدة. عندما كنت أعيد تركيب أجزاء القضية رأيت أن زيارتها الأولى تلك للمجمع هي الزيارة الوحيدة؛ فهي لم تخرج من المجمع أبداً. الأنسة سينسيري سيل الأخرى أخذت مكاتها. مايبيل سينسيري سيل الأخرى ليست نفس الثياب وليست زوجاً من الأحذية عليه إيزيم. لماذا؟ لأن أحذية الأنسة سينسيري سيل الحقيقية كانت كبيرة جداً على قدميها، والإيزيم سيساعدها على تضيق الحذاء. ومن ثم ذهبت تلك المرأة إلى فندق راسل سكوير في وقت مزدحم ومشغول وحزمت حقائب المرأة المتوفاة ودفعت الفاتورة وغادرت، وبعد ذلك ذهبت إلى فندق غلينغوري كورت. تذكر أن أياً من أصدقاء الأنسة سينسيري سيل الحقيقية لم يشاهدها بعد ذلك، وهكذا قامت بأداء دور مايبيل سينسيري سيل هناك لمدة تزيد على الأسبوع ثم اختفت، وكانت آخر مرة تظهر فيها عندما شوهدت تدخل مجمع الملك ليوبولد مرة أخرى ليلاً في اليوم الذي قتل فيه مورلي.

سأله أليستير بلانت: هل تحاول أن تقول إن الجثة التي وجدت في الشقة كانت جثة مايبيل سينسيري سيل رغم كل شيء؟

- إنها جثتها بالطبع! كانت خدعة مزدوجة ذكية جداً؛ فالوجه المهشم كان القصد منه إثارة سؤال عن هوية المرأة!

- ولكن تبقى شهادة طيب الأسنان؟

- أظن أن بإمكانك أن تنظر إلى الأمر من ذلك المنظار، لكنه يبدو أمراً مستبعداً.

- إنه مستبعد بالطبع! ولكن إن اعتبرنا تلك الفرضية الثانية حقيقةً تصبح قصتها صحيحة. لقد كانت الأنسة سينسيري سبيل تعرف زوجتك فعلاً، كانت تعرفها جيداً، وبالتالي فإن زوجتك من النوع الذي كان من شأن الأنسة سينسيري سبيل أن تعرفه جيداً. كانت واحدة ممن عشن في عالم الأنسة سينسيري سبيل، أنكلو-هندية تعمل في الأعمال الخيرية والتطوعية، أو -إذا عدنا إلى الوراء أكثر- ممثلة! ألم يكن ذلك هو عالم الأنسة سينسيري سبيل الحقيقية؟ ألم تعيش في الهند زماناً وتعمل في التمثيل والنشاط الخيري؟ وهكذا فلن تكون تلك الزوجة هي ريبيكا آرتهولت! والآن يا سيد بلانت، هل فهمت ما كنت أقصده عندما أتحدث عن الحياة الخاصة والعامة؟ أنت رجل مصرفي، لكنك -أيضاً- رجلٌ تزوج امرأة غنية، وقبل أن تتزوجها كنت مجرد شريك صغير في الشركة.

بدأت أنظر إلى القضية من الزاوية الصحيحة. النفقات لا تهم؟ أمر طبيعي أن لا تهم... بالنسبة لك. الاستهتار بالحياة الإنسانية؟ هذا أيضاً لا يهم لأنك -منذ فترة طويلة- أصبحت دكتاتوراً في الواقع، وحياة الدكتاتور تصبح بالغة الأهمية بالنسبة له، فيما تغدو حياة الآخرين غير ذات قيمة.

قال أليستير بلانت: ما الذي تريد أن تقول يا سيد بوارو؟

رد عليه بوارو بهدوء: أريد أن أقول -يا سيد بلانت- أنك عندما تزوجت ريبيكا آرتهولت كنت متزوجاً أصلاً؛ فعندما بهرتك

سبيل كانت امرأة مسالمة تماماً لا يمكن أن تؤذي ذبابة! إذن لماذا قتلت عمداً وبطريقة وحشية؟ حسناً، سأخبرك بما اعتقدته.

- نعم؟

مال هيركيول بوارو إلى الأمام وقال: اعتقد أن مايل سينسيري سبيل قد قتلت لأنها تملك ذاكرة جيدة للوجوه.

- ماذا تقصد؟

- لقد فصلنا ازدواج هانين الشخصيتين بعضهما عن بعض؛ السيدة المسالمة القادمة من الهند، وتلك القاتلة المسؤولة عن الجريمة في الشقة بمجمع الملك ليوبولد السكني، ولكن حادثاً واحداً يقع بين الدورين. أي واحدة منهما هي التي تحدث معك على عتبة المنزل؟ أنت تذكر أنها زعمت بأنها صديقة حميمة لزوجتك، وقد تم اعتبار ذلك الزعم غير صحيح وذلك من خلال أقوال أصدقائها ومن خلال الاحتمالية العادية. لذلك نستطيع أن نقول: إن ذلك الزعم كان كذباً. ولكن الأنسة سينسيري سبيل الحقيقية لا تكذب، إذن فهي كاذبة قالتها التي انتحلت شخصيتها لغرض خاص بها.

أوما أليستير بلانت برأسه وقال: نعم، هذا التبرير واضح جداً، رغم أنني ما زلت لا أعرف ما هو ذلك الغرض.

- آه، أرجو المعذرة، ولكن دعنا ننظر إلى الأمر من الزاوية المقابلة. لنقل أن تلك المرأة هي الأنسة سينسيري سبيل الحقيقية. إنها لا تكذب؛ ولذلك لا بد أن يكون كلامها صحيحاً.

آمال المستقبل العريض - التي كانت آمال النفوذ أكثر منها آمال الثروة - أخفيت تلك الحقيقة وأقدمت عامداً على ارتكاب جنحة تعدد الزوجات، وقد قبلت زوجتك الحقيقية بالوضع.

- ومن هي هذه الزوجة الحقيقية؟

- السيدة تشابمان هو الاسم الذي استخدمته أثناء إقامتها في مجمع الملك ليوولد... مكان قريب لا يبعد عن بيتك أكثر من خمس دقائق مشياً على الأقدام. لقد استعرت اسم عميل مخبرات حقيقي مدركاً أن ذلك سيدعم ادعاءات زوجتك بأن زوجها مشغول في أنشطة المخبرات، وقد نجحت خطتك نجاحاً تاماً ولم تظهر أية شكوك. ومع ذلك، بقيت الحقيقة، وهي أنك لم تكن زوجاً شرعياً لرييكا آرتهولت، وأنتك مذنب بتهمة تعدد الزوجات.

لم يساورك أي شعور بالخطر بعد كل هذه السنوات. وفجأة جاءك الخطر على نحو غير متوقع، على شكل امرأة سخيفة تذكرتك بعد قرابة عشرين عاماً كونك زوجاً لصديقتها. المصادفة هي التي أعادتني إلى هذا البلد، والمصادفة هي التي جعلتها تقابلك في شارع الملكة شارلوت، والمصادفة هي التي جعلت ابنة أخت زوجتك معك لتسمع ما قالته لك، ولولا ذلك لما استطعت أنا تخمين تلك الحقيقة أبداً.

- لقد أخبرتك ذلك بنفسي يا عزيزي بوارو.

- كلا، ابنة أخت زوجتك هي التي أصرت على قول ذلك لي، وأنت لم تستطع الاعتراض بقوة خوفاً من إثارة الريبة. وبعد

ذلك اللقاء حدثت مصادفة سيئة أخرى (سيئة من وجهة نظرك)؛ فقد التقت ماييل سينسبري سيل بأمبيرويوتيس وذهبت يرفقته لتناول الغداء، وثرثرت معه ذاكراً حادث لقاتها بزواج إحدى صديقاتها... "بعد كل هذه السنين. كان يبدو أكبر سنّاً بالطبع، لكنه لم يتغير!". أعتزف بأن ذلك مجرد تخمين من ناحيتي لكنني أظن أنه ما حدث فعلاً. لا أعتقد أبداً أن ماييل سينسبري سيل كانت تعلم أن السيد بلانت (الذي هو زوج صديقتها القديمة) هو الذي يقف وراء أكبر مشاريع التمويل في إنكلترا، فاسم بلانت شائع كثير الاستخدام على أي حال. لكن أمبيرويوتيس - إضافة إلى أعمال التجسس التي كان يقوم بها - كان رجلاً يجيد الابتزاز، والمبتزون لهم أنوف غريبة تجيد شم الأسرار. كان من السهل على أمبيرويوتيس اكتشاف شخصية السيد بلانت، وبعد ذلك لا شك في أنه قد كتب لك أو اتصل بك هاتفياً. آه، نعم... كنت متعجب ذهب بالنسبة لأمبيرويوتيس.

سكت بوارو قليلاً ثم أكمل يقول: يوجد أسلوب واحد فعال في التعامل مع مبتز خبير وقدير: إسكاته.

لم تكن القضية أن "بلانت يجب أن ينتهي" كما أوحى إليّ مراراً وتكراراً، بل على العكس من ذلك: كانت القضية أن "أمبيرويوتيس يجب أن ينتهي"، لكن الإجابة كانت نفسها! أسهل طريقة للوصول إلى رجل هي عندما يكون غافلاً، وهل من مكان يكون فيه الرجل غافلاً أكثر من كرسي طبيب الأسنان؟

سكت بوارو ثانية. ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه ثم قال: لقد ذكرت الحقيقة حول القضية في وقت مبكر جداً، فالخادم ألفريد

سيل وشبعها ألفريد إلى الخارج، ثم رنّ الجرس فصعد ألفريد مصطحباً معه أمبيروتيس ووجد الطيب يغسل يديه وراء الباب بطريقة عادية. وهكذا دخل أمبيروتيس إلى الغرفة فأجنته عنى الكرسي، وأشار إلى ضرره الذي يؤلمه. تحدثت الحديث المعتاد وشرحت له قائلًا بأنه من الأفضل تخدير اللفة، البروكين والأدريتاين موجودان، وقد حقنته بكمية كبيرة كافية لأن تنقله، وفوق ذلك كانت الحقنة تضمن عدم شعوره بتأضع مواهبك في طب الأسنان! غادر أمبيروتيس دون أي ارتياب، فأخرجت جثة مورلي ورتبت وضعها على الأرض، وقد تعين عليك الآن أن تجرها قليلاً عنى السجاد لأنك كنت وحدك. مسحت البصمات الموجودة على المسدس ووضعت في يده ومسحت مقبض الباب حتى لا تكون بصماتك هي آخر البصمات، أما الأدوات التي استخدمتها فقد وضعتها كلها في جهاز التنظيف. وأخيراً أخرجت من الغرفة ونزلت الدرج وغادرت من الباب الخارجي لتلمني في لحظة مناسبة. وتلك كانت لحظة الخطر الوحيدة التي صادفتك.

كان يجب أن يمر كل شيء مرور الكرام! شخصان كانا يهددان سلامتك... كلاهما مات. ورجل ثالث قُتل أيضاً وهو مورلي. وتكن قتل الطيب -من وجهه نظر- لم يكن بالإمكان تجنبه. كل شيء سهل تفسيره. يتم تبرير انتحار مورلي بالقول إنه أخطأ في علاج أمبيروتيس، ثم تشطب الوفتان عنى اعتبار أنه حادث من الحوادث المؤسفة.

ولكن لسوء حظك كنت أنا موجوداً على مسرح الأحداث. أنا الذي ارتبب وأن الذي عارضت. ولم يجر كل شيء بسهولة كما كنت

كان يقرأ قصة بوليسية اسمها «جريمة الثانية عشرة لأربعاً»، وكان علينا أن نأخذ ذلك كتذير ساقه القدر؛ لأن ذلك كان هو الوقت الذي قتل فيه السيد مورلي تقريباً.

لقد قتلته فيما كنت تهم بالمغادرة، ثم ضغطت على زر الجرس وفتحت حنفية الممسلة وخرجت من الغرفة، وقد قمت بتوقيت خروجك حتى تنزل الدرج في الوقت الذي يأخذ فيه ألفريد مايل سينسيري سيل (المزيفة) إلى المصعد. لقد فتحت باب المبنى الخارجي وربما خرجت منه، ولكن عندما أغلق باب المصعد وصعد إلى أعلى تسللت إلى الداخل مرة أخرى وارتقيت الدرج.

إنني أعرف -من خلال زيارتي للعبادة- ما كان ألفريد يفعلته عندما يأخذ مريضاً إلى الطيب. كان يترك على الباب ويفتحه ويتراجع إلى الوراء ليمسح للمريض بالدخول. وفي داخل غرفة الطيب كان الماء يجري فيستدل من هذا على أن مورلي كان يغسل يديه كالعادة، لكن ألفريد لم يكن بمقدوره عملياً أن يراه. وحالما ذهب ألفريد ونزل في المصعد ثانية تسللت إلى الغرفة مرة أخرى. وهناك رفعت مع شريكك الجثة وحملتهاها إلى المكتب المجاور، ثم بحثت في الملفات بسرعة وقمت بمبادلة عنوائتي الملغين الخاصين بالسيدة تشابمان والأنسة سينسيري سيل بطريقة ذكية. وليست بزة الطيب البيضاء، وربما وضعت زوجتك بعض المساحيق على وجهها، لكن الأمر لم يكن يحتاج الكثير؛ فقد كانت تلك هي الزيارة الأولى لأمبيروتيس لعبادة السيد مورلي، ولم يكن قد التفتك من قبل. كما أن صورتك نادراً ما تظهر في الصحف. وعلاوة على ذلك، لماذا يرتاب؟ فالمبتز لا يخاف من طيب أسنانه. نزلت الأنسة سينسيري

منه رصاصة دون قصد منه، ويسقط المسدس تحت قدميه فيرفعه وهو ممتلئ رعباً. ما الذي تريده أكثر من ذلك؟ لقد أمسكت به متلبساً بالجريمة، وهو لا يملك غير قصة سخيفة لا تصدق، ومسدسه يشبه تماماً ذلك المسدس الذي قتل به مورلي. وكل ذلك كان فخاً نُصّب لتنزلق فيه رجل هيركيول بوارو.

تلملم أليستير بلانت على كرسيه. كان وجهه متجهماً وكتيباً، وقال: لا تسيء فهمي يا سيد بوارو. ما هو مدى التحمين في قصتك هذه، وما هو مدى المعرفة الحقيقية؟

- لدي شهادة الزواج من مكتب تسجيل قرب أوكسفورد...
زواج مارتن أليستير بلانت وغيردا غرانت. وفرانك كارتر شاهد رجلين يغادران عبادة مورلي بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة. الأول كان رجلاً بديناً، وهو أمبيرونيس، والثاني هو أنت بالطبع، وإن لم يتجح فرانك كارتر في تمييزك؛ فقد رأك من أعلى فقط.

- يا لإصافك إذ تذكر ذلك!

- دخل العبادة فوجد جثة مورلي. كانت اليدان باردتين وكانت حول الجرح دماء جافة، وهذا يعني أن مورلي قد مات منذ وقت ليس بالقصير؛ ولذلك فإن الطبيب الذي عالج أمبيرونيس لا يمكن أن يكون مورلي، بل لا بد أنه قاتل مورلي.

- هل بقي شيء آخر؟

- نعم. تم اعتقال هيلين مونترسور هذا المساء.

تأمل، لذلك لا بد من وجود خط دفاع ثانٍ؛ لا بد من وجود كبش فداء إن لزم الأمر. كنت قد درست -بعناية- أوضاع من يسكنون ويعملون مع مورلي، ووجدت أن هذا الرجل، فرانك كارتر، يمكن أن يفيدك. ولذلك عملت شريكك على توظيفه بستائياً بطريقة غامضة، وإذا أذاع هذه القصة السخيفة بعد ذلك فلن يصدق أحد. وفي الوقت المناسب ستظهر تلك الجثة في صندوق القراء، وسوف يظنون في البداية أنها جثة الأنسة سينبري سيل، ثم سيأخذون بشهادة طبيب الأسنان. ضجة كبيرة! قد يبدو كل ذلك تعقيداً لا ضرورة له، لكنه كان ضرورياً. أنت لا تريد أن يبحث الشرطة في إنكلترا عن امرأة مفقودة تدعى السيدة تشابمان. كلا، ولذلك فلتمت السيدة تشابمان هذه، ولتكن مايبل سينبري سيل هي التي يبحث الشرطة عنها، طالما أن الشرطة لن يستطيعوا العثور عليها أبداً. كما أنك تستطيع -من خلال نفوذك- العمل على إسقاط القضية.

لقد فعلت ذلك فعلاً، ولكن بما أنه كان من الضروري لك أن تعرف ما كنت أفعله أنا، فقد أرسلت في طلبني وألححت علي بأن أجد لك تلك المرأة المفقودة، وواصلت باستمرار دس بطاقة الساحر المزيفة أمام عيني بغية تضليلي. اتصلت شريكك بي تحذرنني بأسلوب مثير... نفس الفكرة؛ التجسس... الاعتبار العام للقضية. إن زوجتك هذه ممثلة ذكية، ولكن حتى تغير صوتها كان الميل الطبيعي هو تقليد صوت آخر، وهكذا قامت زوجتك بتقليد نبرة صوت السيدة أوليفيرا، وأعترف بأن ذلك حيرني كثيراً.

ثم أخذتني معك إلى إيكسهام حيث تم تمثيل الدور الأخير. كم هو سهل وضع مسدس معبأ بين الأشجار فيأتي رجل يقلمها فتنتطلق

إلى أبعد حد. كانت رفيقة ممتازة وأظن أنني جعلتها سعيدة، وقد شعرت بالحزن الحقيقي عند وفاتها.

والأمر الغريب هو أنني وغيردا قد بدأنا نستمتع ببقاءنا السرية، وكانت لنا طرق مبتكرة في التخفي أصبحنا نحياها. كانت مثلة بحكم طبيعتها، وكان لديها مخزون من عددٍ من الشخصيات التي تستطيع تمثيلها في آن واحد، ولم تكن السيدة تشابمان سوى واحدة منها فحسب. وقد شملت الشخصيات الأخرى شخصية أرملة أمريكية تعيش في باريس التقيت بها عندما ذهبت في رحلة عمل هناك، وشخصية امرأة اعتادت على السفر إلى الترويج مع لوحاتها كونها رسامة، وقد التقيتها عندما ذهبت إلى هناك لصيد الأسماك ثم -بعد ذلك- قدمتها إلى الناس على أنها ابنة عمي، هيلين مونترسور.

كانت اللعبة متعة كبيرة لنا. وقد ساهمت في إبقاء جذوة الحب بيننا متقدة. كان باستطاعتنا الإعلان عن زواجنا بعد وفاة ريبكا، لكننا لم نرد ذلك؛ فقد كان من شأن غيردا أن نجد صعوبة في أن تعيش حياتي الرسمية، وبالطبع كان يمكن لشيء من الماضي أن ينبعث من جديد. لكنني اعتقد أن السبب الحقيقي الذي جعلنا نستمر في علاقتنا هذه وفي إخفاء زواجنا عن الناس أننا كنا نستمتع بهذا النمط من الحياة.

سكت بلانت قليلاً، ثم قال بصوت اختلقت نبرته وظهرت فيه القسوة: ثم جاءت تلك المرأة الغبية النعينة وأفسدت كل شيء. عرضني... بعد كل هذه السنين! وأخبرت أمبيريو تيس. يجب أن تفهم أنني كنت منزعجاً بفعل شيء؛ فالأمر ليس أمري أنا فقط. ليس في الأمر

تحرك أليستير بلانت حركة قوية ثم جلس ساكناً. قال: هذا... يقضي على كل الآمال.

- نعم. إن هيلين مونترسور الحقيقية (ابنة عمك البعيدة) قد ماتت في كندا قبل سنوات. لقد أخفيت الحقيقة واستفدت منها.

ارتسمت على شفتي أليستير بلانت ابتسامة. كان يتكلم بأسلوب طبيعي واستمتع بصياني: لقد وجدت غيردا متعة في هذا الأمر. أريدك أن تفهم؛ فأنت رجل ذكي. لقد تزوجتها دون معرفة أهلي، فقد كانت -في ذلك الوقت- تعمل مثلة في أحد المسارح، وكان أقاربي متزمتين، وكنت سأدخل في الشركة. اتفقنا على كتمان الخبر. وقد استمرت هي في التمثيل، وكانت مايبل سينسيري سيل في الفرقة هي أيضاً فعرفت بأمرنا. ثم سافرت مايبل إلى الخارج مع شركة سياحية، وتلفت غيردا منها رسالة أو رسالتين من الهند، ثم لم تعد تكتب لها الرسائل، فقد تورطت -بعد ذلك- مع رجل هندي. كانت مايبل دائماً فتاة غبية ساذجة.

ليني أستطيع إقحامك ملابس التاني مع ريبكا وزواجي بها. لقد تفضمت غيردا الأمر. إن أفضل ما يمكن أن اعتبر به عن تلك الفرصة هو أنها كانت أشبه بمملكة نفتح أمامي، فلقد أتاحت لي الفرصة لأن أتزوج ملكة وأن أقوم بدور الأمير، أو حتى الملك. كنت أنظر إلى زواجي بغيردا على أنه زواج غير متكافئ، ولكنني أحببتها وسار كل شيء بشكل رائع. نعم، أحببت ريبكا حباً كبيراً، وقد كانت امرأة ذات عقلية مالية من الطراز الأول، وكانت عقليتي المالية بنفس المستوى، وهكذا شكلنا -معاً- فريق عمل رائعاً... كان ذلك مثيراً

- الواقع أنهما يعدوان لسركتير كان يعمل عندي في أميركا، وقد اشتراهما من الخارج، وعندما ترك العمل عندي نسي أن يأخذهما.

سكت اليبستير بلانت قليلاً ثم سأل: هل بقي أي شيء آخر تريد معرفته؟

- ماذا عن مورلي؟

رد عليه بلانت ببساطة: لقد شعرت بالأسف عليه.

- نعم، فهمت...

ثم سكتا طويلاً. وبعدها قال بلانت: حسناً يا سيد بوارو، وماذا الآن؟

- لقد اعتقلت هيلين مونترسور.

- والآن دوري، أليس كذلك؟

- هذا ما قصدته، بلى.

رد عليه بلانت بهدوء: لكنك لست سعيداً بهذا الخصوص، أليس كذلك؟

- نعم؛ لست سعيداً أبداً.

- لقد قتلْتُ ثلاثة أشخاص، وهذا يستوجب أن أعدم. لكنك سمعت دفاعي.

- وما هو... بالضبط؟

شيء من الأثانية، فإذا دُمرت حياتي ولحقني العار فإن بلدي سيتضرر أيضاً. لقد عملت أشياء مهمة لإنكلترا يا سيد بوارو، لقد ساهمت في إبقائها ثابتة مقتدرة مالياً وخالية من الاستبداد والقاشية والشووعية. إنني لا أهتم حقاً للعمال بصفته المجردة، ولكنني -فعلاً- أحب النفوذ، فهو محور حياتي، ولئن ذهبْتُ فإنك تعرف ما يمكن أن يحدث.

إن بلدي يحتاجني يا سيد بوارو، وقد أراد شرير خائن مبتزاً من اليونان أن يحطم إنجازات حياتي، فلم يكن بد من فعل شيء. وقد أدركت غيردا ذلك أيضاً. شعرنا بالأسف على تلك المرأة، سينسيري سيل، ولكن الأسف لم يكن ليجدي؛ فقد كان يجب أن نسكتها. لم يكن باستطاعتنا الثقة بأنها ستمسك لسانها. ذهبت غيردا لرؤيتها ودعتها لتناول الشاي مع السيدة تشابمان وقدمت لها العنوان، وهكذا جاءت مايل سينسيري سيل إلى الشقة بمجمع الملك ليوبولد دون أي ارتياب. لم تكن تعرف أي شيء، وكانت جوبو الميدنال في الشاي... إنها لا تؤلم أبداً؛ ينام المرء أولاً ولا يستيقظ بعدها أبداً. ثم قمنا بتشويه الوجه فيما بعد. كان عملاً يثير الغثيان لكننا شعرنا بأنه ضروري؛ فقد كان يجب أن تذهب السيدة تشابمان إلى الأبد. وكنت قد أعطيت «ابنة عمي» هيلين كوخاً تعيش فيه، وقررنا أن نعلن زواجنا بعد فترة مناسبة، ولكن كان علينا -قبلها- أن نتخلص من أمبيرويتيس. سار العمل بشكل رائع؛ لم تدهمه أية شكوك بأنني لست طبيباً حقيقياً، وقمت باستخدام الحفارة اليدوية بطريقة جيدة، إذ لم أغامر باستخدام الحفارة الكهربائية. وبالطبع لم يكن بمقدوره -بعد الحقنة- أن يشعر بما فعلته، وكان هذا هو المطلوب أصلاً.

سأل بوارو: والمسدسان؟

أوماً يوارو برأسه موافقاً. كان العريب أنه يصدق ذلك كله، ولكنه قال: نعم، هذا جانب واحد. أنت الرجل المناسب في المكان المناسب... إنك تملك عقلاً سليماً وحكماً حصيفاً والتزاناً، ولكن يوجد جانب آخر؛ لقد مات ثلاثة من البشر.

- نعم، ولكن فكر فيهم: ما بيل سينسيري سيل؟ أنت قلت بنفسك إنها امرأة بعقل دجاج! أمبيريو تيس؟ رجل محتال ومبتز!

- ومورلي؟

- قلت لك من قبل إنني آسف على مورلي. لكن مع ذلك... رغم أنه كان رجلاً مهذباً وطيباً جيداً في عمله، إلا أنه يوجد أطباء آخرون غيره.

- نعم، يوجد أطباء غيره. وفرانك كازتر؟ هل كنت ستدعه يموت دون ندم؟

- أنا لن أبعد أية شفقة عليه؛ فهو غير صالح، إنه شقي نتن.

- ولكنه كائن... بشر.

- آه، حسناً، كلنا بشر.

- نعم، كلنا بشر، هذا ما لم نتذكره. لقد قلت بأن ما بيل سينسيري سيل كانت امرأة حمقاء غبية وأن أمبيريو تيس شخص شرير وأن فرانك كازتر وغد، ومورلي... مورلي كان مجرد طبيب أستان يوجد آخرون سواه. هنا في هذه النقطة أختلف معك يا سيد بلانت؛ لأن حياة هؤلاء الأربعة - بالنسبة لي - هي بنفس أهمية حياتك.

- أنني أعتقد - من كل قلبي - بأن وجودي ضروري لاستمرار الرفاهية والأزدهار في هذا البلد.

- قد يكون هذا صحيحاً... نعم.

- أنت توافقني إذن؟

- نعم، أوافقك. إنك تمثل الأشياء التي أعتبرها مهمة؛ العقلانية والتوازن والاستقرار.

قال أليستير بلانت بهدوء: "أشكرك". ثم أضاف: حسناً، وماذا الآن؟

سأله يوارو: هل تقترح علي... أن أخرج من القضية؟

- نعم.

- وزوجتك؟

- إنني أملك نفوذاً كبيراً، وستقول بأنه حصل التباس في الشخصية.

- وإذا رفضت أنا؟

- إذن فأنا لها.

ثم أكمل يقول: الأمر بيدك الآن يا يوارو. الأمر يرجع إليك. لكنني أريد أن أقول لك - وهذا ليس من باب حب البقاء - إن في هذا العالم حاجة إنني. هل تعرف لماذا؟ لأنني صاحب فطرة سليمة وحصافة، وليست لدي مصالح شخصية.

- أنت مخطئ.

- كلا، لست مخطئاً. أنت رجل صاحب أمانة ورأي سديد، ولقد انحرقت عن الخط المستقيم خطوة واحدة... ولم يؤثر ذلك عليك ظاهرياً. لقد واصلت التظاهر - أمام الناس - بنفس الاستقامة والأمانة، لكنك - في داخلك - ازددت حباً للسلطة إلى مستوى أعماك عن الحقيقة، ولذلك فإنك تضحي بحياة أربعة من البشر وتعتبر أن لا أهمية لهم.

- ألا تدرك يا بوارو أنني مهم لسعادة الأمة؟

- لست معنياً بالأمم يا سيدي. إنني معني بحياة الأفراد والأشخاص ممن يمتلكون حقاً لا يحيز اغتيال حياتهم.

ثم نهض من مجلسه، فقال أليستير بلانت: إذن فهذا هو جوابك.

قال هيركيول بوارو بصوت متعجب: نعم، هذا جوابي...

ذهب إلى الباب وفتح، فدخل رجلان من الشرطة.

* * *

نزل هيركيول بوارو إلى حيث كانت فتاة تنتظر في الصلاة.

كانت جين أوليفيرا تقف شاحبة الوجه أمام المدفأة، وإلى جانبها كان يقف هوارد رايكز. قالت: حسناً؟

رد عليها بوارو بلطف وهدوء: كل شيء قد انتهى.

قال رايكز بصوت أجس: ماذا تقصد؟

- لقد اعتقل السيد أليستير بلانت بتهمة القتل.

قال رايكز: كنت أظن أنه سيشتري سكوتك...

قالت جين: كلا، لم أحسب ذلك أبداً.

تنهد بوارو وقال: ها هو العالم أمامكما؛ السماء الجديدة والأرض الجديدة. كل ما أطلبه منكم - يا أولادي - أن تتركوا في عالمكم الجديد شيئاً من الحرية وشيئاً من الشفقة.

* * *

الفصل العاشر

سار بوارو إلى بيته في الشوارع المهجورة.
انضم إليه السيد بارنز بخفة وسأله: حسناً؟
ضم هيركيول بوارو كتفيه ورفع يديه في الهواء.
قال بارنز: ماذا كان موقفه؟

اعترف بكل شيء وطلب الأخذ بمبرراته، قال إن هذا البلد
يحتاجه.

قال بارنز: "هذا صحيح". ثم أضاف بعد وقت قصير: ألا ترى
ذلك أيضاً؟

- بلى، أرى ذلك.

- حسناً، إذن...

قال بوارو: ربما كنا مخطئين في رأينا هذا.

قال بارنز: لم أفكر في هذا أبداً، قد نكون مخطئين فعلاً.

سارا مسافة قصيرة فسأله بارنز بفضول: ما الذي تفكر فيه؟

قال بوارو: إن الكبرياء من الخطايا الكبرى يا صديقي.

- نعم، يمكنك قول ذلك بالفعل.

سارا مسافة أبعد، وأخيراً قال بارنز: سأخذ قطار النفق هنا.

تصبح على خير يا بوارو.

سكت قليلاً ثم قال بسرعة: لدي شيء أريد قوله لك.

- نعم يا صديقي؟

- شيء أشعر أنني مدين لك به. لقد ضللتك دون قصد مني،

وأعني بذلك حقيقة ألبرت تشابمان المدعو «كيو اكس ٩١٢».

- نعم، ما به؟

- أنا ألبرت تشابمان. هذا هو السبب الذي جعلني مهتماً

بالامر؛ فقد كنت أعرف أنه لم تكن لي زوجة أبداً.

ثم أسرع ذاهباً وهو يضحك.

تجمد بوارو مكانه. فتح عينيه ورفع حاجبيه من الدهشة، ثم

انطلق إلى بيته.

* * *

WWW.LILAS.COM
CHASSEY